تاريخ صيدا

يحوي تاريخها وسائر شؤونها
منذ عمرانها الى وقتنا الحاضر

لمؤلفه

احمد عارف الزين

صاحب العرفان

جميع حقوق الطبع محفوظة له

Histoire de Saida

par

Ahmed Aref El - Zein

مطبعة العرفان صيدا — سنة ١٣٣١

Imp. al ,irfan-Saida (Syrie) 1913

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي جعل تاريخ الماضين عبرة للباقين والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وبعد فقد اختلفت مناحي المؤرخين باختلاف الزمان والمكان ونهج كل منهم منهجا خاصا تحدى به من قبله او استنبطه من تلقاء نفسه وليس من شأننا ان نفيض القول هنا في التمييز بين الغث والسمين او نعقد فصلا للمفاضلة بين المؤرخين من شرقيين وغربيين غير أنا نقول كلمة اجمالية وهي أن الذين يكتبون التاريخ بدون عصبية وتحيز قليلون جدا بين الفريقين فلذلك أصبح تمييز صحيح التاريخ من فاسده من أشق الاعمال ولا اظن أن مؤرخا يسلم من الغلط وينجو من الشطط مهما بالغ في التمحيص وبلغ الغاية من العناية في تتبع الصحيح ولكن (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) وشتان بين من يبذل ما في وسعه للوصول الى الحقيقة الثابتة فيخطئها احيانا وبين من يراها بأم عينه فيدفعه عنها تعصب أعمى او نفاق وتدليس

هذا وقد كنا شرعنا في كتابة تاريخ مفصل لبلدتنا (صيداء) نشرنا منه تاريخها القديم والمتوسط والحديث في مجلة العرفان ورأينا أن نطبع منه نسخا على حدة ليكون كتابا مستقلا وقد اتبعناه في تاريخها المعاصر الذي افضنا القول فيه ايما افاضة . وربما لا يرى لنا به البعض الا النقل والتتبع غير انا لو سلمنا له ذلك لكان عند من عاناه اكثر مشقة وأبعد شقة من الانشاء والاختراع

وانا نتقدم الى كل باحث ومؤرخ أن ينقد كتابنا هذا نقد الصيرفي للدرهم فيرشدنا الى مواضع الزلل لنكون له من الشاكرين

ونذكر هنا اسماء الكتب والمصادر التي أخذنا عنها ليعلم مقدار عنائنا وحسن بلائنا من يعلم و(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ؟

الكتب العربية المطبوعة

مختار الصحاح
أقرب الموارد
مقدمة ابن خلدون
تاريخ ابي الفدا
دائرة المعارف للبستاني
المرآة الوضية لفانديك
تاريخ سوريا للدبس
تاريخ سوريا لجرجي يني
قطف الزهور في تاريخ الدهور
تاريخ القسطنطينية
معجم البلدان لياقوت
قاموس الكتاب المقدس
للدكتور پوست
الكتاب المقدس

اساطير الاولين
التاريخ القديم
ابن الاثير
تاريخ الامير حيدر
تاريخ ابن القلانسي
مجموعة المحررات السياسيه
والمعاوضات الدوليه
تعريب فليب وفريد الخازن
الياذة هوميروس
تعريب سليمان البستاني
رحلة ابن بطوطه

(الكتب المخطوطة)

مجموعة محررات رسمية
مجموعة الشيخ علي سبيتي
مجموعة الحاج علي الزين

المجلات

المقتطف
المقتبس
المشرق
تقويم البشير
الباحث
العرفان
جريدة جبل عامل

(الكتب التركيه)

بيوك تاريخ عومي
سالنامة ولاية بيروت لسنة
١٣١٩ هـ

الكتب الأفرنجية

كتاب گيران السائح الفرنساوي — Guérin
معجم لاروس — Le Larousse Pour Tous
تاريخ الفنون والآثار القديمة — Histoire de l' art dan L antiquite

بعض الكتب الانكليزية

هذه الكتب التي نقلنا عنها رأسا اما ما نقلناه بالواسطة فهو كثير ايضا ويعلم من مطاوي الكتاب

صيدا في الياذة هوميروس

عابق الطيب ومنشور الشذا فوق ازر زانها الوشي الجميل
نسجتها غيد (صيدا) نقبا والفتى فاريس منها جلبا
عندما هيلانة قبل سبى

(النشيد السادس صفحه ٤٦٣)

وخطر الحضر أخيل ابرزا حقا من اللجين كان احرزا
متمم مكمله ستاوزن ما مثله حق بذلك الزمن
زخرفه أبناء (صيدا) وخرج قوم فينقيا به على اللجج
حتى اذ المنوس جاءوا وقفوا حيث به القيل ثواس اتحفوا

(النشيد الثالث والعشرون صفحه ١٠٩٦)

ابن بطوطه في صيدا

مما فاتنا ذكره مرور الرحالة الشهير ابن بطوطه على صيدا في اواسط القرن الثامن الهجري قال : ثم سافرت منها (اي من عكا) الى مدينة صيدا وهي على ساحل البحر حسنة كثيرة الفواكه يحمل منها التين والزبيب والزيت الى بلاد مصر نزلت عند قاضيها كمال الدين الاشموني المصري وهو حسن الاخلاق كريم النفس

فهرس عام مجمل لتاريخ صيدا

صفحه

٣	فاتحة الكتاب
٤	الكتب التي نقلنا عنها
٥	صيدا في الياذة هو ميروس
٥	ابن بطوطه في صيدا
٩	بيان
٩ — ١٤	مقدمة تاريخية
١٤ — ١٦	كلام اجمالي عن سوريه
١٧ — ٣٢	كلام اجمالي عن فينيقيا
٣٣ — ٤٨	تاريخ صيدا القديم
٤٩ — ٥١	تاريخها المتوسط
٥١ — ٨٠	تاريخها الحديث
٨١ — ١٧٢	تاريخها المعاصر
١٧٣ — ١٧٦	مستدركات
١٧٦	جدول الاغلاط

*

فهرس مفصل يحوي جميع مواضيع الكتاب

صفحه
٣ فاتحة الكتاب
٤ الكتب التي نقلنا عنها
٥ صيدا في الياذة هوميرس
٦ فهرس مجمل
٧ فهرس مفصل
٨ فهرس الاعلام
٩ بيان
٩ مقدمة تاريخية
وفيها تعريف التاريخ لغة
واصطلاحا واقسامه والعلوم
المساعدة له الخ
١٤ كلام اجمالي عن سوريا
وفيه جغرافيتها وتسميتها
ومساحتها وعدد سكانها واشهر
مدنها وولاياتها واختلاف
اسمائها واصل السوريين
١٧ كلام اجمالي عن فينيقيا
وفيه تسميتها وجغرافيتها
ومساحتها واصل سكانها واشهر
مدنها ومستعمراتها وديانة

صفحه
الفينيقين ومدنيتهم وصناعتهم
وفنونهم وتجارتهم ومخترعاتهم
وسياستهم ونوع حكومتهم
ولغتهم وآثارهم وسيئاتهم
٣٣ تاريخ صيدا القديم
وهو من ابتداء عمرانها الى
ظهور المسيح عليه السلام
وبه تأسيسها وتسميتها واصل
سكانها وموقعها ومساحتها
وصعودها وهبوطها
٤٩ تاريخها المتوسط
وهو من زمن المسيح لزمن
ظهور النبي العربي عليهما السلام
وفيه كلمة عن اناجيل النصارى
٥١ تاريخها الحديث
وهو من زمن ظهور النبي (ص)
الى حادثة الستين
وفيه فتح صيدا في صدر الاسلام
وبعض من نسب لها من العلماء
والحوادث الصليبية المشهورة

صفحه

ومن تولى صيدا من بني عثمان
وبناء الامير فخر الدين المعني
لها ورحلة الشيخ عبد الغني
النابلسي ومن تعاقب عليها من
الولاة وحدود ايالة صيدا وعكا
وكلام بعض السائحين عنها
ومعاملة صيدا الى غير ذلك

٨١ تاريخها المعاصر
وهو منذ حادثة الستين الى
يومنا هذا
وفيه بحث عن سبب حادثة الستين
وابحاث مطولة عن آثار صيدا
القديمة والحديثة كقلعتها وآثار
المتين بها وعن مقاماتها
ومساجدها وكنائسها ومدارسها
وجمياتها وعلاتها العامة وجدول
قائم مقامي صيدا وابحاث عن
تجارتها وزراعتها وصناعتها واهم
وارداتها وصادراتها وبحث
مسهب عن بردقان صيدا وكيفية
زرعه وتطعيمه ومنافعه وعن
بقية انواع الليمون وبحث
ضاف عن الانكدونيا وعن
صحافتها وطباعتها وحدودها
الحالية وعدد نفوسها ومائها
واسرها المشهوره وعلمائها
وفضلائها وادبائها ومحاميها
وتجارها واطبائها وحكومتها
ورؤسائها الروحانيين وقناصلها
وواردات الحكومة بها وابنيتها
وقراها الى غير ذلك من الفوائد

١٧٣ مستدركات
وبه ما كتبه ابن القلانسي عن
صيدا ومجمل ما جاء في المحررات
السياسيه وولاة صيدا وغير ذلك

١٧٦ جدول الاغلاط

فهرس الاعلام

اخرنا نشر فهرس الاعلام والاماكن للطبعة الثانية ان شاء الله التي تكون اكثر اتقانا وتحقيقا

بيان

لما رأيت بان مدينتنا صيداء لم يفرد لها احد من مؤرخي الشرق والغرب تاريخا خاصا يضم به شتات اخبارها واحوالها وما تعاقب عليها من قديم وحديث مع كثرة ماجاء عنها في بطون التواريخ العربية والافرنجية رأيت ان افرد لتاريخها هذا البحث الذي سيستغرق اغلب المباحث التاريخية من هذا المجلد لاني ساتكلم عن تاريخها التالد والطارف وطالما نازعتني النفس بعد اتمام تاريخ صور الذي نشر في المجلد الاول من العرفان ان اشرع في تاريخ صيداء بيد اني توقفت مليا لاني رايت في الفصول التي كتبتها عن صور قصورا او تقصيرا لايحسن السكوت عليهما ولم يحصل ذلك الا من عدم التريث والاقتصار على تاريخ او بعض تواريخ وقد أكون معذورا اشد العذر مكتبتي وضعف تنقيبي اما وقد اقتنيت عدة تواريخ يحسن الاستناد اليها والاعتماد عليها ووقفت لتمحيص الحقائق اتم تمحيص لان الحقيقة ضالتي التي انشدها فرايت الاخلال بذلك ذنبا لايغتفر لان خدمة الوطن من اتم رغائبنا واهم مطالبنا واي خدمة اجل من تدوين تاريخه وما كان عليه في الزمن السالف من المجد المؤثل والرقي الباهر ولا نشك بان مواطنينا الصيداويين متى وقفوا على تاريخ اجدادهم الغابرين يفيقون من هذا السبات ويتداركون مافات وان عدم من بينهم او قل من يقرا التاريخ ويشتغل بالمفيد ولكن (على المرء ان يسعى بمقدار جهده) فان اثمر مقالنا الثمر المطلوب كان ذلك جل المرغوب والا فحسبنا حسن النية ونبالة المقصد وما احرانا اذ ذاك في التمثل بقول الشاعر

نسج الريح على الماء زرد ياله درعا منيعا لو جمد

هذا ونستنشر ماتجزم بصحته عن تاريخ صيداء نقلا عن التواريخ العربية والافرنجية ونسب كل قول لقائله راجين من كل باحث ونقاد تنبيهنا الى مواقع الخطا وقد قيل لولا الخطا ماعرف الصواب ومن الله نطلب التوفيق والعناية ونستمنح منه سلوك طريق الصواب والهداية

مقدمة تاريخية

التاريخ والتوريخ تعريف الوقت تقول ارخ الكتاب بيوم كذا وورخه بمعنى واحد (١) – وقيل تاريخ كل شيء : غايته ووقته الذي ينتهي اليه ومنه قيل

(١) مختار الصحاح

«فلان تاريخ قومه» اي اليه ينتهي شرفهم ورياستهم ج تواريخ (١) هذا ماعرفه به اللغويون اما ماقاله علماء هذا الفن فهو : انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشا عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر مايحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (٢) او : هو تعيين وقت لينسب اليه زمان ياتي عليه او مطلقا يعني سواء كان ماضيا او مستقبلا وقيل تعريف الوقت باسناده الى اول حدوث امر شائع من ظهور ملة او دولة او امر هائل من الآثار العلوية والحوادث السفلية مما يندر وقوعه وجعل ذلك مبدأ لمعرفة ما بينه وبين اوقات الحوادث والامور التي يجب ضبط اوقاتها في مستانف السنين وقيل عدد الايام والليالي بالنظر الى مامضى من السنة والشهور والى مابقي وعلم التاريخ هو معرفة احوال الامم وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وانسابهم وافرادهم ووفياتهم الى غير ذلك وموضوعه احوال الاشخاص الماضية من الانبياء والاولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والابطال وغيرهم والغرض من الوقوف على الاحوال الماضية وفائدته العبرة بتلك الاحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن (٣)

هذا بيان اجمالي عما قاله مؤرخو العرب في تعريف التاريخ واما ما عرفه به الافرنج فهو كما تراه مترجما

تاريخ histoire كلمة اصلها يوناني ومعناها لغة التنقيب عن الحقيقة واصطلاحا سرد الحوادث والاعمال التي تستحق الذكر (٤)

واذا صح ان نختار تعريفا للتاريخ جامعا مانعا فنقول : التاريخ حكاية النوع البشري من مطلع فجر الحياة الى يومنا هذا . ولم يقتصر المغاربة في مباحث هذا العلم اقتصار المشارقة بل توسعوا فيه توسعا عجيبا شانهم في جميع العلوم والفنون فعندهم تاريخ الحيوان وتاريخ النبات وتاريخ المعادن الى غير ذلك من ضروب التواريخ

على ان الذين تبسطوا في ابحاثه العالية من مورخي العرب تكلموا عن تلك الفروع عرضا وان لم يفردوا لها مولفات خاصة بها مع انها من الاهمية بمكان عظيم

اما فائدة التاريخ فلا ينكرها الا مكابر اعمى التعصب بصره واعمه بصيرته

(١) اقرب الموارد (٢) مقدمة ابن خلدون (٣) دائرة المعارف العربية البستاني (٤) معجم لاروس الجديد

وحسبك من علو شانه ونفوذ سلطانه عناية عظماء العالم فيه كما ان الكتب السماوية لم تخل من التنويه به تصريحا وتلميحا واجمالا وتفصيلا نعم قد ينكر البعض بعض ما آخذ التاريخ ومبالغاته التي سرت الى بعض المؤرخين ونقلهم الاخبار على عواهنها لعدم المامهم في العلوم الاجتماعية والكونية والاثرية بله والدينية بيد ان العارف بفلسفة التاريخ الواقف على دقائق علم العمران يميز الحق من الباطل ، والحالي من العاطل ، واجمل ما رأيناه في بيان فضيلة هذا الفن ما قاله فيلسوف مؤرخي العرب

(اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم ، والانبياء في سيرهم ، والملوك في دولتهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء ، لمن يرومه في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في المجتمع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق (١) الخ

لعمري لقد رأيت من يزدري علم التاريخ ويحقره لظنه انه مجرد قصص واخبار ومجموع روايات واسمار وما عرفوا ما انطوى عليه من الفوائد الادبية والدينية (٢)

التاريخ شاهد الازمنة ونور الحق وحياة الذكر ومدبر الحياة ورسول القدم (٣)

واما اهمية التاريخ في كونه خبرا مجردا فهي ايضا عظيمة فيه تحفظ الآثار وتقليدات الامم ولكن اعظم مركز يتي له هو الصدق (٤)

ولنختم فوائد التاريخ بقول الشاعر العربي

ليس بانسان ولا عاقل	من لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى اخبار من قبله	اضاف اعمارا الى عمره

واما العلوم التي تعد مساعدة للتاريخ ونبراسا للمؤرخ فهي

علم معرفة التأليف والكتب Bibliographie معرفة الكتب القديمة Paleographie

(١) المقدمة (٢) دائرة المعارف نقلا عن ابن الاثير

(٣) شيشرون (دائرة المعارف)

(٤) دائرة المعارف

علم المسكوكات القديمة Numismatique علم الكتابات Épigraphie علم السجلات Sigillographia السياسة او مؤآمرات الدول واتصالاتها Diplomatique معرفة تعليم التاريخ Chronologie علم الآثار القديمة (١) Arthéologie

وقال بعض الباحثين في هذا الصدد ما يلي :

فلا تجد في البلدان الراقية من ينصرف الى التاريخ الا وقد تمكن من معرفة اللغات القديمة والحديثة واهم الاولى اللغتان اليونانية واللاتينية لما فيهما من المؤلفات القديمة ولان تمدن الامتين اللتين تكلمتا بهما شمل قسما عظيما من العالم المعروف في عصرهما وخلف آثارا مكتوبة بهما ويلي هاتين اللغتين اللغات العربية والعبرية والسريانية والقبطية فانهن مفتاح اللغات البائدة كالارامية والفينيقية والمصرية وليست معرفة هذه اللغات بذات فائدة للمؤرخين مالم تكن مدعمة باصول علم اللغات المسمى Philogie لان بها تعرف قربى تلك اللغات الى بعضها من حيث كلماتها وصرفها ونحوها فالتمكن من هذه المعارف يسهل على المؤرخ فهم ما يقرأ من الكتابة القديمة الا ان قراءة تلك الكتابات تقضي بوجوب معرفة الاقلام التي كانت تكتب بها تلك اللغات كالمسمارية والهيروكليفية وغيرهما مما وضع له الفرنجة علما يقال له علم قراءة الاقلام Caléographie لكن المؤرخ لايستطيع لهذا العهد الاحاطة بكلما وجد من الآثار وقرىء من الاقلام مالم يطلع على ماكتب العلماء والباحثون عنها وما قرأوا من اقلامها

ومن ثم يجب ان يكون عارفا ايضا باصول علم النقود المضروبة Numumatique لان الملوك والامراء يضربون النقود باسمائهم فاذا خفيت على المؤرخ حقيقة زمن احدهم فاحسن سبيل لتحقيق ذلك هو البحث في نقود ذلك الزمن فضلا عن ان كثيرا من وقائع التاريخ ظهر ثبوتها بكلمة او كلمتين محفورتين على قطع النقود اعتبر ذلك بما ورد من فتح الرومان لليهودية ومصر وغلبتهم على البرثيين وغير ذلك

ومن الفروع المهمة لعلم الآثار علم التوقيت Chromologie فان به تعرف الازمنة التي وقعت فيها الحوادث وهذه المعرفة قد لاتنال من النص التاريخي فيعدل الى استخراج مجهولها بالمقابلة على معلوم يتصل بهما او بالفرض المتبع في الاستقراء او بدقة النظر في الصنعة ان كان ثمة اثر صناعي والحسبان على اثره من المصنوع لانمهرة العارفين بالصناعة القديمة متى رأوا مصنوعا عرفوا امنشاه وزمنه وقلما يخطئون في احكامهم (٢)

(١) معجم لاروس (٢) المقتطف مجلد ٣٣ جزء ١

اما مبدأ تدوين التاريخ فللعلماء فيه اقوال شتى لايمكن الجزم بصحتها على ان اول تاريخ يمكن الركون اليه والاعتماد عليه هو الكتاب الديني (التوراة) التي انزلت على موسى (عليه السلام) وذلك من ٣٤٢١ سنة على الحساب الغريغورى (١)

ويلقب هيرودتس باب التاريخ (٢) لانه الف تاريخه من سنة ٤٥٠ قبل المسيح لكن لايعتمد عليه الا في الامور التي وقعت في زمانه (٣) على ان كل امة من الامم اصطلحت على حساب خاص بها ولا مشاحة في الاصطلاح

والتاريخ اما عام او خاص فالخاص ما اختص بامة او شعب او اسرة او بلد الى غير ذلك والعام يبحث عن جميع الامم في الادوار كلها وقد يتفرغ لنواميس وشرائع الامم فيسمى (فلسفة التاريخ) ويقسمون التاريخ العام الى اربع طبقات القديم . المتوسط . الحديث . المعاصر .

التاريخ القديم — يبحث عن احوال الشعوب والامم المعروفة بالشرق والغرب كالمصريين و العبرانيين و الفينيقيين و الاشوريين و الآمديين والفرس واليونان والرومان

التاريخ المتوسط — هو ما بين القديم والحديث ويمتد من سنة ٣٩٥ مسيحية الى سنة ١٤٥٣ م يعني من حين موت (تيودوسيوس) وارتداد العالم الروماني الى الدين المسيحي لحد فتوح القسطنطينية واستيلاء الاتراك عليها

ينبئنا التاريخ المتوسط عن غزو البرابرة للغرب وسقوط المملكة الرومانية والحروب الصليبية وتنظيم الامور الاجتماعية والسياسية في اوروبا وتاليف الحكومات الممتازة

التاريخ الحديث — يبتدأ من افتتاح القسطنطينية وذلك سنة ١٤٥٣ م وهذا بالحقيقة تاريخ خاص وانما ينتهي التاريخ المتوسط حين تزعزع السلطة البابوية بقيام دعاة البروستانتية واما التاريخ الحديث فيبتدأ من حين اختراع الطباعة (٤) واكتشاف اميركا (٥) اللذان قلبا العالم ظهرا لبطن وقد تولدت في ذلك الزمن الحروب الدينية والطخ اديم اوروبا بالدماء

(١) تقويم البشير (بحسب الترجمة السبعينية)

(٢) معجم لاروس (٣) دائرة المعارف

(٤) اكتشف فن الطباعة على الحروف الرصاصية حنا غو تنبرغ سنة ١٤٥٦ وكان اول كتاب طبع طبعه التوراة باللاتينية تقويم البشير

(٥) اكتشف اميركا كريستوف كولمبوس سنة ١٤٩٢ م واطلق عليها اسم اميركا نسبة الى اميركوس احد الباحثين عنها (معجم لاروس)

التاريخ المعاصر — يبتدأ من تاريخ الثورة الافرنسية ١٤ تموز سنة ١٧٨٩ الى يومنا هذا (١)

قد علمت من سردنا هذه المقدمة التاريخية بانا نتوخى الاعتماد على المصادر المعتبرة التي لايعترينا شك بما ننقله عنها وليس القصد ايقاف القاري على مجمل ماقيل في التاريخ فقط بل هو ايضاح خطتنا التي نريد ان نسير عليها في تاريخ صيداء بجلاء تام فنقول

يتعذر بل يستحيل على الباحث من امثالنا ان ياتي بتاريخ جامع للشرائط المطلوبة طبقا لما يسير عليه موءرخو الغرب حذو القذة بالقذة لانا لم نزل بعيدين عنهم اشواطا بعيدة في العلم والبحث والجد والكد بيد ان (مالا يدرك كله لايترك كله) على حد ماقيل فلذلك سيكون مانكتبه عن تاريخ صيداء معزوا الى التواريخ المعتبرة شرقية او غربية ولا نالو جهدا في تمحيص الانباء التاريخية اتم تمحيص ونقدها ادق نقد كماينقد الصيرفي الدرهم فيكون عملنا هذا جهد المقل وسنلم في ذكر سورية وفينيقيا لان صيداء تعد قطعة من سوريا ولانها بلغت مابلغته من المجد والعظمة في زمن الفينيقيين النشيطين هذا ويعد تاريخا لها تاريخا خاصا لانه مختص ببلدة دون سواها وسنشبع القول عن استفحال عمرانها والادوار التي تعاقبت عليها من عز وذل وصعود وهبوط ونفيض البيان عن سكانها وصنائعها وآثارها الى غير ذلك من شوارد الفوائد وقد اصطلحنا على ترتيب تاريخها على النهج الآتي

ابتداء عمرانها الى ظهور المسيح (عليه السلام) وهو تاريخها القديم

من عصر السيد المسيح الى ظهور النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وهو تاريخها المتوسط

من تاريخ الهجرة الى سنة الستين اي من ٥١ سنة وهو تاريخها الحديث

من سنة الستين الى وقتنا الحاضر وهو تاريخها المعاصر

كلام اجمالي عن سورية

جغرافيتها — يحدها شمالا آسيا الصغرى . وشرقا الفرات والبادية وجنوبا جزء من بلاد العرب ويقال له تيه بني اسرائيل وغربا بحر الروم (٢)

(١) معجم لاروس (٢) الكرة الارضية للدكتور فانديك

تسميتها — لم يتفق الكتاب على سبب التسمية فان الذين ترجموا التوراة السبعينية الى اليونانية اطلقوا اسم سورية على البلاد المساة بالعبرانية آرام . والظاهر ان الكتبة اليونانيين خلطوا بين اسم سورية واشور قال هيردوتس في الكتاب السابع من تاريخه والفصل الثالث والستين في الكلام على الاشوريين «وهذا الشعب الذي يدعوه اليونانيون سوريين يدعوته البرابرة اشوريين» وذهب رولنصن الى ان اسم سورية مشتق من مدينة صور فانها في العبرانية والفينيقية صور كما هي في العربية ومعناها الصخر لان المدينة كانت مبنية على صخر وذهب نيرين الى ان هذه الكلمة لو كانت مشتقة من مدينة صور للزم ان تكون تيرسيا لان اليونانيين كانوا يسمون المدينة تيرس . وذهب رتر الى ان هذه الكلمة مشتقة من شور البرية التي دخلها بنو اسرائيل بعد خروجهم من مصر (١)

وهناك اقوال اخرى في سبب التسمية لاحاجة الى ذكرها

مساحتها — ١٥٩٠٠ كيلو مترًا مربعًا (٢) وطولها المتوسط من الشمال الى الجنوب سبعمائة كيلو متر وعرضها المتوسط من الغرب الى الشرق نحو اربعمائة وخمسين كيلو مترا(٣)وهي تمتد من ٣١ً الى ٣٠َ ٣٦ً طولا شماليا مسافة ٣٦٠ ميلا جغرافيا وعرضها يختلف بين ٦٠ الى ١٠٠ ميل فمساحتها حوالي ٢٨ الف ميل مربع (٤)

عدد سكانها — مليون وستماية وستين الفا (٥) وقيل مليونان (٦) ولعله الاصح وقد يزيد عدد سكانها كثيرا بعد احصاء نفوسها

---

(١) المقتطف مجلد ١٣ جزء ٨ صفحة ٥٦٥

(٢)معجم لاروس (٣) تاريخ سوريا للدبس نقلا عن المعجم التاريخي الجغرافي لبويليا (٤) دائرة المعارف (٥)المرآة الوضية لفانديك (٦) معجم لاروس

اشهر مدنها — حلب واسكندرونه وانطاكية واللاذقية وحماه وحمص وطرابلس ودمشق وبيرت وصيدا وصور وعكا وحيفا ويافا والقدس ونابلس وصفد وطبريا والناصرة والعريش (١)

ولاياتها — حلب ودمشق وبيروت ومتصرفية القدس ومتصرفية لبنان ويطلقون الآن على دمشق ولاية سورية وتقسم كل من هذه الولايات الى الوية واقضية مما لاحاجة الى تفصيله واهلها يتكلمون في العربية العامية ويوجد في بعض توابع حلب اتراك يتكلمون في التركية واكثر اللغات الدخيلة انتشارا بها التركية فالافرنسية فالانكليزية فالالمانيه

اختلاف اسمائها — كانت سوريا قديما مقسومة الى قسمين سوريا وفلسطين ولكن اطلق اسم سوريا على الاثنين منذ اضافتها الى المملكة الرومانية قبل التاريخ المسيحي بمدة يسيرة واطلق عليها اسم الشام منذ افتتاحها من العرب المسلمين في اثناء سنة ٦٢٢ للمسيح (٢) وانما سميت شاما لان قوما من بني كنعان تشاءموا اليه اي تياسروا والانه عن يسار الكعبة وقيل سمي شاما بسام بن نوح واسمه بالسريانية والعبرانية شام وقيل سمي شاما لبقع فيه بيض وحمر وسود تشبيها لها بالشامات وهي ايضا تجمع على شام كما تجمع الهامة على هام (٣)

اصل السوريين — اختلف الباحثون في اصلهم فمنهم من عزاهم الى اصل سامي ومنهم من انكر ذلك على ان مما لاشبهة فيه بانهم اوزاع شتى **الدول التي تعاقبت عليها** — كان حكامها اولا نفس سكانها وهم الفينيقيون ثم امتلكها الفرس فالرومان فالعرب فالعثمانيون لعهدنا هذا ولهذه الاجمالات تفاصيل تاتي في غضون البحث عن تاريخ صيداء

(١) دائرة المعارف (٢) المرآة الوضية (٣) تاريخ ابي الفدا

كلام اجمالي عن فينيقيا

تسميتها — اتفق كافة المؤرخين على ان كلمة فونيق يونانية واستدلوا على ذلك بان هذا الاسم لم يرد في الاسفار المقدسة التي كتبت في العبرانية بل ورد بها تسمية فينيقيا (بلاد الكنعانيين) نسبة الى كنعان بكر حام بن نوح وقيل سميت بهذا الاسم نظرا لانخفاض ارضها ومعنى كنعان الارض المنخفضة

اما سبب تسميتها فينيق او فونيق ففيه عدة اقوال لا حاجة الى تفصيلها و اقربها من الصواب ما اجمع عليه المؤرخون من قديم وحديث من ان شجر النخل كان كثيرا في تلك البلاد واسمه في لغتهم فينيق ويدلك على ذلك تصوير تلك الشجرة على اغلب مسكوكاتهم (١) وذهب ثلة من العلماء الباحثين بان سبب تسمية اليونان لهذه البلاد فونيق لان اقدم الآثار المصرية عبرت عنها في كلمة فون او بون عن بلاد العرب الشرقية وشاطئ خليج العجم من حيث اتى الكنعانيون كما يأتي وزاد العرب حرف النسبة وهو الياء (٢) وهناك قول بان تسميتهم هذه نسبة الى جدهم الاعلى فينيكس (٣)

جغرافيتها ومساحتها — لم تكن تخوم فونيق في كل عصر واحدة

---

(١) اغلب كتب التاريخ والمجلات منها تاريخ سوريا للدبس وقطف الزهور في تاريخ الدهور والمقتطف والمشرق

(٢) تاريخ سوريا نقلا عن تواريخ مسبرو ولانورمان وبرو (٣) بيوك تاريخ عمومي

فقد كانت قبل افتتاح يشوع بن نون فلسطين تمتد من تخوم انطاكيه الى غزة كما يتلخص من كلام هيرودت (كتاب ٤ فصل ٣٩) وكانوا يقسمونها الى فونيقي البحرية وتشتمل على مدن سورية الساحلية وفونيقي لبنان ويشمل اسمها بعلبك ودمشق وغيرهما حتى تدمر على انه بعد طرد يشوع الكنعانيين من جبال فلسطين وانحصار السواد الاعظم منهم في السواحل البحرية اصبح اسم فونيقي لايشمل الا الاصقاع الساحلية من عكاء او جبل الكرمل جنوبا والى ارواد شمالا مع ما يجاور هذه السواحل من جبل لبنان (١)

وقد حددها جمهور الجغرافيين بما يلي: جبل الكرمل جنوبا الى طرطوس شمالا (٢) او من قرب جبل الكرمل جنوبا الى قرب مصب نهر العاصي شمالا (٣) وطولها مائة وعشرون ميلا ويختلف عرضها ما بين لبنان وبحر الروم من اثني عشر ميلا الى ميلين او اقل منها (٤) واما تخوم الفينيقيين الى جهة الشرق وان تكن غير معروفة تماما فليس لنا دليل على انها امتدت الى مسافة اكثر من عشرين الى ثلاثين ميلا عن شاطىء البحر فبناء على ذلك تكون المملكة الفينيقية التي اشتهرت بهذا المقدار قديما قد انحصرت في رقعة ضيقة من الارض ممتدة من سواحل البحر الى قاعدة الجبال من جهة الغرب (٥)

اصل سكانها — قد انكر كثير من المؤرخين الاصل الفينيقي على الفينيقيين والراجح ان مواطنهم سواحل خليج العجم نزلوا فيه جزائر البحرين وما يجاورها ثم هاجروا الى فينيقية (٦)

(١) تاريخ سورية للدبس (٢) المقتطف مجلد ١٤ صفحة ٧٢٩ (٣) تاريخ القسطنطينية (٤) المقتطف (٥) قطف الزهور في تاريخ الدهور (٦) المقتطف مجلد ١٤

واما زمان ارتحال الفينيقيين من وطنهم الاصلي ونزولهم على سواحل البحر المتوسط فغير معروف والمحقق انه قديم العهد جدا فقد ذكر هيرودتس في تاريخه ان هيكل ملكارث الذي كان مبنيا في صور بني قبل زمانه بالفين وثمانية سنة فيكون قد بني قبل المسيح بنحو ٢٧٥٠ سنة . وهب ان قول هيرودتس غير صحيح كما يظن جماعة فلا ريب ان الفينيقيين كانوا قد بلغوا درجة سامية في التمدن والعظمة ايام تسلط الملوك الرعاة المعروفين بالهكسوس على مصر (١)

وقد اختلف المتقدمون والمتأخرون في اصل الفينيقيين وزمان دخولهم فينيقية والارجح انهم قبائل كثيرة حامية وسامية وقد هاجروا اليها في ازمنة مختلفة (٢)

انه لا يعلم بالتحقيق اصل هذا الشعب غير انه من نحو اربعة آلاف سنة اخذت سواحل بحر الروم تعمر بسكان جاءوا اليها من بلاد الشرق ولكن من اين جاءوا وكم كان عددهم ومن هم السكان الذين كانوا قبلهم لا نعرف من ذلك شيئا (٣)

والفينيقيون بيض الالوان الا مالوحت الشمس من وجوههم ولا يفرقون عن سائر ابناء جنسهم الابيض الا بسواد شعورهم وعيونهم ومن ظن العلامة سايس انهم يشبهون اهل فلسطين لهذا العهد ومثلهم الاسرائيليون ومع انهم لم يسلموا من الاختلاط بالشعوب الاخرى بحيث تنوعت هيئاتهم فانهم تغلب فيهم الشفاه الثخينة والآناف القنواء والشعر الاسود والعين السوداء والوجه الابيض

(١) المقتطف مجلد ١٤ صفحة ٣٣٣ (٢) المقتطف مجلد ٨ صفحة ٨٣٧
(٣) قطف الزهور

وكل هذه الصفات تدل على الارومة السامية (١)

واصل الفينيقيين سامي وقد اتوا من الخليج العجمي واسسوا ممالكهم على شواطيء البحر المتوسط في كعب لبنان وذلك من القرن الرابع والعشرين قبل المسيح (٢)

اشهر مدنها — اشهر مدن فينيقيه ارواد وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور وعكا (٣)

وقيل عكا واكزيب التي يقال لها اليوم الزيب وصور وصرفند وصيدون وبيروت وجبيل والبترون وعرقا وارواد وجبلة وزمرة وسين ومدناً اخرى كثيرة قد فقدت اسماءها الاصلية وسميت باسماء يونانية ورومانية كطرابلس واللاذقية وغيرهما (٤)

وفي موضع آخر اكثر تفصيلا : اما مدنها المهمة فارواد في الطرف الشمالي فوقعها على جزيرة ارواد . وطرطوس وهي عمريت . وسميرا اقرب النهر الكبير . وسمرون او اوثوسيا في عكار . وطرابلس بناها قوم من ارواد وصيدا وصور ثلثة احياء ودعوها تريبوليس اي المدينة المثلثة . وبيلوس وهي جبيل . ويجري الى الجنوب منها نهر ابراهيم دعي ادونيس نسبة الى المعبود ادونيس . وعلى اميال منه نهر ليكوس اي نهر الذئب دعي بالتحريف نهر الكلب والى جنوبي نهر الكلب مدينة بريتوس اي بيروت قيل اخذ اسمها من بعل بريت معبود الكنعانيين المذكور في سفر القضاة . وصيدا وصور وهما اشهر مدنها (٥)

مستعمراتها — اشهر مستعمراتها قرطاجنة وكاديكيس (٦) ومما

(١) الباحث مجلد ٤ صفحة ١٠٠٦٤ (٢) معجم لاروس (٣) معجم لاروس
(٤) قطف الزهور (٥) المقتطف (٦) معجم لاروس

جزائر في البحر المتوسط قبرص ورودس واكثر جزر الارخبيل ونزلوا مضيقي البوسفور والدردنيل الا انهم تخلوا عنهما لليونان بعد ذلك واستعمروا جزر صقليه وسردينيا وكورسيكا ومالطة وغوزو وكومينو وجزر بيليار والجهة الجنوبية الغربية من اسبانيا وقرطاجنة وما يليها ونشأت لهم في بعض الزوايا دولة مستقلة (١)

ديانة الفينيقيين — اما ديانة الفينيقيين فقد ظهر من متعلقاتها بعض الشيء بشهادة الاثر فتبين انهم كانوا في بدء امرهم يعتقدون بالوحدانية جريا على النهج القويم الذي اعتقده سائر الامم قبل ان تلبست اديانهم بمفاسد الوثنية غير ان كرور الازمنة طمس على الحقيقة وقاد الناس لعبادة الوثن والاجرام او انهم عبدوا صفات الاله الواحد اذ شخصوها افرادا عظاما واوجبوا لها العبادة والاحترام فحدثت من جراء ذلك الارباب وتنوعت الطقوس .

ثم سدل الحجاب على منشأ الدين ووحدة الربوبية وما عتموا ان صاروا يستمدون من سواهم عبادة ارباب اخرى وطقوسها وشعائرها (٢)

للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب للذكر ويسمى عندهم بعل وهو الشمس والربة الانثى وتدعى بعليت وهي القمر والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيي وتميت . ولكل من المدائن الفينيقية ربان خاصة فبعل صيدون (الشمس) وعشتروت القمر ولقرطاجنة بعل عمون وتانيت ولجبيل بعل تموز وبعليت . ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات اتحادا وعددا وهكذا يجيء بعل مثلا في قرطاجنة باسم مولوش ويعتبر عدما . وقد تنوب عن هذه الارباب اصنام ولها

(١) المقتطف (٢) دائرة المعارف البستاني

معابد ومذابح وكهنة يعظمون من شأنهم ويقيمـون لهم المآدب والاعياد الحافلة باعتبار كونهم مخربين وتعبدعشتروت ربة الصيدالعظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة ويرسم بعل مولوش في قرطاجنة تمثالا عظيما من الفلز باسطا ذراعيه ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالا تسقط للحال في هاوية من نار . وقد قدم اعيان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا للربة مولوش في خلال حصار اغاتوكل لقرطاجنة (١)

ودينهم وثني وكان الههم العظيم (بعل) والهتهم المشهورة (عشتروت) (٢)

والفينيقيون مثل الاشوريين والكنعانيين والسوريين عبدوا الشمس والقمر والنجوم والعناصر ونسبوا اليها الكرامات والمعجزات واقامـوا لها التماثيل والمعابد ومن نبغ فيهم من الحكماء والابطال عبدوه ايضا ومن اشهر معبوداتهم بعل ومعناه اله او سيد كانوا يقدمون له المحرقات والذبائح البشرية وكان الكهنة عند اقامة الخدمة يطوفون بالمذبح سجدا ووقوفا ويرقصون ويضجون ويجرحون انفسهم ويتهالكون في استرضاء المعبود واستعطافه ومنها ايضاموالك ومعناه مالك يرمزون به الى الشمس والحرارة والنار وخلطه البعض ببعل وقد بلغوا في عبادته منتهى الوحشية فذبحوا له بنيهم وبناتهم (٣)

اما هياكلهم فكانت مبنية من الحجر مربعة الشكل (٤) الى آخر ما هنالك من وصف ديانتهم ومعبوداتهم

مدنيتهم — لاشك بان الفينيقيين قد ضربو من المدنية بسهم وافر

(١) المقتبس مجلد ١ صفحة ٣٢٣ من مقالة منقولة عن الافرنجية

(٢) معجم لاروس (٣) المقتطف (٤) معجم لاروس

وبلغوا مكانا قصرت عن مباراته اغلب الامم والشعوب وكفاك ما تقرأه عنهم من المخترعات والمكتشفات والصنائع .والفنون مما لم يتسن لغيرهم من الامم وتلك آثارهم تدل عليهم ، وتشهد على عظمتهم ،

على انه لاينكر ان فضل الفينيقيين على اوربا اشهر من نار على علم فهم الذين ادخلوا معارف المصريين والبابليين والاشوريين الى بلاد اليونان وغيرها من بلاد اوروبا وهم الذين علموهم الصناعة والملاحة والتجارة وهم الذين ابلغوا تمدن الشرق الى الغرب وهم الذين فتحوا سبل الاتصال بينهما حتى ابصر اليونان وغيرهم طرق النجاح فنفضوا عنهم غبار الكسل وشمروا عن ساعد الجد (١)

صنائعهم وفنونهم — اشهر صنائع الفينيقيين البرنز والارجوان والزجاج وعمل الحلى والتماثيل والتمائم وقد عودوا سكان البحر المتوسط على الصنائع ولم يكن للفينيقيين فن مختص بهم لكنهم كانوا يتاجرون في المصنوعات المصرية والاشورية واليونانية وتوجد منها بقايا قليلة في سوريا وقبرص وقرطاجنة ومالطة (٢) اما صنائعهم فكانت متنوعة وكانوا يصيغون كل انواع الحلى من الذهب والفضة وغير ذلك من انواع النقوش والزينة والمعادن والعاج وينسجون اجناس الاقمشة فان الانسجة الفينيقية كانت ذات شهرة ورواج في كل العالم (٣)

تجارتهم ومخترعاتهم — كان الفينيقيون ممتازين في البحرية وقد صنعوا اساطيلهم البحرية من احراش لبنان واسسوا على السواحل بلدان بحرية مهمة ومنها كانت تبحر اساطيلهم وكانوا من اعظم تجار القصدير ونظرا لشهرتهم في البحر والتجارة فيلقبون الآن بانكليز العالم القديم

(١) المقتطف مجلد ١٢ صفحة ٣٢٨ (٢) معجم لاروس «٣» قطف الزهور

واخترعوا (الف باء) فضموا دوروا مهما في تاريخ الشرق ولهذا لم نقل بانهم اخترعوا صناعة الزجاج فهم قد اكملوها وحسنوها وكانوا مشهورين بنقش المعادن وحفر الاشياء النافتة والاشخاص والتماثيل (١)

ورد في الفقرات الباقية من تاريخ سنحكيتون الفينيقي الذي عاش قبل المسيح بزمن طويل ان اكتشاف فن الملاحة كان على سبيل الاتفاق والصدفة وذلك ان قوما من الفينيقيين كانوا يقطنون في سواحل سورية في غابات واسعة الارجاء فضربت صاعقة رؤوس اشجارها فاتقدت وامتد لسان اللهيب الى ان التهم كل اشجار الغابة . فلما لم ير اهل تلك الضواحي نجاة من النار قطعوا من اخشاب الغابة المحرقة ما امكنهم القوها في البحر واعتلوا متنها فساروا في مجاهل اليم وكان قائدهم اوزووس Osous

قال سنكيتون ثم سعى الملاحون بعد ذلك بتحسين هذا القارب الاول وكان القائم بهذا العمل كريزور Chrysor الذي اشتهر بعدئذ باسم الاله فلكان Vulcain (٢)

وكان الفينيقيون قد دأبوا على الاتجار في البر والبحر منذ عرفوا في الوجود فبرعوا واشتهروا ولما احتلوا سوريا اخترعوا السفن وبخرت السفينة الاولى من مينا صيداء ثم ازدادت قواهم وامتدت اسفارهم واتسع نطاق تجارتهم بما كانوا يحملون من السلع بين البلدان حتى صارت لهم المملكة في الاعمال واحرزوا القدح المعلى في الكسب والبطش (٣) (يتبع)

* * * *

«١» معجم لاروس «٢» الشرق مجلد ١ صفحة ٢١٧

«٣» دائرة المعارف

سياسة الفينيقيين
ونوع حكومتهم

سياسة الفينيقيين ونوع حكومتهم — كانت حكومة الفينيقيين متفرقة، وآرائهم متشتتة، بيد انهم كانوا اشداء على اعداءهم مجتمعين غير مفترقين ازاء الدخيل الذي يغزو بلادهم، ويعمل على سلبهم حريتهم، وكانوا يمشون في القوافل لبلاد العرب للاتجار كما يوجهون اساطيلهم في البحار لجلب البضائع والاستعمار، وكان يغلب عليهم حب السلم فلا يستنكفون من دفع اتاوة لغيرهم من الحكومات المتغلبة كالمصريين وسواهم ولم يكن لهم هم سوى جمع المال فكأن حب الاثراء ملك عليهم امرهم واخذ بلابيهم وقد نالوا منه مالم ينله غيرهم بفضل الجد والكد وعلى قدر اهل العزم تأتي العزائم (١)

كانت دول فينيقية ملكية ابدا قال استربون حكومة الارواديين ملكية كسائر دول الفينيقيين اما ملوكهم فوطنيون ولما اتى الاسرائيليون البلاد كانت حكومات الفينيقيين كثيرة متعددة على ان كل بلدة صغيرة مع جوارها كانت تتألف دولة مستقلة يسوسها ملك وطني الا ان هذه المدن كانت متحدة للذب عن الذمار اذا دعت الضرورة الى ذلك قيل ان بعضا من ملوكها كانوا يقبضون على صولجان الملك وعلى الرياسة الدينية معا كملشيصادق مثلا فانه كان ملكا لسالم ورئيس احبارها لكن التاريخ لم يذكر لنا عن ذلك شيئا

١ ترجمناها بتصرف ملخصة عن (بيوك تاريخ عمومي)

اما الكتاب المقدس فن روايته ان دول فينيقية ظلت ملكية كل زمان خضوعهم لسيادة الدولة الفارسية قال لانورمان : وكان الحويون على غير مذهب ابناء جلدتهم الكنعانيين ذلك ان مدنهم لم تمن لولاة يلقبون ملوكا بل انهم كانوا متمتعين بحرية وطنية تامة من شأنها ادارة البلاد على نظام جمهوري اه . ويتضح لنا من سلسلة تاريخ ملوكهم انهم كانوا يتبوأون اسرة الملك بالارث لكنه كان لا يسمح بقيام واحد منهم مـا لم ترض به امته وكان للأمة الحق بانتخاب خليفة للعرش اذا بات فارغا (١)

لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث بمندوبيها الى اعظم مدينة فينيقية لفض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر واذ لم يكن الفينيقيون امة حربية خضعوا لسطوة جماع الفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا لهم الجزية عن يد وهم صاغرون (٢)

لغتهم — زعم الكتبة الاولون ان الفينيقيين هم الذين اخترعوا قبلا الحروف الهجائية وجاءوا بها الى اليونان وقال لوكان ان اختراعها كان قبل وجود ورق البابيروس عند المصريين وقال بليني ان الحروف كانت منذ امد طويل عند الاشوريين ويبرهن هذه الرواية الكتابة المسمارية القديمة المهدوان بعض الاشوريين ينسبون اختراعها للسوريين ويقولون ان الفينيقيين ادخلوها الى اليونان وروى هيرودس ان الفينيقيين الذين اتوا مع كادموس قد ادخلوا بين اليونان علوما مختلفة اخصها الحروف التي لم تكن عندهم من قبل

١ تاريخ سوريا لجرجي يني (٢) المجلد الاول من المقتبس

واثبت هذه الرواية كثيرون من الثقاة منهم ديودوروس وتاسيتوس وميلاويوسفيوس وكلامنس والكستدريتوس وايسبوس ثم ان الاحرف اليونانية تشابه الاحرف العبرانية ولا وجه لاتصال الاحرف العبرانية الى اليونان فيغلب على الظن اذاً ان اللغة العبرانية تشابه اللغة الفينيقية على ان الاحرف العبرانية الدارجة كانت احدث عهدا من زمن دخول الاحرف الى اليونان وفي الجيل السادس عشر اجمع العلماء على ان الحروف لم تكن من اختراع عذرا على ما قاله التلمود بل انها من اصل كلداني جاء اليهود بها بعد رجوعهم من جلاء بابل وبما ان اللغتين العبرانية والتدمرية تتشابهان كثيرا فقد حكم العلماء ايضا انهما من اصل واحد وان اللغة الفينيقية تشابه كلا من اللغات العبرانية والتدمرية والسامرية وقد بحث كثيرون من المدققين في ذلك توصلا لادراك كنه اللغة الفينيقية فلم يبلغوا حتى الآن الشأو الذي يريدون لكنهم لا يقعدون عنه (١)

قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥٥٣) لا نعرف احرفاً للكتابة سبق وجودها حروف الفونيقيين بل نعلم ان كل مابقي له اثر من الحروف وجميع الحروف المستعملة اليوم في كل اللغات قد صدرت تواً عن الحروف التي وضعها الفينيقيون او تفرعت عن احد فروعها فالحروف الفونيقية ام وحروف سائر اللغات اولادها

ان لغة الفونيقيين سامية فهي اخت اللغة العبرانية التي تكلم بها العبرانيون والعربية التي تتكلم بها العرب وهؤلاء ساميون بلا مراء (٢)

آثارهم — ان آثارنا تدل علينا فاسئلوا بعدنا عن الآثار

آثار عظيمة عفت، وبقايا مهمة درست، واعمال جسيمة بادت، وقصور

١ تاريخ سوريا لبرجيريني ٢ تاريخ سوريا للدبس

فخمة هوت ومادت؛ امم تزول واحـوال تحول وبدور يعتريها الافول ولم يبق الا الذكر الجميل والعمل الجليل ولكن قـل المتعظون وتزر المقتدون وندر المعتبرون وذهب المشبه بهم والمتشبهون

أين الملوك ذوو التيجان من يمن واين منهم أكاليل وتيجان
واين ماشاده شداد في أرم واين ما ساسه في الفرس ساسان
واين ما حازه قارون من ذهب واين عاد وشداد وقحطان

واين الفينيقيون « ملوك البحار وتجار الامم » واصحاب الثروة وارباب الهمم الذين سادوا الشعوب بجدهم وشادوا الممالك بكدهم وباهوا بالسلام والامان وفخروا بالتجارة والعمران واشتدت صولتهم بحكمتهم وقويت شوكتهم بهمتهم حتى اتخذوا اسفنهم من سرو سنير (١) وسواريها من ارز لبنان ومجاذيفها من بلوط باشان (٢) ومقاعدها من العاج المطعم في بقس كتيم (٣) وراياتها من مطرز مصر القديم وشراعها من فاخر كتانها واغطيتها من اسمانجوني جزائر اليشه (٤) وارجوانها .

وركبوا البحر والبر فجازوا عمودي هرقل واحتفروا القصدير من بلاد الانكليز وجاءوا بالاطيار من جزائر كناري وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص من ترشيش (٥) وبالعبيد والاماء وآنية النحاس من ياوان (٦) وتوبال (٧) وما شك (٨) وجلود الاسود والفهود والفيلة من بلاد المغاربة والخيل والفرسان والبغال من بيت توجرمة (٩) والبهرمان والارجوان والمطرز والبوص والياقوت والمرجان من آرام (١٠) وبالخمر والصوف من

١ حرمون اي جبل الشيخ ٢ بلاد حوران ٣ قبرص ٤ لعلها المورة
٥ يظن انها في اسبانيا ٦ اليونان ٧ في نواحي قوقاف ٨ لعلها في بلاد المسكوب
٩ في ارمينية ١٠ مملكة سوريا

دمشق والحنطة والحلاوي والعسل والزيت والبلسان من يهوذا واسرائيل (١١) والغزل والحديد المشغول والسليخة وقصب الذريرة من دان (١٢) وياوان وطنافس الركوب والابنوس والعاج من الهند وعرب ددان . والكباش والاعتدة والخرفان وافخر انواع الطيب والحجارة الكريمة والذهب من بلاد سبا ورعمة وغيرهما في جزيرة العرب . ونفائس الاردية الاسمانجونية والمطرزة واثمن اصناف المبرم في اصونة الارزمن حرّان (١٣) وكنه (١٤) وعدن وشبا واشور الى غير ذلك من الهند في اسيا شرقاً حتى تاتي بلاد المغاربة في افريقية واطراف بريطانيا في اوربا غربا — اين الذين فاقوا السلف في الصناعة وسبقوا في تعميم الحضارة واتقنوا العمارة — اين الذين استنبطوا حروف الهجاء وعلموا الناس الكتابة وانشأوا المهاجر واوجدوا الاساطيل وتفردوا في الملاحة وسلك البحار القديم

اتى على الكل امر لامردله حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان (١٥)

لم يحفظ عن الفينقيين كتاب فقد ضاعت حتى كتبهم المقدسة ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم الا في البلاد المهملة المتروكة . على ان السوريين عنوا كثيرا بالخرائب فانتهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى وهدموا العمارات ليستعينوا بأحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبق اليوم سوى شقق من الرخام المحطم واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر اطلال فلما تجدي

١١ فلسطين ١٢ تل القاضي ١٣ في شمالي الجزيرة او ما بين النهرين
١٤ هي كلنة المروفة في التاريخ ١٥ المقتطف مجلد ١٢ صفحة ٣٢١

نفعا وتأتي العلم بفوائده ليس ما عرف عن الفينيقيين الا ماعلمناه كتاب اليونان وانبياء اسرائيل (١)

والآثار الفينيقية كثيرة في متاحف اوربا منها مائة وعشرون اثراً في متحف لندن اخذ اكثرها من سيتوم في قبرص (هي لارنكا الان) وسردينيا ومالطة ومنذ ثلاث سنوات وقد وجد عدة نواويس وآثار قرب صيدا منها ناووس فينيقي عليه كتابة مهمة نقل الى الاستانة العليه . . . وسنة الف وثمانمائة وستين جاء ارنست رنان في بعثة آثارية فوجد عدة آثار وكتابات فينيقية في طرطوس واروادوا كتشف هيكل اوتيس في جبيل ومعابد للزهرة وبعل في صيدا وصور وام العواميد وقد وصفها جميعا في كتابه المشهور بالبعثة الفينيقية (٢)

ويجمل القول بأن ما وصل الينا من آثار الفونيقيين قليل جدا وهذا من العجب العجاب لان شعبا اخترع الكتابة بالحروف ونشرها في جميع الاقطار والامصار جدير بان يخلف لنا آثارا جديرة في الاعتبار مع انه لم يكن شيء من ذلك بينا نرى المصريين والاشوريين مع تعسر رسم علاماتهم وصعوبة حل رموزها ملأوا صخور المدافن وحجارة الهياكل وصفائح القصور من الآثار الناقصة وحفروا على الآجر ما يؤلف مجموعه كتبا ضخمة مشتملة على تواريخهم وانسابهم وعلومهم فهل اغفل الفونيقيون ذلك طمعا في الارباح واسترسالا في تحصيل اللجين والنضار ام عدت على آثارهم عوادي الحدثان فلم تبق منها ولم تذر الا ما قل وندر

ولو تأملنا في مجموع آثار الفينيقيين التي اكتشفت لم نجد بها مايستحق الذكر بالنسبة لتلك الامة العظيمة التي طبق ذكرها الخافقين وسمت بعلو كعبها وعظيم جدها الى اوج النيرين (٣)

١ المقتبس مجلد ١ صفحة ٣٢٠ ٢ المقتطف مجلد ١٤ ٣ مقتبس من تاريخ سوريا للدبس

سيئات الفينيقيين — ومما يعاب على الفينيقيين غشهم في دياناتهم وكذبهم وتحيلهم في اخبارهم ومعاملتهم فأنهم كانوا يروون عن الاماكن البعيدة التي يذهبون اليها الأخبار الملفقة والاقاصيص والخرافات الطافحة بالأكاذيب حتى صار القدماء يضربون المثل في كذبهم فيقولون اكذوبة فينيقية . وكانوا اذا دخلوا بلادا لم يتخرج اهلها في التجارة يتحيلون عليهم حتى يسلبوهم امتعتهم بأرخص الاثمان واذا اصابوا سفنا مشحونة بالبضائع في الجهات المنفردة التي يؤمن فيها عدل القضاء وسيف الحاكم ينقضون عليها كالنسور ويسلبون ما فيها ويستعبدون ذويها ويبيعونهم مع من يبيعونه من العبيد والاماء وكانوا حريصين على احتكار المتاجر واخفاء الطرق عن غيرهم . حكي ان سفينة رومانية رأت سفينة فينيقية خارجة من قادس وسائرة في الاوقيانس الأتلنتيكي لشحن القصدير فاقتفت اثرها طمعا في الاهتداء الى مناجمهم فلما احس ربان السفينة الفينيقية بذلك عدل عن طريقه الى البر وابطل السفر فرجعت السفينة الرومانية خائبة ولما علمت الحكومة الفينيقية بما جرى اجازت السفينه الفينيقية بقيمة ثمن البضاعة التي كانت سائرة في طلبها وذلك لانها تحملت الضرر رغبة في حصر منافع القصدير في بني وطنها(١)

ومهما يكن من الامر فقد تبين لك بان للقوم فضائل كما لهم رذائل بيد ان فضائلهم غالبة ولو تبصرنا مليًّا لالفينا اعظم حكومات هذا العصر المتمدنة منغمسة في حمأة سيئات قد يتنزه عن بعضها الفينيقيون الذين عاشوا في عصور الظلمات فهم يبثون التعصب باسم الدين ويغشون الناس بصفة التجارة ويغتصبون البلاد تحت ستار الشفقة والحنان وتخليص الانسانية

(١) المقتطف مجلد ١٢ جزء ٦ صفحة ٣٢٧

من الظلم والعدوان ولم تخل امة قط في غابر الزمان وحاضره من المعائب والكمال محال والامة التي تتغلب حسناتها على سيئاتها هي الامة المجيدة التي يزان بها صدر التاريخ وتحلّى باعمالها اجياد العصور ولا بدع اذا اتصف الفينيقيون بما اتصفوا بعد ما نالوا ما نالوا من المجد والعظمة وقد أتي على ذكرهم غير مرة في قصة تلياك الشهيرة فوصفوا بالكبر والعظمة حتى اغضبوا (سازوستريس) احد ملوك مصر فصب عليهم نقمته . وان للقوم محامد قد تمحو مثالبهم كما ان لامم اوروبا الراقية مثل ذلك (ان الحسنات يذهبن السيئات) فما بالك بقوم تغلبت سيئاتهم على حسناتهم فرأوا حسنا ما ليس بالحسن وجنوا من ثمرات اعمالهم وتقاليدهم المصايب والاحن فاصبحوا اعبيدا بعدما كانوا احرارا وخداما بعدما كانوا اسيادا

امور تمر ، وشقاشق تهدر وتقر ، امم تفنى وتضمحل ، وشعوب تهتدي وتضل ، ولا يبقى الا العمل الصالح ، والسعي الحميد الناجح ، وهل يهدينا الى تلك الامور ، ويعرفنا هاتيك الاحوال ، الا التاريخ الذي يزدري به بعض خاصتنا فما قولك بعد ذلك بعامتنا ؛ اما يجدر بنا ان ندرس التاريخ درسا كافيا ، ونبحث فيه بحثا وافيا لنقف على حقيقة تلك الامم البائدة ونتخذ من احوالها امثولة نافعة ودرسا مفيدا وهذه الامة الفينيقية التي تلونا عليك مجمل امرها ، واتينا على لمحة من ذكرها ، اولا نراها جديرة في الاعتبار وتدوين ما خلفته من اخبار وآثار ، وما عمرته من بلدان وامصار ، والعاقل العاقل من تحدى الحسنات ، وتجنب السيئات ، لا كما نفعله نحن الان من تقليد الغربيين في اتيان المنكرات وترك الدين ،

هذا مجمل ما نكتبه الآن عن فينيقية وقد آن الشروع في المقصود والابتداء في تاريخ صيدا والله غالب على امره وله عاقبة الامور (يتبع)

تاريخها القديم

من ابتداء عمرانها الى ظهور المسيح

(عليه السلام)

تأسيسها وتسميتها واصل سكانها وموقعها ومساحتها :-

(صيداء) بالفتح ثم السكون والدال المهملة والمد واهله يقصرونه وما اظنه الا لفظة اعجمية الا ان اصلها في كلام العرب على سبيل الاشتراك قال ابو منصــور الصيداء حجر ابيض يعمل منه البرام جمع برمة . وقال النضر الصيداء الارض التي تربتها اجزاء غليظة الحجارة مستوية الارض وقال الشماخ

حــذاها من الصيــداء نعلا طراقها * حوامي الكراع المؤيدات العشاوز

اي حذاها حرة نعالها الصخور * وهي مدينه على ساحل بحر الشام من اعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ قالوا سميت بصيــدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام.

قال هشام عن ابيه انما سميت صيداء التي بالشام بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح (عليه السلام) وطول صيداء تسع وخمسون درجة وثلث وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان وهي في الاقليم الرابع (١)

قال الزجاجي اشتقاقها من الصيد يقال رجل اصيد وامرأة صيداء

(١) قالوا الدرجة قدرما تقطعه الشمس في يوم وليلة من الفلك وفي مساحة الارض خمسة وعشرون فرسخا وتنقسم الدرجة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية والثانية الى ستين ثالثة وترتقي كذلك اما الاقاليم فقد اصطلح المتقدمون على تقسيم الدنيا الى سبعة اقاليم ذكرت في كتبهم مفصلا (ملخص عن معجم البلدان)

وهو ميل في العنق من داء وربما فعل ذلك الرجل كبرا والنسبة اليها صيداوي وهذه نسبة مالاينصرف من الممدود ولو كان مقصورا لكان صيدوي كقولهم في ملهى ملهوي وفي مرمى مرموي ومن اسمائها اربل بلفظ اربل الموصل وذكر السمعاني انه ينسب اليها صيداني بالنون كأنه لحق بصنعاء وصنعاني وبهراء وبهراني [١]

صيدا Saida اسمها باللاتينية صيدون Sidon وفي العبرانية صيدو ومناسبة هذه التسمية كون السمك بها كثيرا او كون اهلها الاقدمين صيادين ومنهم من ينسب تسميتها الى صيدون بكر كنعان ويوجد مابين بساتينها مقام يحترمه المسلمون واليهود يدعى النبي صيدون فلعله كان قديما هيكلا لصيدون

واذا اعتبرنا كلام (بوستيانوس) فانه يقول بان صيداء اسست قبل مدينة صور لان جالية الصيدونيين اسسوا صور ولو لم يقم دليل مقنع على ذلك فان الكتاب المقدس ينبئنا بان صيداء كانت في الزمن القديم مدينة مهمة وقد دعاها يوشع بن نون صيدون العظيمة ولا بد من ان تكون اسست قبل ذلك بألفي سنة واحد المؤرخين ينسب تأسيس صيداء وتسميتها الى (سيدوس) جد (ماشيسادق) وابن (اجيتيوس) وفي قصائد هوميروس الشاعر اليوناني ان الصيدونيين كانوا مشهورين في حرب (طرويدة) في المهارة بالفنون وقسم من الكتاب الذي ارسله سليمان الى حيرام ملك صور يبرهن ان الصيدونيين كانوا تحت حوزته ولهم شهرة بقطع الاخشاب [٢]

صيداء صيدون (صيد) مدينة فينيقية قديمة غنية مبنية على جانب من

١) معجم البلدان (٢) كتاب گيران السائح الفرنساوي Guerin

رأس شمالي يمتد من ساحل عرضه نحو ميلين بين جبل لبنان والبحر المتوسط على بعد ٢٥ ميلا جنوبي بيروت وعشرين ميلا شمالي صـور وفي عرض ٢٤°٣٣ شمالا

وهي من اقدم مدن العالم واسمها مأخوذ من بكر كنعان بن حام بن نوح وكان ذلك سنة ٢٢١٨ قبل المسيح او قبل ذلك وسميت في ايام يشوع صيدون العظيمة وكانت حينئذ ام مدن فينيقية وحدا لتخم سبط اشير الا ان الاسرائيليين لم يملكوها(١)

ان اقدم واشهر الممالك الكنعانية هي مملكة صيدون التي وضع اساساتها بكر كنعان ودعيت مدينة الصيادين اشارة الى سلطانه الابوي وشجاعته قال القديس اغوسطينوس لم يكن هـذا الاسم ليدل فقط على القوة والحذاقة في اصطياد الحيوان بل على الشجاعة والمهارة في التسلط على الناس واسترقاقهم فرفع هذا البطل مقام عشيرته بشهامة وحسن سياسة في صدر الاجيال الاولى فجاء شعبا مقداما سعى وراء المنافع ونال قصبات السبق في التسلط على البحار فضارع بذلك نمرود الكوشي ولقب شعب صيداء وكل الشعب الكنعاني بالصيدوني الا ان هذه المملكة لم تكن متسعة الحدود لان المشائر المتسلسلة منها قد اخذت استقلالا منفردا عنها ولكنهم كانوا جميعا مشتركين في اللغة والدين والعوائد يضافرون بعضهم بعضا ابان الشدة ويدعون الخارجين عنهم اميين كراهة وتحقيرا حسبما اشار هيرودتس

كانت حدود هذه المملكة من الشمال نهر الدامور كما ابان يوسيفوس

---

(١) قاموس الكتاب المقدس للدكتور پوست

ومن الجنوب الى جبل الكرمل ومن الشرق الي منحـدرات الجبال في الراجح الى ان استقلت الممالك التي انسلخت عنها فضيقت حدودها وانزلتها الى الدرجة الثانية وعلى الاخص مملكة صور التي كانت تنافسها وتسابقها بادىء امرها في النفوذ والسطوة فادى ذلك الى منازعات كثيرة ودليلنا ما كان من الخلاف بينهما على مدينة صرفت (الصرفند) الفاصلة بين المدينتين فانها كانت تخضع وقتاً لهذه وآخر لتلك

قد بنيت صيداء على قمة داخلة في البحر في سفح طرف لبنان في القرن الخامس والعشرين قبل المسيح ولقبت بابنة كنعان البكر وهي قاعدة مملكة الكنعانيين الاولى(١)

واما مدينة صيداء فهي الى الجنوب من بيروت مسافة يوم على شاطيء البحر وهي صيدون القديمة قال يوسيفوس اليهودي تسمت على اسم صيدون بكر كنعان بن حام بن نوح وهي اقدم من صور(٢)

صيدون القديمة اقدم مدن الفونيقيين وكانت تسمى ام المدائن ماعدا جبيل المقدسة ولذلك سماها الكتاب صيدون الكبيره وكانت منقسمة الى محلتين صيدون الكبرى على شاطيء البحـر وصيدون الصغرى على مسافة من نحو الجبل . وانكر بعضهم ان يكون اصل لذلك الا قول الكتاب الآنف الذكر «صيدون الكبيرة» فتوهم بعضهم انه سماها الكبيرة تميزا لهـا عن صيدون اخرى صغيرة فقالوا ماقالوا ولم يحقق احد الجغرافيين وجود صيدونين (٣)

---

(١) اساطير الاولين (٢) الكرة الارضية لفانديك
(٣) تاريخ سوريا للدبس نقلا عن كلمت في معجم الكتاب

وصيدا اقدم مدن الفينيقيين وغلظ امرها كثيرا في الزمن القديم فكانت مدة قوتها نحو ١٢٠٠ سنة ق٠م [1]

وقد اتي على ذكر صيدون في غير موضع من كتب العهد القديم في التكوين ويشوع والقضاة وصموئيل والاملاك واشيا وارميا وحزقيال وزكريا ترى اسمها مكرراً تارة صيدون وطوراً صيدون العظيمة الى غير ذلك

علمت مما تقدم بان صيداء اقدم مدن فينيقيا ولا شبهة بانها بنيت قبل صور وان فاقتها هذه بعد ذلك اما سكانها الاصليون فقد تقدم معك (في الكلام عن فينيقيا) بانهم من خليج العجم والذي نستنتجه من مجموع اقوال المؤرخين بان صيداء بنيت من اربعة آلاف واربعمائة سنة ولكن لو اردنا اعتبار كلام هيرودتس في هذا الشان للزم ان نحكم بانها بنيت قبل ذلك بزمان لانه قال بان مدينة صور مأهولة حين زيارته لها منـذ الفين وثلاثماية سنه وهو قد ولد سنة ٤٨٤ ق٠م فعلى هذا يكون بناء صور من زهاء اربعة آلاف وستماية وخمسين سنة ولا شك بان بناء صيداء متقدم عليها بزمن غير قصير وبين بناء هذه وتلك مايتي سنه على اقل تقدير

ملوكها وسياستها وسائر احوالها الاجتماعية — يصعب على الباحث في احوال صيداء ان يعلم شيئاً اكيداً عنها منذ ابتداء عمرانها تفصيلا وغاية مايمكن معرفته من الكتاب والآثار اجمالات لاتشفي الاوام ولا تفي بالمرام والذي يظهر لنا من خلال ابحاث المؤرخين ومجموع اقوالهم ان الصيدونيين صرفوا همهم للتجارة والكسب والاستعمار فلم يعبأوا بالسياسة كثيرا ولم يدون لهم عنها الا شيئاً يسيرا ونحن نذكر اهم مااتصل بنا في هذا الشان

(١) التاريخ القديم

اما حكومة صيدا الفينيقية فكانت مستقلة في داخليتها كغيرها من المدن على ان جماعة من الاعيان فيها كانوا يعضدون السياسة الاريستوكراتية اي المنسوبة الى حزبهم

وقد قال بعض المؤرخين ان الفينيقيين لم يبذلوا وسعهم للتقدم بالفنون العسكرية لانهم لم يقصدوا فتحا واقداما بل كانوا يحشدون الجيش للذب عن الذمار اذا مست الحاجة على ان عمارتهم كانت قوية باطشة فكانت تصون الثغور وكان الصيدونيون يعيشون براحة وسلام وسط اضطرابات اعدائهم وجيرانهم غير مبالين بهم ولهذا لم تكن دولتهم على خطر السقوط لانهم لم يقصدوا فتحا[1]

انحصر سؤدد الفينيقيين وعظمتهم بادي ذي بدء في الصيدونيين الذين خاضوا غمرات البحار وسعوا وراء تذليلها وافتتحوا البلاد الواسعة والجزر الشاسعة واستعمروا المستعمرات المهمة فعلوا كل ذلك كلفًا بالتجارة وحبًا بالصناعة لانهم لم يكن لهم ما يكفيهم وسائر الامم الكنعانية ارضًا يحرثونها ويجنونها وقد ركبوا البحر واخترعوا الملاحة على حين انه لم تكن امة من امم الارض تجسر على ركوب البحار وقد احتكروا الملاحة عدة قرون فلم يكن لهم فيها مباريا ولا مزاحما

وقد كتب عن الصيدونيين العالم بوجو الافرنسي في كتابه المعروف بمراسلات المشرق ما خلاصته

من المدهش ذكاء الصيدونيين القدماء وخبرتهم بالصناعة وقد اطرى هوميروس الشاعر اليوناني الصيدونيين قائلا بانهم اهل لكل شيء فاقدم التواريخ تقلد ابناء صيدون القدماء اكاليل المجد والفخر ولا بدع

(١) تاريخ سوريا للدبس جي بغ

فهم اول من افاض على الانسانية معين الحضارة والعلم والصناعة نعم قد يكونون اخذوا عن الامم التي تقدمتهم كالهنود والفرس والبابليين بعض المعارف والتقاليد النافعة بيد انهم اخذوا ذلك حجرا وجلوه جوهرا ومن استرق شيئا فقد استرقه وبينما كان المصريون يحجبون انوار عرفانهم عن بقية الامم كان الفينيقيون ينشرون انوار معرفتهم في جميع الاقطار والامصار ولو لم يكن للصيدونيين الا اختراع الملاحة والكتابة لكفى

اما السياسة على عهد الصيدونيين فمالا يخفى بان العشائر الكنعانية تنقسم الى ممالك عديدة لاعلاقة لاحداها في الاخرى غير ان بعض العشائر كانت تنضم الى بعضها فتقر بالسيادة لملك من ملوكها وكانت السيادة بادي ذي بدء لملك صيدا وكان جميع ملوك سورية في عهد الملوك الرعاة ناعمي البال لان اولئك الملوك كانوا سوريين ولما بادت دولة الرعاة من مصر اخذت الدولة التي قامت مقامها تجنح الى الاستيلاء على سوريا وبسط نفوذها وسيطرتها في ارجائها غير ان الصيدونيين خضعوا لفراعنة مصر وفضلوا السلم على الحرب وآثروا الراحة ونجاح التجارة على العصيان والخسارة وهذا بيّن من الآثار المصرية لانك لاتجد بها ذكراً للصيدونيين في خروج او ثورة وذلك كله في عهد فراعنة الدول الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرين (١)

وكان لصيدون التقدم فعظمت الى ان رأست سائر مدن الفينيقيين لكنها لم تتسلط عليها كل التسلط فبقيت تلك المدن على نوع من الاستقلال غير انها سلمت لصيدون بالرياسه في دفع الاعداء وبعض امور التجارة ولم تتمكن من مد سلطتها برا ولما عظم امر المصريين ايام الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين من القرن السابع عشر الى نحو القرن الثاني عشر

(١) ملخص بتصرف عن تاريخ سوريا للدبس

ق . م خضع الفينيقيون بعض الخضوع لهذه الدول على مايظهر ودفعوا الجزية او لعلهم قاموا بخدمة ملوك مصر في البحر بدلا من الجزية وكانت سفن المصريين حينئذ فينيقية وملاحوها فينيقيين وما اتوا ذلك الا بشرط ان تطلق لهم الحرية في امور التجارة

ومما يؤيد القول بان صيدون صالحت الفراعنة يومئذ انها لم تذكر في سجل فتوحاتهم في سورية[1]

اما عدد سكانها في ابتداء عمرانها واستفحال امرها فمجهول لدينا لانه لم ينقل في تاريخ من التواريخ او اثر من الآثار غير ان الشائع على الالسن والمرجح عند الباحثين بان عدد سكان صيداء خاصة كان يتراوح بين المليونين والثلاثة ملايين نفس ولا يستغرب ذلك اذا صح بان عدد سكان فينيقيا كان آنئذ ٢٨ مليونا والمنقول ان صيداء كانت تمتد مسافة ساعتين اما ديانة الصيدونيين فكانت وثنية على حسب ما تقدم ممك في فينيقيا ولم ينقل بان لصيداء معبد خاص كما في صور وجبيل وسواهما ولعل التجارة الهت الصيدونيين حتى عن معبوداتهم واقامة شعائر دينهم

اما اسماء ملوكهم وما تعاقب عليها منهم فهو مجهول لدينا ايضا قبل القرن الرابع قبل المسيح اما بعد ذلك فنعلم بعض الشيء عنهم اما عاداتهم واخلاقهم فنعلمها من عادات واخلاق الفينيقيين لانهم منهم واما اشهر مستعمراتهم فهي قبرص ورودس وغيرها من المستعمرات العديدة المنتشرة في الشرق والغرب واشهر صنائعهم استخراج الصبغ من حيوان يسمى الارجوان وهو (البرفير) وكانوا يستخرجونه من جهة (ابا روح) اي من البحر اما الآن فقد انقرض ذلك الحيوان فسبحان المحيي المميت

(١) دائرة المعارف للبستاني

صعودها وهبوطها

علمت ان صيداء بنيت قبل المسيح (عليه السلام) بزهاء الفين وخمسماية سنة على القول الرجيح وقد اجمع المؤرخون بان زمن عظمتها ووقت سوددها دام نحو الف ومايتي سنة وكان ابتداء انحطاطها في القرن الخامس عشر قبل الميلاد لان اعتماد الصيدونيين كان على الملاحة والاستعمار وقد استعمروا جزائر الارخبيل لكن البلاسج سكان تلك الجزر عقدوا عهدة مع البلاد المهمة كاليونان وايطاليا وكريت وصقلية وسردينيا وبين الليبين في افريقيا فنجح البلاسج في الملاحة حتى زاحموا الصيدونيين واخرجوهم من الجزر لانهم اكثروا الاعتداء عليهم ثم اعقب ذلك افتتاح بني اسرائيل بلاد الكنعانيين وطرد يشوع بن نون لهم من مواطنهم وتمليكه ارضيهم لشعبه فهو وان لم يحارب ملك صيدا غير ان غزوته غيرت حالة البلاد واضنك صيداء لأنه دمر احدى وثلاثين مملكة صغيرة وقتل ملوكها وقد كانوا للصيدونيين عضدا ولما كثرت الغارات في ساحل صيداء أكره كثيرون من اهلها على النزوح لجهات مختلفة وبعد ذلك اتى الفلسطينيون من كريت وجزر بحر الروم للاستيلاء على مصر فقاومهم ملكها رعمسيس الثالث واسر اغلبهم واسكنهم على الحدود الفاصلة بين مصر وسوريا في غزة وجهاتها وقد اشتدت عزيمتهم وعظمت سطوتهم فانشأوا الاساطيل ونظموا الجيوش واعانهم على هذا الظهور خمول ملوك الدولة العشرين المصرية فسولت لهم انفسهم الاستيلاء على سوريا الجنوبية

فاذلوا بني اسرائيل وسطوا على الصيدونيين ونكلوا بهم وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد سيروا اسطولهم على حين غرة الى صيداء ولم يكن اهلوها على استعداد للقتال فافتتحوها عنوة ودمروا المدينة وكان ذلك نهاية سوءدد صيداء

ومن المدهش جدا عدم ذكر المؤرخين لاسماء ملوكها في غضون ذلك الحين مع انهم ذكروا ملوك صور واحدا واحدا ولعل الاكتشافات لم توصلهم الى ذلك وهي وحدها المعول عليها في هذا الباب وغاية ما عثرنا عليه نتفا من اخبار ملوكهم في اثناء الكلام على الملوك الفاتحين الذين اجتازوا سوريا واخضعوا سلاطينها لسلطانهم فمنهم اشورنزيربال الذي اكتشف تمثاله في اسوار حصن نمرود وهو الآن في المتحف البريطاني فانه غزا سوريا في القرن التاسع قبل المسيح واستولى على بعض مدنها واصطلح مع البعض باخذ الجزية منهم وقد عدد ملوك شاطيء البحر الذين اخذ منهم الجزية فمنهم ملوك صيدا وصور وارواد وكانت جزيتهم فضة وذهبا ونحاسا وحديدا وادوات من حديد ونسائج من صوف وكتان واخشابا من الصندل والابنوس وجلود حيوانات بحرية وقد كانت تلك الغزوة في عهد ايتوبعل ملك فينيقي في ذلك الحين

وفي القرن نفسه ايضا اخذ الجزية من الصيدونيين سلمناصر بن اشورنزيربال وفي القرن الثامن حصل نزاع لا تعلم دواعيه وتفاصيله حمل الصيدونيين على اتيان جزيرة ارواد وافتتحوها برضى ملك صور واقاموا جالية منهم فيها فاصبحوا اسيادها .

وفي القرن السابع ق.م دفعت صيدون الجزية لسنحاريب ملك الاشوريين ولما قتل سنحاريب تولى مكانه ولده آسرحدون وحين قتل ابيه منى ملوك سوريا انفسهم في الاستقلال ومن جملتهم عبد ملكوت ملك صيدا آنئذ

فانه ظن بانه يخاف صور في عظمتها فبلغ آسر حدون ذلك فعبأ الجيوش وحشد الجنود وسار لا يلوي على شيء حتى بلغ صيدا فحاصرها وافتتحها عنوة فالتجأ عبد ملكوت وبعض قومه الى الفرار آملين النجاة والعود الى وطنهم بعد جلاء الاشوريين لكنهم طاش سهمهم لان آسر حدون اخذ سفنا فينيقية وتتبع اثرهم فانتصر عليهم واسرهم وقتل الملك ودمر المدينة وغنم جنوده بما فيها وجلا بعض الصيدونيين الى اشور وهاك ما وجد مكتوبا على احدى صفائحه «ضربت مدينة صيدون التي على ساحل البحر واهلكت سكانها عن آخرهم ودمرت اسوارها ومنازلها والقيت موادها في البحر ونقضت الهياكل وفر ملكها عبد ملكوت في البحر كسمك ليختفي عن وجه عزتي فاجتذبته الي من بين الامواج واستحوذت على خزائنه من ذهب وفضة وحجار كريمة وكهرباء وصندل وابنوس ومنسوجات من الصوف والكتان وكل ما حواه قصره وجلوت الى اشور جما غفيرا من الرجال والنساء واخذت ايضا بقرا وغنما ودواب الركوب والحمل»

وفي القرن السادس خضعت صيداء مع سائر مدن فونيقي الى بختنصر (ملك الكلدان) الا ان صور قاومت مقاومة عنيفة وقد جهز حفرع ملك مصر جيشا لجبا واسطولا ضخما ووجهه الى سوريا بعد ما توطدت اقدام الكلدانيين بها فقاتله الفينيقيون وكان النصر في جانب المصريين واستولى على صيداء عنوة لان ملكها كان رئيس الاسطول لكن ذلك لم يطل امره فقد عاد بختنصر بعد اربعة سنين واسترجع سوريا وغزا مصر وثل عرش حفرع وآب منصورا مظفرا

وفي القرن الخامس ق . م استولى كورش ملك الفرس على صيدا مع سائر مدن فونيقي

ومن الحري بالذكر انه كان لصيداء كتابة فينيقية خاصة دامت من القرن السادس ق . م الى تاريخ الولادة وقد كتب بها على ضريح الملك تبنيت الذي كتب في القرن الرابع ق . م والراجح ان تلك اللغة استمرت الى ما بعد الميلاد

وفي القرن الرابع ق . م حاصر ارتحشستا الثالث الملقب باوكوس من ملوك فارس صيدا حيث كان تانيس والي فونيقي بها فطاب اهل صيدا الامان فانكره ملك الفرس عليهم وكانت نتيجة ذلك ان اربعين الفا من الصيدونيين فضَّلوا حرق انفسهم على ذبح الفرس لهم فدخلوا بيوتهم واضرموا بها النار فهلكوا عن بكرة ابيهم ولما عاد اوكوس الى بلاده جمع بعض الصيدونيين شملهم ورمموا مدينتهم وقد استحكم بغض الفرس في قلوبهم الذين سيطروا على سوريا مدة مديدة ولما قدم الاسكندر الكبير استقبلوه احسن استقبال وابتهجوا به ايما ابتهاج فدخلها آمنا غير ان ذلك لم يرق ملكهم ستراتون الذي كان محالفا لدارا ملك الفرس فحاول منعهم فلم يفلح وقد امر الاسكندر نديمه افستيون ان يختار من الصيدونيين من يراه اهلا ليملكه

وكان افستيون نزيلا في دار شابين اخوين من اوجه اهل البلد عرفا بالفضل والذكاء فعرض عليهما الملك فابيا اشد الأباء قائلين ان شريعة مملكتهم لا تخولهم هذا الحق وتحظره على غير السلالة المالكة فعجب من ذلك وكلفهما بهدايته الى بقية من تلك السلالة فذهبا الى رجل فقير يشتغل في بستان له خارج البلدة واخذا له ثياب الملك وحياه بتحية الملوك حيث وجداه ينقي الاعشاب الخبيثة من بستانه فاندهش الرجل وظن بانهما يسخران منه فاقسما له الايمان المغلظة باختياره ملكا واخذاه الى الاسكندر باحتفال حافل فسر جميع اهل صيداء بذلك ماعدا الاغنياء فانهم عز عليهم

ان يكون ملكهم ذلك الرجل الفقير ولما استنطقه الاسكندر اعجب بجوابه ومنحه عطايا وافرة واغدق عليه نعماً جزيلة

وفي القرن الثاني قبل الميلاد استولى انطوكيس الملك اليوناني على سورية وكان ذهب الى آسيا الصغرى لحرب ملكها فانتهز ملك مصر ارستومان مدة غيابه فارسل قائده سكوباس الى سورية يسترد الاعمال التي اخذها انطوكيس ولما عاد عز عليه ذلك فعبأ جيشه والتقى بجيش سكوباس في بانياس فظهر عليه وبدده شذر مذر وفر سكوباس الى صيدا بعشرة آلاف جندي بقيت من جيشه فتبعه انطوكيس وحاصر المدينة ومنع الزاد عنها فارسلت حكومة مصر ثلاثة من احسن قادة جندها ونخبة عسكرها لرفع الحصار فلم يفلحوا لأن انطوكيس احاط بها احاطة السوار بالمعصم واضطر سكوباس اخيرا الى القبول بشروط مزرية به وبحكومته وعاد بمن بقي من جنده الى الاسكندرية عزلا لا سلاح معهم وعراة ليس عليهم من الملابس الا مايسترهم(١)

تبنيت وسلالته — وجد في عهد قريب في احد بساتين صيدا عدة نواويس بينها ناووس داخله جثة مصبرة مكتوب عليها في الفينيقية هذه الكلمات

انا تبنت كاهن عشتروت ملك الصيدونيين ابن اشمنعزار الراقد في هذا القبر اعلن كل من يريد فتح قبري ان ليس فيه ذهب ولا فضة ولا حجارة كريمة فاذا تجاسرت واقلقت راحتي لا يكون لك توفيق تحت الشمس ولا يكون لك راحة في قبرك

(١) ملخص عن تاريخ سوريا للدبس بتصرف واكثر هذه المنقولات منقولة عن الثقات من مؤرخي الافرنج

قال حمدي بك مأمور الآثار المنفذ من الاستانة العلية عند ما اطلع على هذه الترجمة لو امر صاحب هذه الكتابة بنقشها على هذه المغارة باللغة التركية لربما اجري مآلها ولكن كيف نجيب طلبه ونحن نجهل الفينيقية ولا سيما بعد ان وجدنا هذه الكنوز

اماتبنت هذا فهو ابن اشمنعزر ملك صيدا المنقول قبره الى باريز فيكون لصيدا ملكان بهذا الاسم . ولا يبعد ان يكون ناووس الملكة الذي وجد موءخرا في صيدا هو قبر امعشترت امرأة تبنيت

وظن البعض ان بين هذه المدافن مدفن الاسكندر فاذا صح هذا الظن يكون قد انتقض الرأي العمومي من انّ مدفن الاسكندر في الاسكندرية[١]

اقول ومن القائلين بكون المدفن هو مدفن الاسكندر نفسه العالم الاثري غريلا الالماني وسنتكلم عن هذه الآثار في حينها ان شاء الله

اشمونازار الاول جد اشمونازار الثاني كان رأس سلالة تبنيت ولا شك بانه كان خاضعاً لملك الفرس آنئذ المدعو ارتاكسايس الثاني الملقب ميمنون وذلك مابين سنة ٤٠٤ الى سنة ٣٧٤ق . م وبذلك العام استولى على الملك استراتون فقاوم ميمنون وهلك سنة ٣٦٢ قبل المسيح وفي نفس العام استولى تنيس حفيد اشمونازار على عرش الملك في صيدا واشمونازار الثاني ابتدأ ملكه سنة ٣٥٠ ق . م ومات بعد اربعة عشر سنة اي سنة ٣٣٦ ق . م وخلفه ابنه استراتون ولم تطل مدة ملكه لأن الاسكندر الكبير وضع موضعه (ابدولونيم) وهو من سلالة ملكية ثانية وبعض

(١) دائرة المعارف للبستاني

العلماء يقولون بان ملك اشقولونا وكان سابقا لذلك الزمن وعلى كل فان صيداء قامت من خرابها وانتعشت من عثارها وتأخرها حين قدوم الاسكندر اليها لانها فتحت له ابوابها واعانته على حصار صور. وعند افتتاح طبور خلص الصيدونيون كثيرين من الصوريين من الاسر والقتل لان اواصر القربى تجمع البلدين وتضم الشعبين (١)

ومن الكتاب نرى انه عند ما جاء الاسرائيليون الارض المقدسة كانت صيدون مشهورة لان يشوع دعاها صيدون العظيمة وقد قال هوميروس الشاعر اليوناني المشهور بقصيدته المعروفة بالالياذة (٢) ان الحذق والشهرة اللذين كانا للصيدونيين في صناعتهم والقوة والبأس والبطش التي كانت في جيوشهم لم تنحصر في سوريا بل انتشرت منهم الى اقاصي الارض فان في زمان حروب تروادة الشهيرة (٣) كان النوتية الصيدونيون يقومون بامور كثيرة عدوانية ضد التروادنيين على ان هؤلاء اعملوا على الانتقام منهم فمزقوا ثيابا ثمينة جدا من صنع بنات صيداء وكان

(١) كتاب كيران (٢) هي الياذة هوميروس التي ترجمت عن اليونانية لعدة لغات وقد ترجمها الى العربية شعرا سليمان افندي البستاني احد اعضاء الاعيان الآن فجاءت في اربعين الف بيت من الشعر (٣) ان تروادا مدينة قديمة مشهورة في الاناضول وسبب حربها ان باريس وهو ابن احد ملوكها اختطف هيلانة امرأة احد ملوك اليونان وكان قبحه اضافه بحنق زوجها وكل ملوك اليونان وقبائلهم فساروا الى تروادة واحاطوا بها وحصروها حصارا شديدا ولم يفوزوا منها بطائل الا بعد عشر سنوات بعدما احتال اوليس (عوليس) ابو تليماك الشهير فافتتحها وقد اشتهرت في هذه الحرب بسالة اليونان اقول ومن اراد الاطلاع على تلك القصة المدهشة فليطالع كتاب تليماك في الفرنسوية تأليف (فنلون) الذي الفه لتلميذه حفيد لويس الرابع ملك فرنسا واودعه من الحكم والعظات ما يزري في النجوم اللامعات وقد عربه وطبعه بك المصري (٢)

يظن ان تقدمة اي منها لمعبودة الحرب عندهم واسطة لاستجلاب رضاها نحوهم ولم يكتف هوميروس بهذه الاشارة الى صيدا في شعره بل ذكرها مرارا فان صناعتها بلغت اقصى اليونان حتى ان اشيلس اليوناني المشهور اجاز اللاعبين بتذكار جازتيروكلس بقدح من الفضة كان قد صاغه رجل من حذاق الصيدونيين وكذلك الرداء الذي قدمه هيكوبا كفارة عن ذنوبه الى ميترفا كان صنع امرأة صيدونية اخذها باريس مختطف هيلانة بعد ان زار فينيقية[1]

علمت مما تقدم ان صيدون دانت في زمنها القديم للملوك كثيرين بعد ما استقلت وازدهت عدة قرون ولم يكن سبب هبوطها الا تمادي اهلها في غيهم واعجابهم بانفسهم ومزاحمتهم لغيرهم حتى هيأ الله لهم من زاحمهم وثل عرش عظمتهم ثم تناظرها مع صور التي فاقتها بالعظمة وعدم اتحادهما على دفع الشدائد ورد المكايد وانت تعلم ان بدء عهدها كان استقلال محض ثم شاب ذلك شيء من سيطرة فراعنة مصر ومع ثبوت قدم الاسرائيليين في سورية لم يمتلكوا صيداء وكثيرا ماندد بها انبياء اسرائيل اما الفرس فقد ثبتت فيها قدمهم وكان عامل فينيقية من قبلهم يقيم في صيدا ولم تطل مدة بقية الفاتحين بها زمنا طويلا ولما امتدت سلطة الرومانيين على سورية واقاموا فيها ولاة وعمالا كانت صيداء من جملة البلدان الخاضعة لسلطتهم الخانعة لسيطرتهم وكان لها ولاة ومجلس اعيان وكان استيلاء الرومانيين على سوريا قبل ولادة المسيح عليه السلام بزمن يسير والله يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو على كل شيء قدير

(١) تاريخ سوريا لجرجي يني

تاريخها المتوسط

من المعلوم المقرر ان الشرائع تنزل حسب احتياجات البشر ويراعى فيها الزمان والمكان ولا يكون نزولها الا بواسطة رسل بررة معصومين عن المعاصي والمعائب منزهين عن المفاسد والشوائب ولما مضى على بدء الخليقة ستة آلاف سنة بعث المسيح بن مريم (عليه السلام) بدعوة من ربه الى هداية البشر من الضلالة وانزل عليه الانجيل الذي يرمي به الى توحيد الناس في الدنيا لأن الناس آنئذ كانوا انصرفوا الى الملذات الحيوانية والاعمال الجسمية وغفلوا بتاتا عن الامور الروحية وكان استبداد اليهود من جهة وظلم الرومان من جهة اخرى ضاربا بجرانه وملقيا بعنانه لأيدي فجرة كفرة يعصون الله ولا يفعلون مايؤمرون

وقد اعتمد جمهور النصارى على اربعة اناجيل وهي انجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا وطرحوا ماسواها على انا نعتقد نحن معشر المسلمين بتحريف هذه الاناجيل لأن الانجيل المذكور في القرآن هو الذي يأمر باعتقاد وحدانية الله جل شأنه وان عيسى بن مريم بشر لا اله وهو الذي يبشر في النبي العربي (عليه الصلاة والسلام) ومهما يكن من الامر فأن الامور التاريخية تؤخذ من الانجيل ويعتمد عليها لعدم الحاجة الى تبديل كلمها عن مواضعه وكل امرء حر بما يدين

علمت ان الرومانيين استولوا على سورية وانتزعوها من السلوقيين بعد حرب وكفاح وكان ذلك حوالي سنة ٦٥ قبل المسيح ولظهر (عليه السلام) كانت سورية ومن جملتها صيداء بيد الرومان ودامت بعد ذلك زمنا طويلا

وفي هذا العهد سميت صيداء ومن المقرر الثابت بان المسيح زارها لأنه جاء في الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى (ثم خرج من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيداء) وفي الاصحاح السابع من انجيل مرقص (ثم قام من هناك ومضى الى تخوم صور وصيداء) وفي الاصحاح الرابع من انجيل لوقا (ولم يرسل ايليا الى واحدة منها الا الى امرأة ارملة الى صرفة صيداء) وقد ظن البعض بأنه لم يدخل صيداء بل اتى الى تخومها على ان المحققين يذهبون الى انه دخلها ومنهم الدكتور بوست صاحب قاموس الكتاب المقدس ومن الذين سمعوا وعظ المسيح اناس من اهل صيداء لما جاء في الاصحاح الثالث من انجيل مرقص (والذين حول صور وصيداء جمع كثير اذ سمعوا كم صنع اتوا اليه) وفي الاصحاح السادس من انجيل لوقا (ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية واورشليم وساحل صور وصيداء الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من امراضهم) وجاء في الاصحاح الحادي عشر من انجيل متى (ويل لك يا كورزين ويل لك يابيت صيدا لأنه لو صنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديما في المسوح والرماد ولكن اقول لكم ان صور وصيدا تكون لهما حالة أكثر احتمالا يوم الدين مما لكما .) وفي الاصحاح العاشر من انجيل لوقا مايقرب من هذا وفيه من المدح لصيداء مالا يخفى ومنه تعلم ان بعض الصيداويين آنئذ دانوا بدين النصرانية ولا يبعد ان تكون النصرانية انتشرت انتشارا عظيما بعد المسيح فدان بها كل سكان صيداء او جلهم حتى انه كان لصيداء من مشاهير الكهنة مادوتن ذكرهم التاريخ ويدلك على ذلك ايضا مرور بولس الرسول في صيداء لتفقد المسيحيين بها وذلك حين ذهابه الى رومه كما نص عليه الكتاب

فمن مشاهير اساقفة صيداء في القرن الثالث زينوبيوس مـوئف كتاب سورية المقدسة وقد قتل مع جملة كهنة في ايام الملكين ديوكليتيان ومكسيميان من ملوك الرومان واشتهر في القرن الخامس دميانس من اساقفتها ايضا واندراوس في القرن السادس

وقد اقام الرومانيون في سورية زهاء نيف وسبعماية سنة كانوا يسومون اهلها الظلم والارهاق ولا شك بأن صيداء كانت داخلة تحت حكمهم غير انها لم يكن لها في هذا الدور تلك العظمة التي نالتها قبلا وقد غزيت سورية مرارا من ملوك الفرس فكانوا تارة يغلبون وطورا يغلبون غير ان قدم الرومان ثبتت بها الى ان ظهر الاسلام على مظهره السلام وكان عمال الرومانيين تارة وثنيين وطورا مسيحيين وملوك رومية منهم من يضطهدون المسيحية فيسعون في خنق انفاسها ومنهم من يحبون اعلاء كلمتها وانارة نبراسها

ومن الغامض تمام الغموض معرفة احوال صيداء تماما في زمن الرومانيين من علمية ودينية وتجارية وزراعية واقتصادية الخ حتى ان التاريخ قـد يوضح لنا امرها في زمن الفينيقيين اكثر من زمن الرومانيين وما ذلك الا لتنبه ذكرها في ذاك الآن وخمولها في زمن الرومان[١]

تاريخها الحديث

علمت ان الشرائع تنزل بحسب الحاجة اليها موافقة للزمان والمكان ولما بعد العهد في المسيح (عليه السلام) واسترسل الناس في الغواية ولجوا في الطغيان والعماية ارسل الله سبحانه رسوله محمدا بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الخ وقد اوحى اليه شريعة كاملة خالية من

(١) مقتبس عن المقتبس وتاريخي سوريه للدبس ويني وقاموس الكتاب المقدس ودائرة المعارف للبستاني وغيرها من كتب التاريخ

كل شائبة جمت العبادات والمعاملات صالحة لكل زمان ومكان لأنها خاتمة الشرائع ولأنه خاتم الرسل وقد بعث (صلى الله عليه وآله وسلم) نبياً والشام في ايدي الروم وتحت سيطرتهم ومن جملتها صيداء وكتب الى قيصر الروم يدعوه الى الاسلام ولما اختار (عليه افضل الصلاة والسلام) جوار ربه تولى الخلافة بعده ابوبكر الصديق رضي الله عنه فجيش جيشا لفتوح الشام بقيادة خالد بن الوليد ولما مات ابو بكر وانتهت الخلافة الى عمر الفاروق رضي الله عنه عزل خالـدا وولى ابا عبيدة بن الجراح قيادة الجيش غير انه كتم ذلك لبعد الفتح فافتتح خالد الشام من جهة بالسيف فخرج اهل الشام من الجانب الآخر وبذلـوا الصلح لأبي عبيدة وكان ذلك بين ١٣ و ١٤ للهجرة اي سنة ٦٣٦ م

«ولما استخلف ابو عبيدة يزيد بن ابي سفيان على دمشق وسار الى فحل سار يزيد الى مدينة صيداء وعرقا وجبيل وبيروت وهي سواحل دمشق وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيرا وجلا كثيرا من اهلها وتولى فتح عرقا معاوية بنفسه في ولاية يزيد ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رممها وشحنها بالمقاتله واعطاهم القطائع»(١)

وانت تعلم مما تقدم بأن صيداء فتحت عند فتوح الشام بـلا فاصل ولكن من كان عاملها آنئذ وكيفية فتحها وحالتها الاجتماعية مجهولة لدينا تماما حتى ان خبر فتحها لم يتعرض له من المؤرخين غير ابن الاثير فالطبري وابو الفداء وغيرهما من الثقات لم يتعرضا لفتح صيداء وفي رواية ابن الاثير

(١) ابن الاثير

مقنع واي مقنع لأنه المؤرخ الثقة الثبت ولم يكن ذلك كله الا لعدم اهميتها في ذلك الحين واذا ثبت ماشاع وذاع من مرور ابي ذر الغفري الصحابي رضي الله عنه في قرية الصرفند حين نفيه في زمن الخليفة الثالث وبثه التشيع في هذه الانحاء فلا بد من ان تكون صيداء آنئذ وما يليها معمورة في المسلمين

وقد روى ابن الاثير وغيره اسم الرجل الذي قتل عبد الله بن عقيل وهو طفل وذلك في واقعة كربلا المشؤومة التي قتل بها الامام المظلوم ابو عبد الله الحسين (عليه السلام) وذلك سنة ٦١ للهجرة وهو عمرو بن صبيح الصيداوي رماه بسهم فاذا صحت نسبة الرجل الى صيداء فيكون للصيداويين ضلع في مقتل الحسين واصحابه عليهم السلام

وممن نسب الى صيداء في القرن الثاني هشام بن الناز بن ربيعة الجرشي الصيداوي روى عن مكحول ونافع وابن المبارك ووكيع ومات سنة ١٥٦ كما نص على ذلك ياقوت في معجم البلدان ونقل ايضا عن السمعاني مالفظه

« وممن نسب اليها ابو الحسن محمد بن احمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الغساني الحافظ الصيداوي رحل في طلب الحديث الى مصر والعراق والجزيرة وفارس وسمع فأكثر روى عنه ابو الحسن وابو سعيد الماليني وغيرهما وجمع لنفسه معجما لشيوخه ومات بعد سنة ٣٩٤

وروى عن ابن جميع ايضاً عبد الغني بن سعيد الحافظ وهو من اقرانه وتمام بن محمد وابو عبد الله الصوري وعبد الله بن ابي عقيل وابو نصر بن طلاب وابو العباس احمد بن محمد بن يوسف بن مردة الاصبهاني وابو الفتح محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن المصري الصواف وابو نصر

علي بن الحسين بن علي الترجمان وابو علي الاهوازي وابو الحسن الجنابي وبلغني ان مولد ابن جميع سنة ٣٠٥ وكان من الاعيان والائمة الثقات ومات بصيدا في رجب سنة ٤٠٢ واكثر ما يقال له الصيداوي

وجاء في تاريخ سورية للدبس ذكر اسقف من اساقفة صيداء عاش في القرن الثامن المسيحي اي القرن الثاني للهجرة ولكنه ليس صيداوي النشأة وانما نشأ في انطاكية ودخل في الرهبانية فسيم اسقفا على صيداء وله عدة مؤلفات نقلها السمعاني في فهرست الكتب الواتيكانية المعلق على آخر المجلد الثاني من المكتبة الشرقية وبيَّن كتبه وموضوعاتها فقال

«الكتاب المحسون لبولس الانطاكي اسقف صيدا يشتمل على موجز في اللاهوت مقسم الى اثنين وعشرين فصلا وعلى مقالة في مجيء المسيح فَنَّدبها مزاعم اليهود ورسالة انفذها الى احد المسلمين من صيدا بيَّن فيها ما يقوله النصارى في محمد وسنته وصحة الدين المسيحي ومقالة في البدع يفند بها آراء المبتدعين ومقالة في التثليث والتجسد انفذها الى رجل اسمه ابو سرور وخطبة في تفسير بعض آيات الانجيل ولا سيما قوله من نظر امرأة ليشتهيها الخ وخطبة فى الايمان القويم وثمانين بحثا في مواد شتى وكتاب في ممارسة الفضائل لم يذكر مؤلفه واحدى وسبعين قضية مأخوذة عن الاسفار المقدسة هذا ما اشتمل عليه هذا المجلد وهو مكتوب على ورق باللغة العربية واحرفها وعدد صفحاته ١٦٤ صفحة»

وذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٨١ هـ ما لفظه :

«في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن ابي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي ووليها اولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن

لهم من القوة ما يحتمون بها فسلموها اليهم ثم سار العسكر عنها الى مدينة صيداء ففعلوا بها كذلك ثم سارا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على اهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها ايضا واصلحوا احوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل امير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال»

فأنت تعلم مما مر بك ان صيداء مر عليها زهاء خمسة قرون في زمن الأمويين والعباسيين لم تكن شيئا مذكورا ويدلك على ذلك عدم عناية المؤرخين بها ولم يتعرض لها الا ابن الاثير في كلام قليل كما تقدم الا انا نعلم من نبوغ بعض رجالها من المسلمين انها كانت زاهرة فيهم وانه كان بها مسيحيون ايضا لسيامة اسقف عليها وكانت البلاد السورية في تلك الآونة بيد ملوك المسلمين الا انها كانت تقع مواقع بينهم وبين الروم يكون الحرب بها سجالا غير ان القوة والغلبة كانتا للمسلمين

وفي اواخر القرن الخامس للهجرة ثارت عصبية مسيحي البلدان الاوربية وقصدوا استخلاص البلاد المقدسه من يد المسلمين لأن حجاج النصارى كانت تسام الخسف وتلاقي الذلة والاهانة والضعف على زعمهم

وقد انشعبت آراء المؤرخين في السبب الدافع الى ذلك ورأس هذه الحركة العدائية فقال صاحب قطف الزهور في تاريخ الدهور ماخلاصته

منشأ الحروب الصليبية رجل يدعى بطرس الناسك كان متزوجا وله اولاد فتركهم وترهب لأسباب مجهولة والتحق في بعض الزوار ولما زار القدس اخذته الحمية لاستخلاص الاراضي المقدسة من ايدي المسلمين فأخذ يتجول في انحاء اوربا مهيجا وزارعا فكرته في النفوس وفي الوقت نفسه عقد البابا اوربانوس عدة مجامع في ايطاليا وفرنسا وطرح المسألة على

بساط البحث ولأجل ترغيب الناس في ذلك اشهر انعامات خاصة لمن يشترك في هذا الامر كالمغفرة للخاطئين وتخفيف بعض الواجبات الى غير ذلك مما اختص به البابا الذي يعتقد النصارى بانه نائب المسيح على الارض (ماعدا البروتستنت والارثوذكس) فنهض بعض الأساقفة وتطوع وتبعه غيره ورسموا جميعا على صدورهم صورة الصليب في اللون الاحمر وجعلوا ذلك شعارهم فسميت الحرب الصليبية

وقد كان ارتحالهم في اثناء سنة ١٠٩٦ للميلاد قاصدين القسطنطينية وكانوا اجناساً شتى وكان بطرس الناسك المقدم ذكره قائدا للفرقة الاولى وقد عاثوا في طريقهم في الارض فسادا فنفرت الناس منهم ولما وصلوا الى سواحل آسيا التقوا في عساكر المسلمين في نواحي نيقية فولوا ادبارهم وكانت الغلبة للاسلام ولما علم اهل اوروبا بما حل بهم من النكال جردوا حملة ثانية تولى قيادتها كبار الملوك والامراء اه

وقال الامير حيدر الشهابي في حوادث سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٩٦م مالفظه «قصد الافرنج السفر لتخليص القدس من يد الاتراك والعرب نظرا لما كان يلقى حجاجهم من الاضطهادات والمضايقات منهم . ولما بلغتهم كتابات بطريرك القدس . وكتابات من فرنسا ومن ايطاليا ومن جرمانيا . وكل من تحركت همته لهذا الجهاد وضع على صدره رسم صليب احمر ثم اتخذوا راية مشتركة عليها رسم الصليب فلقبوا بالصليبين الخ

وذكر في حوادث السنة التي بعدها مايشعر بقدوم الافرنج الى سورية وظفرهم على المسلمين بخلاف رواية صاحب قطف الزهور

وقد اتى المؤرخون العرب منهم والافرنج على ذكر صيداء غير مرة في اثناء كلامهم على الحروب الصليبية مما نذكره في التابع . والله الهادي يتبع

مر اول جيش للصليبين من امام صيداء قاصدا يافا وقد اراد حاكم المدينة مقاومته فلم يفلح و في سنة ١١٠٧ م (٥٠١ هـ) وجد الصيدونيون انفسهم مهددين من الاوربيين فدفعوا لهم دراهم معدودة وصالحوهم وفي السنة التالية[١] حاصر (بلدوين) الاول صيداء الا انه انسحب عنها مكرها بعدذلك وفي سنة ١١١١ م (٥٠٥ هـ) اتى ملك القدس لمحاصرة صيداء ثانية واعانه على ذلك اسطول الامير النروجي (سيكور) الذي كان مصحوبا بعشرة آلاف محارب وانضم اليهما (برتران) كونت طرابلس الشام وسلمت المدينة بعد مضي ستة اسابيع على حصارها وبمدة هذا الحصار كاد (بلدوين) ان يقع فريسة في يد خادمه الذي كان مسلما فتنصر لهذه الغاية وسيكور هذا لم يقصد بحروبه الاقطعة من صليب اخذه ووضعه في مدينة من مدن بلاده تدعى (كونكل) وحينما استولى الاوربيون على صيداء اعطوها اقطاعا للشفاليه (استاش كرانيا) وفي سنة ١١٨٠م (٥٧٦ هـ) سلمت للسلطان صلاح الدين الايوبي بعد موقعة حطين الشهيرة وقد دك حصونها وفي سنة ١٢٤٩ م (٦٤٧ هـ) هدم المسلمون اسوارها واسترجعها بعد ئذ الافرنسيون وقد عزم لويس التاسع ملك فرنسا على اعادة تحصينها فارسل اليها عددا كبيرا من الفعلة ولما ابتدأ في العمل هاجم المسلمون العساكر التي كانت تحفظ المدينة فتحصنوا بقلعة البحر واما السكان الذين لم

(١) ذكر الامير حيدر في تاريخه قدومه اليها بنفس تلك السنة لا بالسنة التالية

المسلمين وانما تمّ لهم ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منهـا تبنين وهونين و غيرهما

وانت تعلم ان بين رواية ابن الاثير والسائح كيران تشابه قريب فقد اتفقا في سنة دخول بلدوين او بغدوين صيدا واختلفا في سنة دخول صلاح الدين وعلى كل فرواية ابن الاثير اقرب للصواب لقرب عهده(١) على انه يحمل الاختلاف في الروايه لكون ذاك ذكر السنة المسيحية وهذا الهجرية والنتيجة واحدة على كل حال

وبمناسبة ذكر كيران لخادم بلدوين وكونه كاد يفتك به ذكر الامير حيدر في تاريخه عند حوادث سنة ٥٠٤ هـ — ١١١٠ م نقلا عن مطران صور : انه كان في خدمة بلدوين الملك رجل كان اصله مسلما ثم تنصر فاقامه واليا على صيدا . ولم يزد على ذلك

اما المطران الدبس صاحب تاريخ سورية فقد نقل عن موءرخي العرب والافرنج نحو مانقلناه لكنه نقل عن الدويهي وصالح بن يحيي صاحب تاريخ بيروت ما يجدر بنا ذكره وهانحن ننقل ماقاله صالح بن يحيي لكونه اكثر تفصيلا

جاز على بيروت تعميرة (يريد عمارة او اسطـول) للفرنج سنة (١٣٥٥ م ٧٥٥ هـ)ولم يتعرضوا لها بل توجهوا الى صيدا واخذوهـا وقتلوا من اهلها جماعة وأسروا جماعة ونهبوا منها شيئًا كثيرًا وكذلك المسلمون فانهم قتلوا من الفرنج جماعة وبعثوا بروءوسهم الى دمشق

(١)ذكر الأمير حيدر دخول صلاح الدين لصيدا في حوادث سنة ٥٨٢ لكن ابا الفدا ذكر ذلك في حوادث سنة ٥٨٣ هـ بعد وقعة حطين طبقا لرواية ابن الاثير ولعله الصواب

مر اول جيش للصليبين من امام صيداء قاصداً يافا وقد اراد حاكم المدينة مقاومته فلم يفلح و في سنة ١١٠٧ م (٥٠١ ه) وجد الصيدونيون انفسهم مهددين من الاوربيين فدفعوا لهم دراهم معدودة وصالحوهم وفي السنة التالية[١] حاصر (بلدوين) الاول صيداء الا انه انسحب عنها مكرهاً بعد ذلك وفي سنة ١١١١ م (٥٠٥ ه) اتى ملك القدس لمحاصرة صيداء ثانية واعانه على ذلك اسطول الامير النروجي (سيكور) الذي كان مصحوباً بعشرة آلاف محارب وانضم اليها (برتران) كونت طرابلس الشام وسلمت المدينة بعد مضي ستة اسابيع على حصارها وبعد هذا الحصار كاد (بلدوين) ان يقع فريسة في يد خادمه الذي كان مسلماً فتنصر لهذه الغاية وسيكور هذا لم يقصد بحروبه الاقطعة من صليب اخذه ووضعه في مدينة من مدن بلاده تدعى (كونكل) وحينما استولى الاوربيون على صيداء اعطوها اقطاعاً للشفاليه (استاش كرانيا) وفي سنة ١١٨٠م (٥٧٦ ه) سلمت للسلطان صلاح الدين الايوبي بعد موقعة حطين الشهيرة وقد دك حصونها وفي سنة ١٢٤٩ م(٦٤٧ ه)هدم المسلمون اسوارها واسترجعها بعد ذلك الافرنسيون وقد عزم لويس التاسع ملك فرنسا على اعادة تحصينها فارسل اليها عدداً كبيراً من الفعلة ولما ابتدأ في العمل هاجم المسلمون العساكر التي كانت تحفظ المدينة فتحصنوا بقلعة البحر واما السكان الذين لم

---

(١) ذكر الامير حيدر في تاريخه قدومه اليها بنفس تلك السنة لا بالسنة التالية

المسلمين وانما تمّ لهم ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منها تبنين وهونين و غيرهما

وانت تعلم ان بين رواية ابن الاثير والسائح كيران تشابه قريب فقد اتفقا في سنة دخول بلدوين او بغدوين صيدا واختلفا في سنة دخول صلاح الدين وعلى كل فرواية ابن الاثير اقرب للصواب لقرب عهده[١] على انه يحمل الاختلاف في الروايه لكون ذاك ذكر السنة المسيحية وهذا الهجرية والنتيجة واحدة على كل حال

وبمناسبة ذكر كيران لخادم بلدوين وكونه كاد يفتك به ذكر الامير حيدر في تاريخه عند حوادث سنة ٥٠٤ هـ — ١١١٠ م نقلا عن مطران صور : انه كان في خدمة بلدوين الملك رجل كان اصله مسلما ثم تنصر فاقامه واليا على صيدا . ولم يزد على ذلك

اما المطران الدبس صاحب تاريخ سورية فقد نقل عن مؤرخي العرب والافرنج نحو مانقلناه لكنه نقل عن الدويهي وصالح بن يحيي صاحب تاريخ بيروت ما يجدر بنا ذكره وهانحن ننقل ماقاله صالح بن يحيي لكونه اكثر تفصيلا

جاز على بيروت تعميرة (يريد عمارة او اسطول) للفرنج سنة (١٣٥٥ م ٧٥٥ هـ)ولم يتعرضوا لها بل توجهوا الى صيدا واخذوها وقتلوا من اهلها جماعة وأسروا جماعة ونهبوا منها شيئا كثيرا وكذلك المسلمون فانهم قتلوا من الفرنج جماعة وبعثوا بروءوسهم الى دمشق

(١)ذكر الأمير حيدر دخول صلاح الدين لصيدا في حوادث سنة ٥٨٢ لكن ابا الفدا ذكر ذلك في حوادث سنة ٥٨٣ هـ بعد وقعة حطين طبقا لرواية ابن الاثير ولعله الصواب

فملقوها على القلعة وكانت بضعا وثلاثين رأسا وحضر الى صيدا الامير شهاب الدين بن صبح نائب صفد وسبق العسكر الشامي ولحق التميرة على جزيرة صيدا بعد فوات الامر فاشترى الاسرى جميعهم كل نفر بخمس مائة درهم وأخذ من ديوان الاسرى ثلاثين الف درهم

وروى صالح بن يحيى ايضا بانه سنة ٧٨٤هـ ــ ١٢٨٢ م حضر اسطول من جنوا الى صيدا فاخذوها

وروى كيران عن ابي الفداء انه ذكر في حوادث سنة ٧٢١هـ – ١٣٢١م بأن صيداء مدينة صغيرة وان بها قلعة وانها تحت ايالة الشام وذكر الدماميري بانها احدى موانئ الشام في اواسط القرن الخامس عشر

وقد اجمع المؤرخون على ان صيداء كانت في تلك الفترة خربة او انها قرية حقيرة لا شأن لها وذلك الى سنة ١٠٠٤ هـ — ١٥٩٥ م حيث جدد بناءها الامير الدرزي العظيم فخر الدين المعني وبنى بها قصرا فخما وخانات كثيرة وقد شنق هذا الامير في الاستانه سنة ١٦٣٤ م وكان لصيدا علاقات كثيرة مع اوروبا خصوصا مع سيليا بقيت بعد موته متصلة العلاقات [1]

من المعلوم ان دولة بني عثمان ابتدأ امرها سنة ٧٠٠هـ على يد موسسها السلطان عثمان غير ان امورها توطدت واملاكها اتسعت في زمن السلطان سليم وذلك سنة ١٥١٧ م — ٩٢٣ هـ فكانت سورية لم تزل في حكم مماليك مصر الا ان سليما استولى عليها وجعلها في حوزته وعين لها عمالا من قبله وها نحن نورد طرفا من حال الحكم في تلك الآونه

« كانت سوريا خاضعة لدولة المماليك المصرية وحكومتها على طرز

(١) كيران

ان قال : وأعطى حكم مدينة صيداء وتوابعها الى الشيخ حسين الطويل وذكر بانه في تلك الايام آخر شهر المحرم وصل احمد آغا التوقونجي مندوبا من قبل الصدر الاعظم محمد باشا في طلب المال الاميري وقدره خمسة وعشرون الفا . والمال الذي تعهد به هبة مائة الف غرش . وبقي في صيدا اربعة اشهر ولم يحصل على شيء . الخ وذكر بعدذلك عود الامير فخر الدين من سفره واستقباله استقبالا باهرا من ولده الامير علي الذي كان يحكم صيداء وملحقاتها وبقية الامراء وفي حوادث سنة ١٠٢٨ هـ — ١٧١٨ م انه وصل في اواخر رجب الى ثغر صيداء علي باشا القبطان وصحبته خمسون مركبا وأقام في صيدا ثلاثة ايام وقدم له الامير فخر الدين وولده خمسين الف غرش تقدمة ماعدا الذخائر . وخرج الى صيدا وطلب الامير ان يحضر اليه . فرد له الجواب مصطفى آغا انه اذا حضرنا الى مقابلتك فما هو لائق بشأنك ان تمسكنا . وان اطلقتنا ربما يصير عليك ملامة من الدولة . فاستحسن علي باشا جوابه . وكان موجود في صيدا مركب فلامنكي احتج عليه الباشا انه قرصان[1] وأخذه وكان فيه اربعون الف غرش

وفي حوادث سنة ١٠٣١ هـ — ١٦٢١ م ذكر انه في هذه السنة وردت الى ميناء صيداء المراكب السلطانية وكان القبطان عليها خليل باشا الوزير السابق . وخرج الى البروجيال في صيدا متفقدا . وفي الحال لاقاه الامير علي بن معن وقبل ذيله ودعاه الى داره وقدم له الاكرام وتقدمة خمسة آلاف غرش وحصان فقبلها . وأولم له وليمة في داره فحضر وأكل معه ورجع الى المراكب

(١) القرصان مركب يحوي لصوص البحر فيأتون للسرقة والنهب

فعلقوها على القلعة وكانت بضعا وثلاثين رأسا وحضر الى صيدا الامير شهاب الدين بن صبح نائب صفد وسبق العسكر الشامي ولحق التميرة على جزيرة صيدا بعد فوات الامر فاشترى الاسرى جميعهم كل نفر بخمس مائة درهم وأخذ من ديوان الاسرى ثلاثين الف درهم

وروى صالح بن يحيي ايضا بانه سنة ٧٨٤هـ ــ ١٢٨٢ م حضر اسطول من جنوا الى صيدا فاخذوها

وروى كيران عن ابي الفداء انه ذكر في حوادث سنة ٧٢١هـ — ١٣٢١م بأن صيداء مدينة صغيرة وان بها قلعة وانها تحت ايالة الشام وذكر الداميري بانها احدى موانئ الشام في اواسط القرن الخامس عشر

وقد اجمع المؤرخون على ان صيداء كانت في تلك الفترة خربة او انها قرية حقيرة لا شأن لها وذلك الى سنة ١٠٠٤ هـ — ١٥٩٥ م حيث جدد بناءها الامير الدرزي العظيم فخر الدين المعني وبنى بها قصرا فخما وخانات كثيرة وقد شنق هذا الامير في الاستانه سنة ٦٣٤ م وكان لصيدا علاقات كثيرة مع اوروبا وبخصوصا مع سيليا بقيت بعد موته متصلة العلاقات[1]

من المعلوم ان دولة بني عثمان ابتدأ امرها سنة ٧٠٠هـ على يد موسسها السلطان عثمان غير ان امورها توطدت واملاكها اتسعت في زمن السلطان سليم وذلك سنة ١٥١٧ م — ٩٢٣ هـ فكانت سورية لم تزل في حكم مماليك مصر الا ان سليما استولى عليها وجعلها في حوزته وعين لها عمالا من قبله وها نحن نورد طرفا من حال الحكم في تلك الآونه

« كانت سوريا خاضعة لدولة المماليك المصرية وحكومتها على طرز

(١) كيران

ان قال : وأعطى حكم مدينة صيداء وتوابعها الى الشيخ حسين الطويل وذكر بانه في تلك الايام آخر شهر المحرم وصل احمد آغا التوتونجي مندوبا من قبل الصدر الاعظم محمد باشا في طلب المال الاميري وقدره خمسة وعشرون الفا . والمال الذي تعهد به هبة مائة الف غرش . وبقي في صيدا اربعة اشهر ولم يحصل على شيء الخ وذكر بعد ذلك عود الامير فخر الدين من سفره واستقباله استقبالا باهرا من ولده الامير علي الذي كان يحكم صيداء وملحقاتها وبقية الامراء وفي حوادث سنة ١٠٢٨ هـ — ١٧١٨ م انه وصل في اواخر رجب الى ثغر صيداء علي باشا القبطان وصحبته خمسون مركبا وأقام في صيدا ثلاثة ايام وقدم له الامير فخر الدين وولده خمسين الف غرش تقدمة ماعدا الذخائر . وخرج الى صيدا وطلب الامير ان يحضر اليه . فرد له الجواب مصطفى آغا انه اذا حضرنا الى مقابلتك فما هو لائق بشأنك ان تمسكنا . وان اطلقتنا ربما يصير عليك ملامة من الدولة . فاستحسن علي باشا جوابه . وكان موجود في صيدا مركب فلامنكي احتج عليه الباشا انه قرصان[1] وأخذه وكان فيه اربعون الف غرش

وفي حوادث سنة ١٠٣١ هـ — ١٦٢١ م ذكر انه في هذه السنة وردت الى ميناء صيداء المراكب السلطانية وكان القبطان عليها خليل باشا الوزير السابق . وخرج الى البروجيال في صيدا متفقدا . وفي الحال لاقاه الامير علي بن معن وقبل ذيله ودعاه الى داره وقدم له الاكرام وتقدمة خمسة آلاف غرش وحصان فقبلها . وأولم له وليمة في داره فحضر وأكل معه ورجع الى المراكب

(١) القرصان مركب يجري لصوص البحر فيأتون للسرقة والنهب

لم يحدث في القرن الحادي عشر في صيدا حوادث ذات بال وفي الاجمال ان حاكمها كان آنئذ الأمير فخر الدين وولده علي وقد حدث بها سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٣ م « انه قدمها ثمانيه مراكب مغاربة من جهه تونس وكان راس في الميناء مراكب فرنساويه وفلامنكيه فطلبوا منهم عشرة الاف غرش فامتنعوا عن اعطائهم وقربوا مراكبهم لتحت قلعة البلدية فأتت المغاربه على نية الحرب وضربوهم بالمدافع فالشواطىء حمت نفسها واستمر اطلاق المدافع بينهم ذلك النهار بطوله وعند الغروب ذهبت المغاربه ورست المراكب بعيدة عن الميناء وهذا جرى بين المغاربه والفرنساويين . اما مراكب الفلامنك فلم يتعرضوا لها فلما سمع الامير فخر الدين ذلك الخبر رحل من صور الى صيداء ليلا فوصلها عند طلوع الشمس وارسل الى المغاربه قوارب تسألهم عن مرادهم فلما علموا بوصول الامير والعسكر اقلعوا وابعدوا في البحر واقام الامير في صيدا ثلاثة ايام . واخذ معه نصف العسكر وتوجه الى بيروت وابقى ولده مع الباقين في صيداء» هكذا ذكر الامير حيدر في تاريخه وفي سنه ١٠٤٣ هـ حضر كجك احمد الى صيدا وكتب للأمير يونس بن معن بالامان فنزل من دير القمر الى صيدا . وفي حال وصوله قتله . ثم انه ذهب لحصار مغارة جزين التي اختبأ بها الامير فخر الدين وهي مغارة منيعة في وسط الجبل لا يسلك اليها احد الا على الاخشاب والماء من داخل المغارة وابتدأت النقابين تنقب الجبل من اسفل وصاعد وما زالوا يقطعون في الصخر حتى بلغوا المغارة وملكوها واوثق الكجك احمد الامير فخر الدين واولاده منصور وحيدر وبلك مع مدبريهم ورجع بهم الى الشام وقد امر السلطان بعد ذلك بقتله وقتل اولاده لكثرة الشكايات عليه . وفي سنة ١٠٤٨ هـ تعين احمد آغا الشمالي حاكما على صيدا وبيروت فكمن له الامير علي بن علم الدين وقتله في ارض خلدة وفي سنه ١٠٦٦ هـ تولى صيدا وبيروت اسمعيل آغا وفيها مرض الأمير ملحم بن معن في عكا فاحضر بهودج الى صيدا وتوفي بها وتولى صيدا وبيروت سنة ١٠٧١ هـ محمد باشا الأرناوط

وقد جعلت صيداء (باشاويه) في تلك السنه وكان اول من تولاها علي باشا الدفتردار وكانت فتنه عظيمه بينه وبين مشايخ المتاوله كما ذكر الامير حيدر وفي سنة ١٠٧٣ عزل منها وتولى مكانه محمد باشا وفي سنه ١٠٨٦ كانت ايالة صيدا

بيد اسمعيل باشا وفي سنة ١٠٩٠ تولاها خليل بن كيران فبدأمنه ظلم عظيم وفيها توفي الشيخ حمد بن علي الصغير شيخ المتاوله وفي سنة ١٠٩٢ تولاها احمد باشا التفتجي وفي سنة ١٠٩٥ عزل عنها وتولاها بعد ذلك مصطفى باشا وفي سنة ١١١٠ تولاها قبلان باشا وفي سنة ١١١٩ توفي الامير بشير الشهابي الشهير في بلاد صفد وحملوه الى مدينة صيدا ودفنوه في مدفن آل معن وفي سنة ١١٢٠ كان واليا على صيدا بشير باشا

وفي سنة ١١٣٠ تولاها عثمان باشا ابو طوق ثاني مرة (فكأنه تولاها اولا)

وقد زار صيدا سنة ١١٠٥ ه العلامة الشهير المرحوم الشيخ عبد الغني النابلسي المتصوف المعروف ونسخ بعض الافاضل رحلته من المكتبة الخديويه في مصر ونحن نثبتها كما هي لانها من الآثار الجديرة بالحفظ ولا نحذف منها الا بعض الأبيات الشعريه

وكان ابتداء رحلته في غرة المحرم اول شهور سنة خمس ومائه والف من الهجرة النبوية قال

ثم لما اصبحنا في اليوم الثاني والاربعين يوم الاربعا والثالث عشر من صفر زرنا في تلك القريه اي اشحيم نبي الله روبين على ما يقال وهو من اولاد يعقوب عليه السلام فقرأنا له الفاتحه ودعونا الله تعالى عنده ثم سرنا فررنا على ضيعة صغيرة في جانب الطريق بها قبر يقال انه قبر الشيخ ارسلان رجل من الاولياء الصالحين رحمه الله تعالى وهو غير الشيخ ارسلان الدمشقي المتقدم ذكره فقرأنا له الفاتحه ودعونا الله تعالى ثم مررنا على نهر عظيم يصب في البحر وعليه جسر معقود كالعقد في النحر ثم اقبلنا على السبعة اعين وذلك المرج الاخضر ونزلنا ساعه فطاب لنا المجلس هناك والمحضر وقلنا في ذلك الروض الانضر

نزلنا من حما صيدا	بماء طيب نبعه
فكانت اعين السبعه	علينا الاعين السبعه

ثم سرنا الى جهه البلاد فخرج الى لقائنا جماعه من اهلها ذوو الفضائل الامجاد ونزلنا في الجامع المعروف بجامع الكتخدا في حجرة هناك لطيفه ونحن في انواع المسرات بنا مطيفه واضافنا تلك الليله الشيخ الفاضل مفخر الاعيان الافاضل الشيخ محمد المعروف بابن قطيش بضم القاف المهملة والياء والشين المعجمة ثم لما اصبح الصباح

و كان ذلك اليوم يوم الخميس الثالث والاربعين وهو الرابع عشر من صفر وردت علينا جماعات من الناس فحصل كمال اللطف والاستئناس ودعانا الى ضيافته الشيخ الصالح الحاج حسين فذهبنا الى داره المعمورة التي هي بانواع الخيرات معمورة ثم ذهبنا الى زيارة ضريح الشيخ قاسم من اولياء الله تعالى وقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى وقلنا في ذكر مديحه والتبرك بقبره وضريحه

ان صيدا تنير بالشيخ قاسم وبه ثغرها مدى الدهر باسم
قد ثوى من في ذراها شهيد نور اسراره بدا في المواسم الخ

ولقد حضر عندنا مفخر الافاضل الشيخ محمد بن قطيش المتقدم ذكره واطلعنا على قصيدة لصديقنا المرحوم الشيخ العالم الكامل عبد القادر المعروف بابن عبد الهادي العمري الدمشقي مدح بها الشيخ قاسم المذكور لما اتى الى بلدة صيدا وزار الشيخ قاسم رحمه الله تعالى في سنة ثمان وتسعين والف وهي قوله

خليلي في صيدا مطالع للفتح وفي حسنها طاب النظام مع المدح
وسل عن شهيد الحق ذلك قاسم فان به طير الشهادة في صدح
الخ

ثم راينا قرية بعيدة على جبل عال يقال يقال لذلك المدفون فيها سيدي حنين وهو مشهور بذلك عند العامة وانه من اولاد يعقوب النبي عليه السلام وذكر لنا بعض اهل البلاد ان اسمه حنان وهو المشار اليه بقوله تعالى وحنانا من لدنا وذكر بعضهم ان المدفون هناك انما هو جثة يحيى عليه السلام فقرانا له الفاتحة ودعونا الله تعالى ثم ذهبنا الى زيارة صيدون وهو كما ذكر الحافظ بن عساكر في اوائل تاريخه لدمشق حيث قال قال الشرقي ابن نظامي سميت صيدا التي بالشام بصيدون بن صدقة بن كنعان بن حام بن نوح اه فدخلنا الى مقامه وفيه قبره وعليه قبة مبنية وهناك جلالة وهيبة ووقار وفي خارج ذلك المكان اشجار وفيه الياسمين ولطائف الازهار فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله عنده ولعمري فان صيدا من احسن بلاد الساحل الشامي ذات الاشراق التام والخير السامي وقد قيل ان ارضها تنبت العيون فسماهم ارادوا بذلك عيون النرجس او عيون الماء او عيون الناس اي اعيانهم او تقوي البصر وتحد النظار بصحة هواها وطيب مياها وللاديب ابن الساعاتي وقد هرب غلام له فأمر ان يمر في نرجس صيدا

لله صيداء من بلد لم تبق عندي هما دفينا
توجسها حلية القيافي قد طبق السهل والحزونا
وكيف ينجو بها هزيم وارضها تثبت العيونا

(وقد قلنا في شأن صيدا اطراء في الثناء عليها وتاييدا)

صاد قلبي هوى الاحبة صيدا عندما جئت قاصدًا ارض صيدا
بلدة طاب رونق البحر فيها فازالت عنا من الهم قيدا
اعجبتني لطافة الماء منها والهواء الذي انبرى ترديدا
ساحل مطاق الجوانب غض يقذف الدر من حصاه نضيدا
فيه صحب لنا هناك كرام كل شهم منهم يلوح فريدا
يحفظون الوداد بالصدق حتى من اتاهم لا يعرف التنكيدا
صانهم ربهم وخص حماهم بالمعالي فلا يزال مشيدا
امد الدهر ما النسائم هبت وسمعنا طير الربى غريدا

ثم ذهبنا الى زيارة ابي الروح وهو شبيب بن ذي الكلاع ابو روح صحابي مختلف في صحبته قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح وقرأ فيها بالروم وتردد فيها في آية اخرجه ابو عمر بن عبد البر وقال هذا مضطرب الاسناد روى عنه عبد الملك بن عمر كذا في اسد الغابة في اخبار الصحابة وذكر الحافظ بن حجر العسقلاني في الاصابة في اخبار الصحابة في القسم الرابع منها بعد ما ذكر عبارة اسد الغابة قال قلت المعروف انه شبيب بن ابي روح الكلاعي الحمصي هكذا ذكره البخاري وغيره وبالثاني جزم بن ابي حاتم وقال انه جهلني وحطني وانه روى عن ابي هريرة ايضا وعن يزيد بن خمير وروى عنه جرير بن عثمان وجماعته واما الحديث فاخرجه بن قانع هكذا وسقط من اسناده رجل فقال وقد رواه الحافظ من طريق عبد الملك بن عمير عن شبيب ابي روح عن رجل له صحبة ومنهم من سماه يعني ذلك الرجل الاغر وتفرد ابو الاشهب باسقاط الصحابي فصارت روايته محتملة عندما ذكر شبيبا الصحابة وهو وهم اه

فدخلنا الى ذلك المقام وابتهجنا بزيارته مع الاجلال والاكرام ومكانه لطيف الفناء عذب الماء وهناك اشجار وازهار واسرار وانوار وعليه قبة معقودة وبهجة مشهودة فقرانا له الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء وجلسنا هناك حصة

من الزمان نحن ومن كان معنا من الاخوان وحصل لنا كمال الصفاء والسرور وغاية النشئة والحضور وقلنا في ذلك من النظام عند ذلك المقام

يا أبا الروح انت للروح روح حيث عرف الكمال فيك يفوح
قد اتينا نزور منك ضريحا طائر السر في ذراه يبوح
الخ

ورأينا في حال ذهابنا الى زيارة ابي الروح المذكور قبة عظيمة تلوح من بعيد كانها كوكب في سماء من المهابة والتمجيد فذكروا لنا ان هناك قرية يقال لها دير بيسم بكسر الباء الموحده وسكون الياء التحتية وكسر السين المهملة وسكون الياء التحتية والميم من اعمال صيدا وان المدفون في هذه القبة هو نبي الله داود عليه السلام فقرانا له الفاتحة ودعونا الله تعالى وقد اجتمعنا في صيدا المحروسة بمفتي السادة الشافعية هناك وهو الشيخ الفاضل حاوي الفضائل والفواضل الشيخ رضوان بن الحاج يوسف الصباغ المصري الدمياطي وجرت بيننا وبينه مذاكرات علمية ومباحثات فقهية وقد اخبرنا لطف الله به انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام سنة اثنين ومائه والف قبل ان نجتمع به بثلاث سنين في الجامع الكبير العمري بصيدا ورأى الناس مزدحمين عليه وشخص يقول له يارضوان بصريح اسمه ادخل وكلم الرسول صلى الله عليه وسلم فدخل معه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فخاطبه الرسول وقال له يافلان وذكر اسمه اخرج قل عني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارق واعمل ما شئت فانك مجزي به فخرج وبلغ كما ذكر له النبي صلى الله عليه وسلم اه

قلت وقد ثبت له رواية هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق السماع كما ذكر نظير ذلك عن غيره من ائمة الحديث وقد صنفنا في هذه المسئلة رسالة مستقلة جوابا عن سوءال سألنا اياه بعض علماء المدينة المنوره كما سنذكره في محله ونحن سمعنا هذا الحديث ايضا ممن سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فلنا رواية عنه بالسماع وقد انشدنا نحن على البديهة لنا في هذا المقام من التخميس لابيات ابي نواس الحسن بن هاني المشرقي وهو غير ابن هاني الاندلسي المغربي الشاعر المشهور

الا انها الدنيا بدت بمهالك لواقف حال في الورى ولسالك
وقد قصرت اوقاتها في ممالك وما الناس الا هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق
هي المحنة العظمى لمن هي اتلفت وقد امرت كل الانام وما شفت
فكم مهجة يوما عليه تلهفت اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

ثم لما اصبحنا في اليوم الرابع والاربعين وهو يوم الجمعة الخامس عشر من صفر صلينا صلاة الجمعة في جامع الكتخده الذي نحن نازلون في الحجرة التي في خارجه مع اخواننا ثم جلسنا بقرب المحراب منه واقرانا درسا عاما في كتابنا الذى سميناه كنز الحقائق المبين في احاديث سيد المرسلين وصارت ابحاث جليلة تشفي من الطالب غليله وتبري عليله ثم دعانا الى داره حضرة المفتي الشيخ رضوان المذكور وقدم لنا الضيافة العظيمة عب المذاكرة العلمية والمطارحة الادبية وقد اجتمعنا ذلك اليوم بحضرة الوزير المكرم جناب احمد باشا (١) محافظ ثغر صيدا المحروسة وحصل لنا عنده كمال السرور بحضرته المأنوسة ثم لما اصبحنا في اليوم السبت وهو اليوم الخامس والاربعون السادس عشر من صفر حضر عندنا قاضي بلدة صيدا وهو يومئذ جناب فخر العلماء ومجد الفقهاء محمد افندي الرومي وحضر معه جناب الديوان افنديسي المنسوب الى حضرة الباشا محافظ ولاية صيدا بقصد الزيارة فحصل لنا بهما كمال الانس في المذاكرة والمحاوره وطلب منا في هذا اليوم حضرة المفتي الشيخ رضوان المذكور ان نكتب له اجازة في جميع العلوم ليتأكد عنده الملفوظ بالمرقوم فكتبنا له هذه الاجازة وهي قولنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاجازة سبب الاتصال من الخلف بالسلف في طريق الاساتيذ الاوائل وجرى بذلك ينابيع الفيض في قلوب القابلين من ارباب الاحوال والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده يعني يوصله الى مقامات الجمال والجلال ورضوان الله عن جميع اصحابه

(١) لم ندر من هو هذا احمد باشا ولعله من ولاة صيدا الذين لم نقف عليهم

الكرام الطاهرين بعد الطاهرين الآن ما لمع سراب وآل ورجع عبد الى سبيل مولاه وآل وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان العلم من اشرف فضائل الانسان وهو المقام الذي ظهرت به مزية هذا النوع الآدمي على غيره من الجماد والنبات والحيوان وقد استخدم الله الملائكة الاكرمين في ايصال ذلك الى نوعنا بمحض الكرم والامتنان ومن شرفه رواية بالاجازة متصلة عن المشايخ الكاملين من بحر العرفان فانه الطالب بالاجازة يدرك حقيقة العلم ومجازه والراوي بها ولو لعلم الشعر والادب محصل للبركة والبهاء في علمه الذي اليه انتدب والعلوم كثيرة جدا متعددة الانواع والاجناس وكلها مطلوبة مرغوب فيها شرعا اذا لم تشتمل على ما نهي عنه ووقع الذم له بين الناس ويكفي مدحه للعلم قوله تعالى في محكم الكتاب (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو الالباب) والعلم المطلق شامل لكل علم فكل علم محمود مرغوب فيه عند الطلاب ولو كان علم السحر ونحوه مما حضر وغاب وانما المذموم العمل بمقتضى العلوم المنهي عنها شرعا بمضرة ونحوها والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب هذا وقد طلب منا صديقنا الفاضل صاحب الفضائل والفواضل مفخر العلماء والعاملين وتحفة الصلحاء الكاملين الشيخ رضوان بن الحاج يوسف الصباغ المصري الدمياطي المفتي يومئذ بثغر صيدا المحروسة جمل الله ذاته بالكمالات العلمية والعملية مأنوسة ان نكتب له اجازة فيما لنا من العلوم عن مشايخنا الفضلاء الكاملين اصحاب الروايات والفهوم قصدا منه لحصول البركات فيما هو بصدده من حصول الفضائل وانواع الكمالات تلميحا بالمفهوم من اشارة قوله تعالى في محكم النصوص (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ولا شك ان الصف الواحد يتصل بعضه بالبعض فيكون محكما في الطول والعرض وتلويحا بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم (ساووا المناكب بالمناكب والصقوا الكعاب بالكعاب) او كما قال صلى الله عليه وسلم بتسوية الصفوف بمقتضى اشارة الخطاب فاجبناه بما سأل وطلب من ذلك الامر المرغوب واجزناه في جميع ما لنا روايته من العلوم على حسب اختلاف الانواع والضروب فمن ذلك ما هو ثابت في ثبت الشيخ الامام والجد الهمام الشيخ محمد بن سليمان المغربي الذي جمعه في بلادنا دمشق الشام ورتبه على حروف المعجم اكمل ترتيب واحسن انتظام وان روى فيه عن بعض مشايخنا السادة الائمة الكرام

فانا نرويه عنه بواسطة اخينا الفاضل جامع الكمالات والفضائل المرحوم الشيخ ابراهيم بن عبد العزيز وقد ذكر الشيخ صاحب الرحلة مشايخه الكرام وكتبهم وكتبه مما احتوت عليه سائر الفنون والعلوم والمنطوق والمفهوم الى ان قال رضي الله عنه واجزناه بجميع ما يحدث لنا من المؤلفات في جميع انواع العلوم ونوصيه بتقوى الله تعالى على كل حال وان لا ينسانا من دعائه الصالح والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وما احسن قول صاحبنا المرحوم مفخر الافاضل وحاوي الفضائل والفواضل الشيخ احمد الصفدي امام الدرويشية والواعظ بجامع بني امية في دمشق المحمية في شان الشيخ الامام والحبر الهمام مفتي دمشق الشام المرحوم علاء الدين افندي الحصكفي لما ذهب من دمشق الى بلاد الروم وجاء بقضاء صيدا المحروسة

ولما ان سما الشيخ العلائي وارغم علمه عمروا وزيدا
فجنح قاصدا للروم يسعى وعاد الى دمشق وصاد صيدا

فلما اصبحنا في اليوم السادس والاربعين وهو يوم الاحد السابع عشر من صفر دعانا الى داره مفخر الاكارم صديقنا لطفي جلبي الكاتب آنئذ بمحكمة صيدا المحروسة وحصل لنا كمال السرور بذاته اللطيفة المأنوسة ووجدنا عنده هذا السؤال والجواب المنظومين في سلك الاقتضاء لذلك والاقتضاب في حق شرب الدخان من نظم كمال افندي احد العلماء الاعيان عليه الرحمة والرضوان

ما قولكم سادتي في بدعة ظهرت فيا لها بدعة تدعو الى النار
مثل الغمامة في العينين قد نشرت وفي انوف البرايا مثل اعصار
وقد اكب عليها الناس واشتهرت بعد الخفاء بغليون كمزمار
هل جائز شربها فينا فقد كثرت وقيل قد ظهرت من عند كفار
افتوا لسائلكم يا اجرا ذخرت يا اكرم الناس من بدو واحضار

الجواب

يافاضلا قال درا في السؤال على حشيشة شربتها الناس كالنار
جوابها قلته عن حالها كثرت فيه الاحاديث من اقوال اخيار
وبدعة قلت لكن بعضهم شهدوا بان في شربها رفعا لاضرار
وكالغمامة في العينين قلت فما كل الطبائع شكال واحد طاري

الخ

وفي سنة ١١٤٣ هـ كان واليا على صيدا اسعد باشا العظم وكان يبغض الامير ملحم الشهابي بغضا شديدا حتى قيل انه كان لما يصل اليه كتاب من الامير ملحم يضع يده على اسمه لئلا يقع نظره عليه ومع ذلك لم يقدر عليه ان يضره ولا يعيره من حكمه .

وفي سنة ١١٤٧ انتقل اسعد باشا العظم من ايالة صيداء الى ايالة دمشق وتولى ايالة صيداء اخوه سعد الدين باشا والي طرابلس

وفي سنة ١١٥٦ تولى سعد الدين باشا الموى اليه دمشق وقام مقامه عثمان باشا المحصل . وفي سنة ١١٦٣ كان واليا على صيدا مصطفى باشا القواص ولقب بالقواص لانه كان ماهرا في اطلاق البنادق حتى قيل انه كان يرمي الرصاص من دار الامير ملحم في الدير الى قاطع بعقلين فيصيب الهدف المنصوب له وقد دعى هذا الوالي الامير ملحم الى دير القمر ثم الى الباروك وقدم له كل اكرام

وفي سنة ١١٧٥ كان واليا على صيدا رجل اسمه نعمان باشا

وفي سنة ١١٧٧ كان واليا عليها محمد باشا العظم

وفي سنة ١١٧٤ تولى عليها درويش باشا بن عثمان باشا الصادق ولما انكسر عسكر ابيه في الحوله انهزم من صيداء الى دمشق واقام بها اياما وبعد رجوعه الى صيدا عصت عليه مشايخ المتاولة وارسلوا يتهددونه كي يقوم من صيداء فاعلم بذلك الامير يوسف الشهابي فارسل له عسكرا ليحافظ على المدينة فترك له مقابل ذلك مطلوب بيروت والجبل تلك السنة ثم رأى ان الشيخ ظاهر العمر ومشايخ المتاولة متشددين في العصيان فخاف على نفسه لانه كان جبانا واخلى صيداء ورجع الى دمشق

وفي سنة ١١٧٥ قدم الامير يوسف الشهابي بعشرين الف مقاتل الى جبل عامل وفي وصوله الى جسر صيداء ارسل عقال الدروز للمحافظة على صيداء مع الشيخ علي جنبلاط وقد انكسر الامير يوسف كسرة هائلة لان المتاولة تغلبت عليه ومزقت مقاتلته كل ممزق مع كثرتهم ولما بلغ ذلك الشيخ علي جنبلاط والعقال الذين معه فروا من صيداء الى بلادهم ولما انصرفوا وخلت صيداء من الرجال ارسل الشيخ ظاهر العمر من قبله متسلما يقال له احمد آغا الدنكزلي

فارسل عثمان باشا المصري الذي جاء ساري عسكر على عربستان الدالي خليل وجاء معه احمد بك الجزار ومعهما الف فارس ومدافع وزنبركات وذخيرة وعند وصولهم الى عين السوق التقاهم الامير يوسف بكل اكرام وجمع عساكر بلاده وساروا جميعا الى حصار مدينة صيداء وكانت عساكرهم اكثر من عشرين الفا فأقاموا على حصار صيداء سبعة ايام وتضايق احمد آغا الدنكزلي وعزم ان يسلمهم المدينة ويطلب الامان وفي اثناء ذلك رجع اكثر عسكر الدروز الى البلاد فسكن روع احمد آغا بذلك وكان الامير علي بك والشيخ ظاهر العمر اوسلا الى ملكة المسكوب ان تمدهما بالمراكب الى بلاد العرب واتفق في ذلك الوقت وصول المراكب الى عكا وهي خمسة مراكب كبار وجملة مراكب صغار وعند وصولها الى هناك ارسلها الشيخ ظاهر الى صيداء وكان عسكر الامير يوسف وعسكر الدولة لم يزل على حصار صيدا فأطلقت المراكب عليهم المدافع فرحلوا الى حارة صيداء وحضر الى الامير يوسف رسالة من الشيخ ظاهر العمر ان يرجع بعسكره الى جسر صيداء وهناك يصير الاتفاق بينهما والا تصل اليهم العساكر فابى الامير يوسف الرجوع ولما وصل جوابه الى الشيخ ظاهر سار بعساكره وعسكر المتاولة وجملة خيل من الغز التي حضرت مع علي بك من مصر فكان عسكرا ينيف عن عشرة آلاف نفس حتى وصل الى براك التل التي في اول سهل الغازية بالقرب من مدينة صيداء فبات هناك وعند صباح ٢٢ ايار الموافق شهر رجب نهار الثلاثا التقى العسكران في سهل الغازية فكان عسكر الدولة مغلوبا واما المراكب المسكوبية فانها بعد كسرة العساكر في صيداء سارت الى مدينة بيروت

ثم طلب الشيخ ظاهر العمر الامان من والي الشام عثمان باشا المصري فكتب الوالي المومى اليه كتابا الى الامير يوسف جاء فيه مايلي

وقد انتهت الامور الى استكشاف ما في الصدور والهم الله كلا من ذوي العقول رشده وطلب نجاحه وسعده فمن اجل من طلب النجاح وغرد طائر سعده بحيّ على الفلاح قدوة المشايخ الكرام وعين اعيان العقلاء الفخام صاحب المقام المعتبر اخونا الشيخ ظاهر العمر وقد حرر الى نادينا الدستوري وسأل الدعاء وتمسك بحبل العهد والوفاء واعلن الطاعة لحضرة مولانا السلطان ظل الله في ارضه نصره العزيز

الرحمن على شروط وعهود معاومة واستعطف ان ينعم عليه بأيالة صيداء على وجه الملكية ويرسل البقايا الباقية عليه في ايالة صيداء خمسمائة الف غرش من المال السلطاني ويؤدي خدمة حراسة ولوازم المحمل الشريف كجاري المعتاد

وقد وصل هذا الكتاب سنة ١١٨٧ فأجاب الاميريوسف جوابا حسنا لكنه كان يكره باطنا ذلك لانه يعز عليه ان يكون الشيخ ظاهر العمر واليا على ايالة صيدا ويكون هو حاكما من تحت يده

غير ان هذه النعمة لم تدم للشيخ ظاهر لأن الدولة كانت واجدة عليهمستاءة من غروره بنفسه فطلب محمد بك ابو الذهب المصري ان يكفي الدولةشره وكشف لها سرّ احد انصاره علي بك المصري وسره فاذنت له بذلك فكانت العاقبة قتل الشيخ ظاهر خارج عكا وكان متسلم صيدا آنئذ من طرف الشيخ ظاهر احمد آغا الدنكزلي فقدم معروضا لمحمد بك ابي الذهب فأقرّه على ولايته وفي ذلك الحين نهب الشيخ علي بن الشيخ ظاهر العمر الاموال الموجودة في خان الافرنج

وفي سنة ١١٩١ حضر احمد باشا الجزار واليا على ايالة صيدا وعزل منهامحمد باشا الذي كان واليا من قبل حسن باشا غازي وجاءعسكرُ تلك السنة من الاستانة فارسلوهم الجزار الى بيروت ولما علم بذلك الامير يوسف الشهابي ارسل ليلا المشايخ النكدية وصحبتهم مائتي فارس ليقطعوا على العسكر الطريق عندالسعديات فانتشب بين الفريقين القتال واسفر عن قتل بعض مشايخ النكديين وانكسار عسكرهم فرجع عسكر الجزار الى صيدا ومعه الاسارى الذين قبضوا عليهم فسجنوهم هناك وابلغ الامير يوسف حسن باشا والي عربستان في واقعة الامر وكان يكره الجزار لتعيينه واليا على صيدا بدون رأيه فحضربالمراكب من عكا الى صيدا ولما خرج الى البر التقاه الجزار وتقدم ليقبل ذيل ثيابه فتنفر منه حسن باشا واصاب الخنجر وجه الجزار فجرحه

وفي سنة ١١٩٢ هرب الشيخ واكدنكد وابن عمه الشيخ محمود من قلعةصيدا بواسطة رجل من ساحل صيدا اسمه حنا بيدر كان يترددعليهما ففك قيودهما وانزلها من كوة القلعة ليلا فوصلامقرية الوردانية وصار لقدومهما فرح عظيم في البلاد

ثم نقل الجزار مركز الولاية الى عكا لحصانتها فضعف امر صيداء لكن بقيت

الايالة يطلق عليها اسم ايالة صيداء وان كان المركز عكاء وكانت صيداء غالبا مركز بعض العساكر ويتردد عليها جماعة من الامراء الشهابية والمشايخ الجنبلاطية وفي سنة ١٢٠٦ حصل بها وباء شديد وحضر مائة رجل مع حنا بيدر الذي اطلق المشايخ النكدية الى جسر صيدا فأخذوا ذخيرة عسكر الدولة وكانت ٢٨ بغلا

وما زال الجزار يخاطب بوالي صيداء وقد حضر له فرمان سنة ١٢١٢ من السلطان سليم يحثه به على قتال الفرنساويين يقول له به بعد الديباجة (والي صيداء الحاج احمد باشا الجزار) (١)

وفي الاجمال ان جعل الجزار عكاء مركز ولاية عجل على سقوط صيداء وقد طرد الافرنسيين منها سنة ١٧٩١ مسيحية وابتدأت بيروت من ذلك الحين ان تكون مينا البلدان السورية(٢)

وقد عرج على صيداء اثناء سياحته في سوريا (فولناي) السائح الافرنسي الشهير في القرن الثامن عشر المسيحي وقال ان الفرنساويين يوردون الى صيداء وعكاء بضاعة تساوي مليوني فرنك اي مائة الف ليرة وكتب ما يلي

ايالة صيداء او عكا

يبتدىء حد ايالة صيدا من الشمال حيث ينتهي حد ايالة طرابلس وينتهي عند جبل الكرمل اما مركز الوالي فكان يتراوح بين عكا وصيدا وبعد سقوط ظاهر العمر اتسعت حدود الايالة بما ضم اليها الجزار من بلاد صفد وطبريا وبعلبك واما حدها اليوم فهو الارض الممتدة من نهر الكلب شمالا حتى القيصرية جنوبا وهي الواقعة بين البحر المتوسط غربا وانتيلبنان شرقا على طول مجرى الاردن وهذه الايالة جيدة التربة وافرة الخصب لاحتوائها على سهل عكا ومرج ابن عامر وصور والحولة والبقاع واهم حاصلاتها القمح والشعير والذرا والقطن والسمسم الذي ولئن كانت زراعته يعوزها الاتقان فهي تغل من ٢٠ الى ٢٥ ضعفا وفي جهات القصيرية حرج بلوط لا يوجد سواه في البلاد وقطن صفد لا يقل في بياضه عن قطن قبرص وتبغ الجبال المجاورة لصور يشابه في جودته تبغ اللاذقية ويفوقه احيانا

(١) الى هنا ملخص عن تاريخ الامير حيدر
(٢) السائح كيزان الفرنساوي

اما والي هذه الأيالة فهو كسائر الولاة متمتع بكل حقوق منصبه ويؤدي للباب العالي لقاء المنصب مالا سنويا قدره سبعمائة وخمسون كيسا ويفرض عليه ايضا مثل والي طرابلس تقديم الجردة اي جهاز الحج الشريف حيث يبلغ ثمن ما يقدر من القمح والارز والشعير السبعمائة وخمسين كيسا واما دخله لقاء ذلك فمن الاموال الاميرية ومن يالترمون جمع الجزية من الدروز والمتاولة وبعض قبائل العرب ومن مصادرة الاغنياء على اموالهم ومن الرسوم الكمركية المضروبة على البضائع الصادرة من البلاد والواردة اليها وتقدر الرسوم الكمركية وحدها بالف كيس الخ

اما صيدا فهي مدينة تجارية لانها ميناء دمشق والبلاد الداخلية وكل ما فيها من الافرنج نفر من الفرنساويين يتجرون بالحرير والقطن وعدد اهلها حوالي الخمسة آلاف نفس وعلى مسافة بضعة اميال منها صور الشهيرة مهد الصنائع والعلوم وموطن اشهر الامم صناعة وموقعها اليوم على رأس لسان داخل في البحر وتكاد تكون قرية وسكانها من النصارى والمتاولة

وقد تكلم عن الطوائف الموجودة في سوريا فقال عن المتاولة مايلي

الى شرقي بلاد الدروز في الوادي الفاصل بين لبنان وبلاد دمشق يقيم شعب صغير يعرف بالمتاولة على انهم لم يعرفوا بهذا الاسم قبل هذه الآونه (زمن المؤلف) وقد اشتهروا لهذا العهد بحروبهم وغزواتهم وكانوا يسكنون بعلبك وبعض جهات البقاع ولبنان الشرقي (انتيلبنان) ويخضعون لعدد كبير من المشايخ الا انهم يرجعون في حكمهم العام لرئيس اكبر من مشايخ آل الحرفوش

وقد امتدت سلطتهم بعد سنة ١٧٥٠ الى اعالي البقاع وتجاوزته الى لبنان ودخلوا ارض الموارنة حتى وصلوا الى بشري فنهض حينئذ الامير يوسف الشهابي واحاط عليهم برجاله فطردهم الا انهم كانوا من الصوب الآخر قد اعتزوا وامتدت سلطتهم حتى مدينة صور(١)

وقد اصاب صيدا سنة ١٨٣٧ زلزال مهم وقد اشعرت به اهالي فلسطين وسورية ولكن سليمان باشا القائد السلافي اعاد لها عمرانها واحاطها بسور من جهة

(١)مجلة المباحث مجلد ٣ جزء ٢٥٥

اليابسة وفي سنة ١٧٤٠ ضربت بالقنابل الانكليزية واستولى عليها القومندان (نابيا) والارشيدروق (فرادريك) النمساوي وكان ابراهيم باشا المصري تركها ٢٥٠٠ جندي مصري فاعتصموا في الجبال بعد مقاومة عنيفة والعساكر التي اتحدت على مقاومة ابراهيم باشا كانت مؤلفة من ٩٠٠ تركي و ٣٠٠ انكليزي و ٦٠٠ نمساوي(١)

بقي سليمان باشا واليا على ايالة صيدا مدة وذلك في اواخر القرن الثامن عشر وما بعده وكان ممدوح السيرة حسن المعاملة وخلفه في الولاية عبد الله باشا وكان مركزهما في عكا(٢)

معاملة صيدا — هي احدى معاملتي جبل لبنان سابقا اولها جسر المعاملتين وآخرها نهر الاولي عند صيدا ومقاطعاتها ست عشرة كسروان والقاطع والمتن وساحل بيروت والغرب الاسفل والغرب الاعلى والشحار والجرد والمناصف والعرقوب والشوف وجزين والشوف البياضي واقليم التفاح واقليم الخروب وجبل الريحان وكان يتولى على هذه المعاملة قديما الامراء التنوخيون ثم الامراء المعنيون ثم الامراء الشهابيون وكان الولاة على مقاطعات المعاملة الاخرى اي معاملة طرابلس المردة وبني الصاف . وفي سنة ١٨٤٤ قسمها السلطان عبد المجيد قسمين جاعلا طريق دمشق فاصلا بينهما فولى على القسم الثاني الامير حيدر اللمعي قائمقام للنصارى وعلى القسم الجنوبي الامير احمد عباس قائمقام للدروز وجعل اصحاب المقاطعات تحت ولايتهما وجعل عند كل منهما ديوان شورى مؤلفا من ١٢ عضوا من كل طائفة ثم بعد حادثة سنة ١٨٦٠ تغير الترتيب المذكور وجعل لبنان متصرفيه مستقلة والحقت صيدا بولاية سوريا ثم بولاية بيروت

وفي ٢٠ ك ٢ سنة ١٨٥٥ اكتشف ناووس اخذ الى اللوفر منقوشا عليه بالخط الفينيقي ٢٢ سطرا ومعنى الكتابة ان مدينة صيدا مقر راحة اشمناصر ملك الصيداويين ثم وجدت نقود ذهبية قديمة في انحاء مختلفة من المدينة تعزى الى ايام اسكندر الكبير وقد اكتشف حديثا نواويس عليها نقوش ورسوم وكتابات ذات اهمية كلية تعد من اشهر آثار الازمان الغابرة اعتنت بها الحكومة السنية فارسلت الى المتحف السلطاني بين جملة الآثار في الاستانة العلية

---

(١) كيران

(٢) رايت في مجموعة سيدي الوالد ان سليمان باشا وعبد الله باشا المومى اليهما زارا جدنا المرحوم الشيخ علي الزين في شحور وقد رد لهما الزيارة واتزلاه في قصر البهجة

وقد فاتنا ذكر فقيه شافعي نشأ في القرن الحادي عشر وها نحن نذكره هنا وهو محمد بن عثمان الصيداوي الفقيه الأصولي الشافعي المذهب نزيل دمشق · قال المحبي كان من العلماء العاملين كامل الخصال كثير التقوى والصلاح والورع وكان زاهدا في الدنيا لذيذ الصاحبة خفيف الروح تميل اليه القلوب الا انه كان حاد المزاج كثير الانفعال مع صفاء السريرة وكان علماء دمشق يعظمونه والناس فيه اعتقاد عظيم وبالجملة فهو بقية السلف الصالح خرج من بلدته صيدا وهو في ابان الطلب فدخل القاهرة واخذ من علمائها واقام مدة بجامع الازهر وبرع في كل الفنون واشتهر صيته وكان مع تغربه ذا وجاهة وايثار على طلبة الازهر ثم قدم الى دمشق سنة ١٠٣٠ واقام بجهة القنوات واقرأ وافاد وكان لا يفتر ولا يمل من المطالعة والبحث وحضر دروس الشمس الميداني والنجم الغزي وولده الشيخ سعودي تحت قبة النسر ولزم العمادي المفتي في دروسه ايضا وكان اصحاب المجلس يرجعون الى ما يقوله وكان يطيل البحث وكان صوته جهوريا فيسمع من بعيد وربما تهور على بعض الطلبة فآلمه بالكلام ولا ينفعل كل الانفعال الاتلافي ما يقع منه لصفاء طويته وكان لا ينادي احدا الا باسمه كائنا من كان ولم يلبس السراويل مدة عمره وكان كثير التقشف في امر العبادة وربما عارضته الوسوسية في الوضوء والصلاة ودرس في بقعة بالجامع الاموي فرغ له عنها ابو العباس المقري ليلة ارتحاله الى القاهرة واعطي بعض جهات في بعض الاوقات وكان جميع ذلك لا يقوم به لما عليه من السخاء وبسط الكف وكان متوكلا في اموره كلها واذا فاوضه احد في صرفه يجيب بقوله انفق ما في الجيب يأتي ما في الغيب وكان كثير الشغف بأيراد حديث «انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا» وكانت ولادته بمدينة صيدا سنة ٩٩٥ وتوفي ١٠٦٥ ودفن بمقبرة باب الصغير في قبر كان اشتراه في حياته واعده لنفسه قبل موته بنحو عشر سنين بالقرب من قبر سيدي نصر المقدسي (١)

وممن اشتهر ايضا ما بعد القرن العاشر الشيخ صالح بن سليمان بن محمد العاملي الصيداوي قال صاحب الروضات : كان عالما فاضلا صالحا عابدا ساح الى العراق وجاء الى مشهد الكاظم عليه السلام . وقد يكون هناك جماعة كثيرون لم نقف على اسمائهم لانا رأينا الخطيب البغدادي صاحب كتاب تاريخ دار السلام يروي كثيرا عن جماعة من صيدا وصور ايضا

(١) دائرة المعارف للبستاني

احتلّ ابراهيم باشــا المصري عكا وجهاتهــا سنة ١٨٣٢ م وذلك بمساعـدة نابليون وبقي الى سنة ١٨٤٠ حيث استعانت الدولة على اخراجه منهــا بانكلترا والنمسا وبلغنا عن بعض المعمرين انه حينما حل صيدا اراد ان يجعل بها ادارة صحية (كرنتينا) فابى عليه الاهالي اشد الاباء على زعم ان ذلك مفسد لبلدتهم مضر بمصلحتهم فما كان منه الا ان بناها في بيروت ومن ذلك الحين بدأت بيروت تتقدم رويدا رويدا

ولا يخفى على القارىء انصيدا كانت مباءة للامراء المعنيين والتنوخيين والشهابيين لانهم كانوا يحكمون صيدا احيانا او مقاطعة الشوف آونة ويترددون الى صيداء دائما

وقد حدثت سنة ١٨٣١ م فتنة في صيدا بين الامير بشير ملحم والشيخ يونس البزري قاضي المدينة لان الامير المذكور كان يناقض احكامه بغير علم فقه . فهيج القاضي المذكور بعض اهل المدينة واتى بهم بالسلاح الى السرايا ليطردوا الامير منها فتباحثا في الكلام وتشاتما واتصل ذلك الى جماعة الامير - ثم توجه بعض حزب القاضي الى ابواب المدينة لطرد جماعة الامير منها فصدمتهم الجماعة - فارتد كل الى مكانه . فرفع هذا امره للامير بشير لانه كان ارسله لمحافظة صيداء ومعه جماعة تقوم بخدمته وطلب منه حق شرفه فكتب الامير الى نقيب افندي في عكا فعرض النقيب الامر للوزير فامره ان يرسل الامير ليبعث بجماعة من اعوانه ويقبضوا على القاضي والمفتي ومن ساعدهم على الهياج ففعل ذلك وارسل الجميع الى عكا وقدم شريف باشا اليها فامر بعقد ديوان شورى على الصيداويين فحكم الديوان ان خمسة عشر رجلا من المعتدين يسجنون وان الذي رفــع السلاح على الامير يقطع عنقه على باب صيداء ففعلوا كذلك وهم ينادون هذا جزاء من رفع يده على الوالي(١)

هذا ما اوردنا كتابته عن تاريخ صيدا الحديث ومنه يعلم انها لم تكن شيئا مذكورا الا لما اصبحت باشاوية وكانت مصدر الاحكام ومركز الحكام ثم تراجعت لما حول مركز الايالة الى عكا وسوف نأتي ان شاء الله على تاريخهــا المعاصر الذي يبتدأ بحادثة الستين اي منذ اثنان وستين سنة ونجتهد في ايفاء البحث حقه والله الموفق للصواب

(١) تاريخ الامير حيدر

تاريخها المعاصر

في سنة ١٨٦٠ مسيحيه الموافقة ١٢٧٧ هجريه اشتعلت نار الفتنة — في لبنان واندلع لسان لهيبها الى جميع اطراف سوريا وكان لصيدا وسائر انحاء جبل عامل منها نصيب كانت الفتنة بين الدروز والنصارى وقد دبرت بليل وكان العامل الاكبر فيها بعض كبار رجال الدولة وذلك لاسقاط السلطان عبدالعزيز فكانت النتيجة استقلال لبنان تحت سيادة الدول لقوتواله تلك الامتيازات وقد التجأ في تلك الآونة جم غفير من المسيحيين الى جبل عامل فكان للشيعة القدح المعلى في حمايتهم وايوائهم في بيوتهم ومما قاله كيزان السائح الافرنسي «وفي سنة ١٨٦٠ ذبح كثير من المسيحيين بين بساتين صيداء وقد ذبحهم الدروز والاتراك المتحدين ولولا وصول العساكر الافرنسية لهدمت المدينة وحرقت وقد حمى ديركالو قنصل فرنسا في ذاك الحين كثيرين ممن التجأوا اليه» وهنا اطنب كثيرا في ديركالو المومى اليه واثنى عليه كامل الثناء ولم يذكر شيئا من حماية الشيعة للمسيحيين مما شاع وذاع حتى ان المتصفين منهم لم يزالوا حافظين العهد ذاكرين تلك اليد البيضاء وممن حمى جماعة منهم في صيدا المرحوم عمنا الشيخ محمد سليمان الزين وحسبك ان علامة الشيعة الوحيد في ذلك الزمن المرحوم الشيخ عبد الله نعمه آوى الى بيته كثيرين ممن التجأوا اليه مما ادى الى هجوم الدروز ونهب امتعة داره ومما كتبه الوالد في مجموعته مايلي

« وحينما حضر محمد فوءاد باشا وزير الصدر للدولة العثمانية بالاستانه العليه الى هذه الديار الشاميه لاجل أطفاء الفتن التي سعرت نارها آنئذ بين طائفتي النصارى والدروز بجبل لبنان وبسائر انحاء الولايه وهو عام السبعة وسبعين بعد المائتين والف وقتل من طائفه النصارى خلق كثير وتفاقم عليها الخطب حتى آل الامر لحضور البابورات الفرنساويه مشحونة بالعساكر الى سواحل سوريه وحضر الوزير المشار اليه فهد الامور ومن وقتها حصل استقلال جبل لبنان وكانت الدروز بتلك الواقعة حضرت لجبع ونهبتها ومن الجملة نهبت دار العالم الرباني الشيخ عبد الله نعمه قدس سره فنزل المرحوم الوالد (١) لمدينة بيروت لمقابلة ذلك الوزير وطلب تعويضات المسلوب من

(١) هو المرحوم جدنا الحاج سليمان الزين

امتة الشيخ المشار اليه وقد استحصل رحمه الله على بعضها ويرقتها اهدى السلطان عبد العزيز الى الوزير المذكور سيفا مرصعا فقالت علماء بيروت وشعراؤها قصائد مهنئة بما الوزير بما اهدي اليه ونظرا لوجوده رحمه الله فيما بينهم بوقتها قال في ذلك وكان لما قاله عند الوزير موقع حسن جميل

حسام النصر اهداه مليك لراقي الـذروة العليا محمد
فكل العالمين تقول بشرى فؤاد الملـك بالهندي تقلد
وبشر بالفتوح بحـد ماض اذا من غمده يوما تجـرد
يرفرف فوقه النصر الالهي اذا ما سله او كان مغمد
فيا قوت والمـاس حصاه مع الاكسير في در تنضد
جـواهر في اشعتها تحاكي سنا برق بليل قـد توقـد
اذا مـا سله يومـا تراه يقد الهام والدرع المزرد
وفيه النصر نادى أرخـوه على مر الدهور بـه مخلد

ولما انتهت الحادثه جاء فؤاد باشا الى صيدا وكان متسلما بها اسماعيل بك الصغير فنال القصاص يومئذ الصالح والطالح وقد روى لنا بعضهم ان ذلك حصل من اسماعيل بك المذكور لانه كان منتقما جائرا وبعده تولى متسلمية صيدا خو رشيد افندي ثم اصبحت متصرفية فعين متصرفا لها ادهم باشا ثم ادهم باشا ايضا ثم ابراهيم باشا زياده وقيل لنا ان سبب عزله نصب موائد القمار في دار الحكومه اثناء الاحتفال بختان اولاده وعند التشكيلات اصبحت قائمقاميه ولم تزل للآن

كان محتسبا بهـا (رئيس بلديه) في ذلك الحين الحاج علي الديبـاسي وقد كان ممدوحـا يحي بنفسه الباعه ويحدد لهم اسعارا خاصه كأن يعين ثمن رطل السمن كذا وثمن رطل اللحم كذا فاذا لم يقبلوا بالسعر احضر سمنا ولحما من جهات صفد وباع على حساب البلديه ولم يكن عند المتسلم او المتصرف سوى اربعة او خمسة من الشرطه وكان الامن سائدا والراحـة مستتبة غير ان الحكام آنئذ والمتنفذين كانوا يفعلون مايشاؤون بدون معارض ولا منازع

الظاهر ان اول قائمقام تعين لصيداء هو نجيب افندي و كان محاسبا (محاسبه جي) عندما كانت صيدا لمتصرفيه فلما حصلت التشكيلات الجديده جعل قائمقام (١) وذلك سنة ١٣٨٢هـ

(١) سوف نذكر جدولا خاصا تثبت به اسماء الذين تولوا ادارة صيدا من اربعين عاما

آثار صيداء

في صيداء آثار خالدة واهمها بقايا الفينيقيين الذين بلغوا منتهى العز والسؤدد وقد عثر على بعضها في هذه الفترة وبقي الكثير منها مطمورا وها نحن نثبتها هنا على حسب ازمنتها واهميتها ونبدأ في ذاك الأثر العظيم الذي وجد من عهد غير بعيد وقيل أنه مدفن الأسكندر وقد جاء آنئذ مدير الآثار حمدي بك الذي توفي منذ ثلاث سنين الى صيدا ونقل تلك الآثار الى الأستانة فوضعت في المتحف السلطاني وها نحن ننقل عن الصحف كيفية استخراج هذه الآثار ثم نتبع ذلك بما سمعناه من افواه الثقات

أنه في ١٣ آذار (مارس) سنة ١٨٨٧ م بينما كان بعض الفعله يقتطعون حجارة في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة وعلى بعد نحو نصف ميل منها في محل يعرف بحاكورة عزرائيل عثروا على نافذة مطلة على حفرة سعتها لاتقل عن الثلاثين قدما وعمقها نحو اربعين قدماً واذ دخلوها وجدوا في اسفلها اربعة ابواب واربعة مخادع في نفس الصخر سعة كل منها نحو ١٠ قدماً مربعة بعضها قبور والبعض الآخر مساجد لأمراء اليونان القدماء كما عرف بالاستدلال من الشارات التاريخيه التي فيها وفي احد هذه الابواب ناووس من الرخام الابيض الناعم الشفاف كثير النقوش وعلى جوانبها أعمدة محكمة الصنع وبين الاعمدة ١٨ تمثالا طولها ثلاثة اقدام وكلها منقوشة على أحسن نمط وترى كلها كأنها في يوم صنعها لم يغير الزمان شيئا من رونقها وبهجتها وفي باب آخر ناووس كبير من نقي المرمر الابيض طوله نحو ١١ قدماً وعلوه نحو ١٢ قدماً وعرضه نحو خمسة أقدام وعليه نقوش وصور اناس وبهائم وطيور وكلها بارز كل البروز حتى انه يخال الناظر اليها انها مستقلة عن الناووس وكل صورة منها منفصلة عن الأخرى وهي تعد بالمئات وعلى دائر كل جهة من جهاته الاربع برواز صقيل من زرجون العنب بالورق والثمر وفي جملة هذه الصور صورة احد الشرفاء يقود فرسين مسرجين كل منهما بلا فارس وتتبعها كلاب الصيد وصورة فارسين مهاجما احدهما للآخر ومع الواحد اسد ومع الآخر كلبان كبيران يحاولان ارجاع الاسد دفاعاً والتابوت مثقوب في جانبه حيث نهب الناهبون ما كان فيه من التحف والحلي ولم يوجد في داخله سوى عظام شخصين وخمس جماجم كلاب

وبين هذه النواويس ناووس لم يفتح قبلا والمرجح ان صنعه كان سنة ٨٠٠

قبل المسيح وهو اقدمها وعند ماقتح هذا وجد فيه هيكل عظام فتاة شعرها باق على الجمجمة وبعض قطع ذهبيه مثل صفائح وخواتم واقراط وماشاكل ولم توجد كتابة تدل على اصحاب هذا المدفن

وبين هذه النواويس ناووس من آثار الفينيقيين على مثال التوابيت المصرية وجدت فيه مصبره (موميا) الا ان الرطوبة موثرة فيها فتهرى اللحم من الاجزاء الناضبة عنها مياه التصبير والجثة اخذت الى الاستانه مع ٢٢ تابوتا • اما الغطاء فهو حجر كحلي اللون من جنس الناووس مرسومة عليه صورة رأس ووجه وبدن غير تام الاعضاء على نحو مايوجد في اغطية النواويس المصريه اي كأن شخصا قد فقد يديه واختلطت رجلاه فكانتا واحدة ولهذه الصورة لحية قد سحبت الى منتصف الصدر وليس فيها مايشير الى الشعر لا في الشوارب ولا في العوارض ومن كتفي هذه الصورة يبتدىء شريط يسيل الى مادون الأبط ثم ما بين الكتفين من احد جانبي العنق الى الجانب الآخر صفوف من القلائد يخالف بعضها بعضا فيما ألفت منه وفي طرف الذقن صورة شخص راكع باسط ذراعيه الى جانبيه عليها جناحان طولها اكثر مما يناسب جسمه وعلى رأسه دائرة كأنها مثال الشمس وعلى التابوت تحت الصورة خطوط مصرية (هير وغليف) آخذة الى الكعبين من الصورة الكبيرة وعند آخر المثال خطوط فينيقية وعلى الجانبين مما يلي الكتفين صورتا شخصين قائمين في احسن نقش واجود تمثيل وسطح التابوت من جوانبه الأربع مشغول بالخطوط وليس فيه موضع يخلو من كتابة فهو من اجل الآثار فائدة وبه علت قيمة الآثار التي وجدت وذاع ذكرها وطارت شهرتها

ووجد بعد هذا قبران كان احدهما فارغا والآخر فيه سواران من الذهب يلتقي طرفا كل منهما الى مفصل من الياقوت وخلخالان واثناعشر زرا ذهبيا ووجد شمعدانان من الصفر علو كل منهما نحو ذراعين ⁽¹⁾

وجاء في المجلد الحادي عشر من المقتطف في الجزء السابع الصادر في ١نيسان سنة ١٨٨٧م الموافق ٨ رجب سنة ١٣٠٤ هـ مايلي

يؤخذ من رسالة من صيدا الى لسان الحال الأغر بتاريخ ١١٣ آذار أنه بينما كان بعض الفعلة يقطعون حجارا في ارض رجل يدعى الشريف ⁽²⁾ بالقرب من بستان

(١) دائرة المعارف للبستاني ـ انظر الى ترجمة المكتوب على الناووس في صفحه ٥٥

(٢) هو الحاج محمد الشريف من اهم اصحاب الأملاك في صيدا وقد توفي من مدة سنه

المغارة امام قناة صيدا وجدوا محلا نظير بئر ناعورة فطلب صاحب الارض من الفعلة ان يرفعوا التراب فبعد ان حفروا نحو ستة امتار أو سبعة من العمق وجدوا مغارة مفتوحة ضمنها ناووسان من الرخام احدهما منقوش بالرسوم البديعة والآخر غير منقوش وطول الأول اربع اذرع ونصف وعرضه نحو ثلاث اذرع وارتفاعه كذلك وهو من الرخام الأبيض الشفاف وعلى دائره من كل جانب رسم ستة اشخاص بارزين طول الشخص نحو ذراع وعلى طرفي كل ناووس ثلاثة اشخاص مثل تلك تحتها تماثيل متنوعة اصغر منها وفوقها عجلات وصور خيول ونساء وعلى الغطاء صور عجلات تجرّها خيول وأمام العجلات ووراءها فرسان راكبين وقد وجد ضمن الناووس الكبير عظام انسان وعظام ثلاثة كلاب . وعلى مايظهر ان هذه المغارة انفتحت قبل الآن وأخذ ما كان ضمن النواويس فأن الناووس الكبير وجد مكسورا من جهة وقد وضعت قطعة تحت غطاء الناووس البسيط نظير دعامة حتى يرتفع ويدخل منه

فحرر سعادة القائمقام صادق بك عن ذلك لدولة الوالي فورد الجواب أن يداوموا الحفر فعند مداومة الحفر انفتحت مغارة ثانية وجد فيها ثلاثة نواويس الواحد أكبر وأعظم من الاول عليه صور مواقع حرب فرسان ونساء تحارب . ومن الجملة فارس قابض على امرأة من شعرها وذابحها والدم سائل من عنقها وآخر ضارب فارسا بحربة في وجهه وآخر في خاصرته وقتلى تحت أرجل الفرسان وعلى غطاء الناووس المذكور صورة نسر على رأسه تاج وأمامه رؤوس كل منها بوجهين . والناووس الآخر عليه من جهاته نساء باكيات وصور عنقاء متنوعة الاشكال ورؤوس ذات وجهين . والناووس الثالث عليه نقش زنابق وزهور . ثم انفتحت مغارتان اخريان في المحل نفسه فيها نواويس بسيطة ليس عليها شيء ذو أهمية بل نقش زهور وما اشبه . فجملة النواويس التي وجدت ضمن المغر الأربع تسعة منها ثلاثة ذات اعتبار والبقية بسيطة ونظراً لكبر حجمها لم يمكن أخراجها من محلاتها فأن علوّ البعض منها يقارب اربعة امتار فأرسل مهندس ولاية سورية ومأمور مخصوص للنظر في ذلك

انتهى ماقاله المقتطف وقد بلغنا ان رجلا صيداويا كان يشتغل في فن النجارة توصل بثاقب فكره الى اخراج تلك التوابيت واسمه (محمد ابوخليل الساعي) وروي لنا ان حمدي بك قال له لو كان على رأسك (برنيطه) لأخذت اربعماية ليره لقاء عملك هذا وقد ذهب الرجل الى الاستانة فأعطي عشرين ليره ونيشانا فتأمل

وتوفي من زهاء اربع سنين

وقد عقب المقتطف على مانقله عن لسان الحال في المجلد الثاني عشر بما يلي :

(آثار صيدا ومدفن ذي القرنين) يذكر قراء المقتطف الكرام مماأوردناه في السنة الماضية عن كشف المدافن الجديدة في صيدا أنهم وجدوا فيها عدة نواويس بعضها بسيط ساذج وبعضها منقوش أبدع نقش ومنحوت اجمل نحت حتى شهد له كل من رآه من العارفين انه يفوق في حسن النقش ودقة الصناعة وكمال النحت كل ماهو معروف من نوعه الى هذا الزمان ولا يخفى ماعاناه حمدي بك الهمام مدير دار التحف في الاستانه في اخراجها وشحنها حتى أوصلها سالمة الى دار التحف حيث أمرت الحضرة السلطانيه ببناء محل خاص لحفظها وقد رأينا في الجرائد الالمانيه الأخيرة رسالة من الأستانه فحواهــا ان جماعة من علماء العــاديات العارفين بالآثار (وهم فن رادفتس والدكتور مرتن والأستاذ غربلاً) نظروا في هذه النواويس مع حمدي بك المذكور فذهبوا الى ان اجملها نقشا وابدعهــا تصويرا ناووس قائد من قواد اسكندر ذي القرنين الذين قاتلوا الفرس معه · وخالفهم غربلاً المذكور وذهب الى انه ناووس ذي القرنين نفسه لا بعض اعوانه لأدلة شتى منهــا ان عدة الأسكندر في الحرب والجلاد منقوشة على ذلك الناووس ومنهــا ان واقعته مع الفرس مرسومة هنــاك وغلبته على آسيا الصغرى وصيده في سوسه وغير ذلك · هذا والشائع ان الأسكندر دفن في الأسكندريه وأما غربلاً فينفي ذلك محتجا بأن الجمّ الغفير من المورخين المحققين المدققين ارتابوا في صحته · وقد راقت أدلة غربلاً في اعين رفقائه فعدلوا عن رأيهم واعتصموا برأيــه · فأذا صح ذلك كانت صيــدا هي مدفن الأسكندر لا الأسكندريه وكان بحث شليمن عن تابوته في الأسكندريه جهدا على غير جدوى وتعبا على غير طائل

هذا ما كتب عن هذا الأثر العظيم وكلها تنسب الفضل الكبير لحمدي بك مدير الآثار على ان الذي سمعناه من الأفواه ان حمدي بك المومى اليه وجد على جثة تبنيت الصيرتماء فأمر بكبها ووضع موضعهــا (سبيرتو) مع انهــا هي (المــوميا) والفضل في اخراج مدفن الاسكندر للنجار الصيداوي كما تقدم والله اعلم بحقايق الأمور

مدفن اشمونتزار — ومن الآثار المهمة التي وجدت في صيــدا سنة ١١٥٦ م مدفن اشمونتزار أب تبنيت او احد اجداده وقد وجد مدفنه في جنوبي صيدا بمحل يقال

له (مقابر طبلون) وهي أهم مقابر صيدا القديمة وجدته بعثة افرنسية كانت برياسة رينان العالم الأثري الشهير وقد ارسل الى متحف (اللوفر) في باريس ولم يزل به الى الآن

الناووس المذكور مركب من قطعتين احداها غطاوه والثانية نفس الناووس التي وضعت بها الجثة وكان موضوعا بحفرة عرضها متر ونصف وطولها ثلاثة امتار وقد وجد خارج الناووس او في اسفله قطع من الخشب يغلب على الظن انها كانت موضوعة لحفظ الحبال التي انزل بهـا التابوت وهناك بلاطة كبيرة على قدر التابوت وضعت فوقه لتغطيته وكل مقابر صيدا القديمة على هذا النسق تقريبا أما طرز خارج قبر اشمونازار فهو غير بقية المقابر لأن لتلك منافذ يدخل لها بواسطتها بكل سهولة اما هذا فلا منفذ له قطعيا لأن المنافذ التي فتحت بالصخر بنيت بناء محكما لكي لايهتدى اليها

وبالاختصار ان الجثة كانت موضوعة في ناووس وهو موضوع في حفرة لها عقد وكلهـا ضمن مكان يوصل اليه بالصخر وقد كتب على التـابوت كتابة ترجمهـا الموسيو داقوكا بما يلي

« انا راقد في هذا القبر الحجري وفي هذه الحفرة بالبناية التي بنيتها وأستحلف كل انسـان ان لايفتح هذا القبر وان لايفتش به اذ لايوجد داخله ذهبا ولا فضـة ولا شيئا من الأشياء وان لايضع على ناووسي ثقلا ولا ناووسـا ثانيا »

وهو كما ترى يشبه مـا كتب على تابوت تبنيت وقد ثبت ثبوتا قطعيـا ان المدفن المذكور مدفن اشمونازار ومن الثابت ايضـا ان التابوت لم يصنع في فينيقيـا لأن الفينيقيين لم يكونوا يشتغلون في الصخر القاسي بل جلب من مصر وربما كان لملك قبله لأنه وجد على غطائه خط هير وغليفي محي وكتب موضعه كتابة جديدة ويستدل من هيئة التابوت ومن التاريخ ان اشمونازار كانملكا على صيدا في اوائل القرن الرابع قبل المسيح

ومماقاله رينان انه مع ما بذله من العنـاية والعناء والبحث والتنقيب عن آثار فينقيا القديمة لم يجد من الآثار التي تستحق الذكر مايتجاوز عصر الأشوريين الذين كانوا من القرن التاسع عشر الى القرن السابع قبل المسيح اللهم الا بعض آثار قديمة شاذة لاموجبة لها

ومن القول ان سبب عدم بقاء آثار صيدا كون مقابرها تحفر على سطح الأرض

او بعمق قليل بخلاف مدافن مصر فأنها عميقة جدا ولم يكن نهاية الصخر بمقابر صيدا اكثر من تسعة امتار

ويوجد في متحف اللوفر بباريس كثير من التوابيت التي اخرجت من مغاور صيدا وهي مختلفة الاجناس والأشكال

وربما كان اقدم هذه النواويس من زمن الفرس واحدثها من زمن السلوقيين ثم اليونان فالرومان (*)

والذي سمعناه من الأفواه ان الفرنساويين ارسلوا دارعة خاصة مصحوبة بأدوات حديدية فدت الخطوط من شاطيء البحر الى مغاورطبلون ونقلت توابيت كثيرة وتحف ثمينة على ان ذلك يفتقر الى اثبات

ومما حدثنا به الوالد وكان ترجمانا لدولة اسوج ونروج انه هبط صيدا رجل اسوجي فطلب معلما يعلمه العربية العامية فتعلمها ثم تعلم العربية الفصحى عدة ثلاث سنوات وقد اخذ بعد معرفة اللغة بالسوءال عن بعض الأماكن وكان للمرحوم الحاج سليمان عسيران مكان يدعى (المناديم) فقاس الأرض وطلب منه ان يسمح له في الحفر بقطعة صغيرة منها وقد اعطاه ثمنها مضاعفا ورغب اليه ان يضع وكيلا من قبله ليكون الذي يخرج مشتركا بينه وبينه فلم يكن منه الا ان اوصى البستاني بملاحظة ذلك وبعد مدة من الحفر وصلوا الى مكان المغارة فأعطى الفعلة اجرة ثلاثة ايام وصرفهم وجاءت بعد ذلك دارعة اسوجيه مكثت في مياه صيدا يومين ثم اقلعت ليلا فقاموا صباحا فلم يروهـا ولم يجدوا الأسوجي ايضا فذهبوا الى المكان الذي احتفره فوجدوا مغارة خالية خاوية وقد حدث احد الحمالة قال البارحة جاءنا ليره قيل له وكيف ذلك اجاب فلان الأفرنجي دعانا انا واثنان معي فحملنا له ثلاث تنكات من البساتين الى الرصيف ونقد كل منا ليرة لكننا لم نوصلها الأبشق النفس فأنت ترى ان اغلب الآثار المهمة التي وجدت في صيدا اخذها الأجانب وكان للأميركان الذين امتلكوا اغلب تلك الاراضي حظ وافر من ذلك فقد بنوا هم وبعض حاشيتهم البنايات في جهات مغاورطبلون واستخرجوا آثارا مهمة على مايقال

(*) تاريخ الفنون والاثار القديمة Histoire de l'art dan l'antiquité مجلد ٣ لصاحبيه جورج باروت وشارل شيباز واكثر نقلها عن رينان وقد اسهبا كثيرا مما لايسع المقام ذكره برمته

واليك ما جاء في المجلـد الرابع من مجلة المقتطف « بلغنا انه بينا كان الفعله يحفرون في قلعة صيدا وجدوا تماثيل من الرخام الأبيض فاشتراهـا قنصل فرانسا هناك بخمس مئة غرش وقد اشترى القنصل الومى اليه آثارا كثيرة من قبل وارسلها الى فرنسا كأن اوربا لاتكتفي الا بأن تسلبنا كل مالنا من طريف وتالد

وقـد عثرنا في مجلة المشرق التي يصدرهـا الآباء اليسوعيون في بيروت على كلام مطول وبحث مدقق عن هيكل اشمون الذي تقدم ذكره وها نحن نثبتها برمتها حسب ورودها تعميا لفائدتها

(هيكل اشمون في صيداء) بلغ مسامع صاحب السعادة حمدي بك متولي نظارة المتحف العثماني في الاستانة العلية ان بعض الاهلين اجروا في جوار صيداء حفرا خفيًا على غير نظام استخرجوا به بعض الكتابات الفينيقية . فكتب للحال الى جناب مكريدي بك وهو اذ ذاك في بعلبك ينظر باسم الحكومة السنية اعمال البعثة الالمانية ووكل اليه بان يبحث عن اصحاب هذه الحفريات غير القانونية واذا استصوب الامر بان يجري بنفسه في صيـداء حفرا منتظماً لعله يجد آثارا أخرى يرسلها الى المتحف العثماني العامر

فاسرع مكريدي بك الى صيداء وبعد البحث اللازم تحقق صحة الخبر وباشر الحفر على مقتضى الاصـول الهندسية لئلا تتلف الآثار بسوء العمل وقد اسعـده الحظ على وجـود هيكل جليل يعرف بهيكل الاله اشمون ولما انتهى من الحفر ارسل تقريرا بيّن فيه مـاجريات العمل ونتائجـه ومع التقرير رسوم وتصاوير للعالمين الالمانيين شولتس (Schultz) وكرنكر (Krencker) . ونحن نختصر هنا هذا التقرير مع ماكتبه عن هذه الحفريات حضرة العلامة الاب لكرنج الدومنيكي في المجلة الكتابيـة والمسيو كلرمون غانو في مجموعه الشهير للآثار الشرقية والمسيو فيليب برجه (Ph. Berger) في مقالة نشرها في مجموع الكتابات والفنون

وموقع هذا الهيكل في البستان المعروف اليوم ببستان الشيخ على منعطف ربوة فوق وادي نهر الاولي قريبا من مصب هذا النهر على مسافة نحو كيلو مترين و ٣٠٠ متر شمالي صيداء . فكان اذاً الهيكل المذكور خارجاً عن المدينة مها بولغ القول في اتساعها القديم وهو يتركب من سور مربع مستطيل بني بنحيت الحجارة وحجارته ضخمة

محكمة الوضع · وكان السور المذكور موازياً لاربع نواحي المعبود طوله من الشرق الى الغرب نحو ٦٠ مترا وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو ٤٤ مترا · وهذا السور كان يدعى الحرم كما يرى في اكثر معابد الساميين ومثله في القدس الشريف وفي الشيخ بركات وفي حصن سليمان وفي وسط السور كان المقدس او مقام الآلهة وحوله ساحة متسعة · وهذا المقدس لم تكتشف حتى الآن آثاره · لأن الحفر لم يتم بعد ولكن لا شك في وجوده

ومما يزيد هذا الاكتشاف شأناً كتابات فينيقية تجدينا عدة فوائد لتاريخ فينيقية ومن غريب الامور ان هذه الكتابات لم تكن على وجه الحجارة الظاهر بل على وجهها الخفي الواقع فوق الحجارة السفلى بحيث لم يمكن الاطلاع عليها الا بنقض الحجارة والفصل بينها · وقد استدلوا بذلك على ان الكتابات التي شاعت قبل الحفر القانوني والتي كان العلماء في ريب من صحتها انما هي صادقة · وهذه الكتابات كلها عبارة عن نسخ متعددة لنص واحد الّا ان بعضها اكمل من البعض على قدر الحجارة · وعددها ست كتابات او سبع

وقبل ان نذكر مضمون هذه الكتابة لابد ان ننبه القراء على مناظرة جرت بين العلماء فان بعضهم وفي مقدمتهم المسيو فيليب برجه يزعم ان الهيكل وابنيته يرتقي الى عهد الكتابة وتاريخها · ويزعم غيره وهو الرأي المرجح ان هذه الكتابات اقدم عهداً من الهيكل وانما كانت في هيكل سابق ظاهرة في واجهته فلما خرب الهيكل الاول اتخذت مواده لبناء هيكل جديد فنُضّدت الحجارة على هذه الصور غير القياسية

وان سألت الآن عن مضمون الكتابة قلنا ان فطاحل العلماء تسابقوا في فك مشكلاتها نخص منهم بالذكر حضرة الاب لكرنج والمسيو كارمون غانو والمسيو فيليب برجه فسروها كل واحد وحده دون ان يطلع على تفسير الآخرين · الا ان مقالة كارمون غانو ظهرت بعد مقالة رصيفيه فنأخذ تفسيره ثم نعود الى الاختلاف الذي بين شرحه وشرح العالمين الآخرين · قال ان في هذه الكتابة ثلاثة اقسام نشير اليها بثلاثة حروف الابجدية (ا ب ج) :

(ا) الملك بدعشترت ملك الصيدونيين حفيد الملك اشمعزر ملك الصيدونيين

(ب) بصيدن البحر يشمم رمم

بارض رسفم بصيدون مثل التي بناها (له) وبصيدون البر

(ج) بنى هذا الهيكل (كله) لمعبوده اشمون سارقدش

في هذه الاقسام الثلاثة (اب ج) قد اتفق العلماء على شرح القسمين الاول والآخر (ا ج) الا القليل وفيها معنى تام . اما القسم الثاني (ب) فالآراء فيه متضاربة . فان المسيو برجه شرحه هكذا : «بصيدون البحرية خاصة السماوات العليا ارض الرسفيم صيدون المالكة » وقد فسره حضرة الاب لكرنج بنوع آخر فقال : «بصيدون في يوم شمم رمم اب صيد الذي هو صيدون كما بناها صيدون الملك) فترى ما بين الروايات الثلاث من الاختلافات الذي لا نتعرض للحكم بينها . وقد اتى آخرا المسيو هالفي بشرح رابع في المجلة السامية (١٩٠٢ ص٣٤٧ — ٣٦٧) فزاد الامر التباساً

ومهما كان من امر هذا القسم الثاني فان ما تقرر وثبت من قسميها الآخرين غاية في الاهمية لتعريف سلسلة ملوك صيداء الفينيقيين . وقد كان سعادة حمدي بك نهج الطريق لبيان هذه السلسلة باكتشاف ناووس احد ملوك صيداء وكانت عليه هذه الكتابة التي حلها المسيو فيليب برجه (١ : « انا تبنيت كاهن عشترت وملك الصيدونيين ابن الملك اشمنعزر كاهن عشترت وملك الصيدونيين المضجع في هذا الناووس . . . . » فالكتابة الجديدة التي نحن في صددها تؤيد صحة كتابة ناووس الملك اشمنعزر الذي اكتشف سنة ١٨٥٥

ومن الاكتشافات القديمة كنا نعرف ان اشمنعزر (الاول) ولد تبنيت وعمشترت فتزوج تبنيت اخته عمشترت فولد لها ابن يدعى اشمنعزر (الثاني) . ثم يؤخذ من الكتابة الحديثة ان «بدعشترت هو حفيد اشمنعزر » . فترى ان اشمنعزر هو المراد الأول او الثاني ؟ . فقد ارتأى المسيو برجه والاب لكرنج بان المراد هو اشمنعزر الثاني . ولكن اذ كان لا ينكر ان اشمنعزر الثاني مات في الرابعة عشرة من عمره بلا ذرية قالا ان بدعشترت ليس حفيدا لاشمنعزر الثاني بل هو ابن عمه . اما المسيو كلرمون غانو فانه يرتأي بخلاف ذلك ان بدعشترت حفيد اشمنعزر الاول وهو يجعله ابناً لا لتبنيت تكن لاخ له مجهول لم يملك فتولى ابنه هذا بدعشترت زمام الملك بعد اشمنعزر الثاني المتوفي صغيرا كما ترى في هذا الجدول :

اشمنعزر الاوّل

كاهن عشترت وملك الصيدون

تبنيت	يقترن باخته... عمشترت	اخ مجهول
كاهن عشترت وملك	كاهنة عشترت	لم يملك
الصيدونيين	ووصية الملك في صغر ابنها	
	اشمنعزر الثاني	ابنه بد عشترت
	ملك الصيدونيين مات	ملك الصيدونيّين يتولى الملك
	حدثًا وله ١٤ سنة	بعد اشمنعزر الثاني

فهذه السلسلة لملوك صيدون تسدُّ خللا كبيرا في التاريخ اذ تعرف تعريفا اكل واتم دولة اشمنعزر وسلالته من بعده. اما زمن هذه الدولة فقد اختلف فيه الكتبة وكانوا يظنُّون سابقاً انهم ملكوا في القرن الحادي عشر قبل المسيح. ثم جاءت الاكتشافات الاثرية فبيّنت بطلان هذا الزعم حتى قال البعض ان هذه الدولة تولت زمام الملك على صيدون بعد الاسكندر اعني بين سنة ٣٣٢ و ٢٧٥ قبل المسيح ثم اعاد العلماء النظر في هذا الامر. واليوم عاد العلماء فبحثوا بحثا ادق في الامر واستنتجوا ان اشمنعزر وذريته سبقوا عهد الاسكندر اعني ملكوا في القرن الرابع او الخامس من قبل المسيح(١)

يذكر القرّاء ما كتبنا في العام المنتهي عن الدفائن والكتابات الفينيقية التي وجدت حديثاً بين اخربة هيكل اشمون القديمة وبينا ما يترتب على هذا الاكتشاف من الفوائد الجمّة لدرس سلالة ملوك صيداء المعروفين باشمنعزر. وقد عاد العلماء بعد ذلك الى هذا البحث الجليل ودققوا في فحص كتاباته لينجلي معناها تماما فخص منهم بالذكر الكاتب الشهير هالوي (Halèvy) الذي اصلح بعض اغلاط العلماء الاولين في مقالة نشرها في المجلة السامية

ولما كان الشهر ايار اجتمع العالم الالماني هو غو فنكلر (H. Winckler) بناظر الحفريات سعادتلو مكريدي بك مندوب المتحف السلطاني وواصل كلاهما الحفر في الاخربة حيث وجدت الكتابات الفينيقية السنة ١٩٠١ فاصابا بعد البحث المنظَّم آثارا جديدة وصفها العلامة فنكلر في مجلة الآداب الشرقية

وجل ما يستفاد من مقالتيه ان اخربة هيكل اشمون موقعها في مكان يعرف

(١) المشرق مجلد ٦ جزء ٤ الصادر في ١٥ شباط سنة ١٩٠٣

بستان الشيخ على مسافة ساعة من صيداء على ضفة نهر الاولي (Bostrenus) الشمالية نحو كيلو متر من ساحل البحر

وكان الهيكل الاصلي غاية في العظم قد بقي منه حائط منتصب في وجه النهر ولذلك زعم رنان في كتابه بعثة فينيقيه (Mission de Phènicie) ان هذا البناء من بقايا سد للنهر. وهذا الحائط يتركب من حجارة ضخمة كل حجر ينيف على متر مكعب. وهو ينقسم الى اربعة صفوف متوازية من الحجارة وكان يسند من ورائه الى ربوة هناك. ومن اعتبر هذا الحائط لا يشك في انه كان يسند بناء شاهقا مشيدا فوق سطح صناعي. والكتابات الفينيقية المنسوبة لبدعشترت ملك صيدون انما وجدت كلها في هذا الحائط في الصف الثالث من حجارته بالنسبة الى النهر وكان وجه الكتابات مخفيا لا ترى الا بعد رفع الحجر

وقد لحظ المسيو ڤنكلر بان الصفين الثالث والرابع القريبين من الربوة قد نحتت حجارتهما نحتا محكما وانَّ عليها علامات باللون الاحمر رسمها المهندسون لافادة الفعلة ليجمعوا بينها. وقد ضُمت الاحجار الى بعضها بحيث لا يمكن ادخال ابرة بين الحجرين وكل ذلك على خلاف الصفين الآخرَين فان حجارتهما غير متقنة النحت وهي مضمومة بعضها على غير نظام وبين الاحجار فُرَج وربما جمع بينهما كلاليب من الحديد فاستنتج المسيو ڤنكلر من هذا الاختلاف ان الصفَّين ٣ و ٤ كانا من البناء الاصلي وفيها جعلت الكتابات المنوَّه بها. اما الصفين ١ و ٢ فأحدث عهدا بُنيا بعد زمن لما تداعى البناء فاضطر اصحابه الى توثيقه بصفين آخرين من الحجارة ولذلك لم يوجد فيها اثر لكتابات قديمة

وهذا الشرح لبيان عدد صفوف الحجارة قريب الى الصواب لكنه يبقى ثمَّة مشاكل لم يفك اسرارها المسيو ڤنكلر منها بيان السبب لتخطيط هذه الكتابات على جوانب الحائط غير المنظورة. ومنها ايضاً تعريف السر في تعديد الكتابة الواحدة لأن العدد المعروف منها حتى الآن يبلغ عشرة. ثلاثة منها حديثة الاكتشاف فتكون نسبة الكتابات الى بقية الاحجار نسبة الواحد الى الخمسة وكلها منطوق واحد

ثم فحص المسيو ڤنكلر صفا آخر من الحجارة يرى على الربوة يشبه الصفين القديمين (٣ و ٤) اللذين مرَّ ذكرهما فقابل بينه وبينها واستدل بفحصه على ان السطح الراكب فوق الحائط المجاور للنهر الاوَّلي كان يبلغ نحو عشرين مترا ايركز فوق السند الجبليّ الذي

كان يركن اليه وانّ على هذا السطح كان شُيّد مقدس الهيكل

وقد حفر الفعلة تلك الربوة في المحل الذي كان يتصل بها السطح فوُجدت فيها عدّة قطع منوطة بعبادة الاله اشمون فتحققوا دون ادنى ريب بأن هذه البقايا انما كانت بقايا هيكله

ومن جملة ما استخرجه الاثريون من هذه الحفريات قطع كتابات تقادم ونذور بالفينيقية ومنها قطعة كتابة مصرية من الملك آكوريس من فراعنة القرن الرابع قبل المسيح. ومنها تماثيل اصنام صغيرة من القاشاني مصورة على الطرز الفينيقي القديم لكنّ صنعها اشبه بالصناعة المصرية. وكذلك تماثيل اخرى من الرخام مهشّمة ترتقي الى ايام اليونان واكثرها يمثل اطفالا

وكانت كلّ هذه الآثار مكسّرة وليس في جملتها شيء ثمين فيؤخذ من حالتها هذه ان الهيكل قبل خرابه نهب وسلبت كنوزه

هذا ولما كان عمل الحفر لم يتم بعد لاسيا بين الحائط الذي فيه وجدت الكتابات والسد الجبليّ الذي فيه ظهرت الآثار السابق ذكرها فالامل وطيد بان تكتشف عاديات أخرى تزيدنا ايضاحاً عن حالة هذا الهيكل. والعلماء في انتظار لهذه الحفريات ريثما تبدو للعيان كلُّ اقسام الهيكل وصورة هندسته. وانّ في ذلك لشأناً عظيماً لانه اول هيكل فينيقي وقف عليه الاثريون

والمظنون ان البناء المذكور هو الهيكل الذي حكى عنه استرابون حيث قال في كتابه السابع عشر (ص٧٥٦): «وبينها (اي بين بيروت وصيدا) نهر الدامور وهيكل اسكلابيوس. اما تدشين هذا المقدس فقد وقع في زمن يصعب تحديده بضبط. وذلك يترتب خصوصاً على تعريف عهد ملك اشمنعزر وسلالته. وهو امرٌ لم يُحكم فيه حتى الآن حكماً فصلاً. وليس ببعيد انّ اشمنعزر واولاده ملكوا في ايام الفرس والماديين كما ارتأى المسيو پردريزه فان صح قوله يكون خراب هذا الهيكل جرى سنة ٣٤٨ قبل المسيح على يد ارتحششتا الثالث المعروف باخوس لما اراد كبح عصيان تنيس ملك صيداء فكان حريق هذه الحاضرة من نتائج هذه الحرب

*

وبينما كانت الحفريات في الخربة هيكل اشمون متواصلةً وقد ظهرت من خباياها ثلاث كتابات جديدة باسم الملك بُدعشترت لاتختلف عن الكتابات السبع المتشرة

سابقاً ألّا اختلافاً يسيرا اذ بدت للعيان كتابة اخرى وجدت على ماروي في المكان نفسه فتسارع العلماء الى البحث في شانها. وهذه الكتابة تستحقّ الذكر لما ورد فيها من الخواص الفريدة والاعلامات الغريبة

واذا صحت التحريات والتحقيقات التي اجراها المسيو فنكار في محل وجود هذا الاثر يكون اكتشافه سبق الكتابات العشر الواردة باسم بدعشترت لكن امرها لم يشتهر ألا في تموز من سنة ١٩٠٢ اذ حصل عليها الدكتور هـ. پُرتر **(H. Porter)** وادخلها في متحف المدرسة الاميركانية في بيروت. واول من عرف مضمونها العلماء الدكتور شرودر قنصل دولة المانية الفخيمة في الثغر برسالة انفذها للمسيو فيليب برجه **(Ph. Berger)** من اعضاء المكتب العلمي في باريس

وما اشار المسيو برجه الى هذا الاكتشاف حتى تعددت المقالات في حقيقتها ومعناها. ودونك الآن ترجمة هذه الكتابة الجديدة :

السطر الاول : بدعشترت ملك (الصيدونيين) وابن صدّقيتن ملك الملوك
» الثاني : حفيد أشمُنعَزر ملك الصيدونيين
» الثالث بنى هذا الهيكل (لالهه) اشمون الاقدس

وهذه الكتابة التي لايشك في صحتها المسيو شرودر ولا الدكتوران روفيه وپرتر تختلف عن بقية الكتابات في امرين: الاول انها تذكر بين بدعشترت وجدّه اشمنعزر اسم ملك جديد يدعى « صدّقيتن » . والثاني ان صدّقيتن المذكور يلقّب بملك الملوك (ملك ملكيم) وهو اسم كان يعتبره العلماء سابقاً كلقب خاص بملك الفرس

وهذا الامر الثاني اعني وجود لقب « ملك الملوك » كان سبق المسيو كلرمون غانو وانبأ به قائلا انه اذا وجد في كتابة فينيقيّة لقبٌ لملك فارس فانّ هذا اللقب لايكون الا « ملك الملوك » (ملك ملكيم) ولا سيد الملوك او سيد الممالك (ادون ملكيم) لان هذا الاسم الآخر كان يدل على ملوك مصر فلا يمكن ملوك فينيقية ان يدعوا به ملوك فارس الذين كانوا هم تحت أمره

فلنسلمنْ بقول المسيو كلرمون غانو في تلقيب ملوك فارس بملك الملوك ولكن أينتج من ذلك ان صدقيتن هو احد ملوك فارس دُعي باسم فينيقي كما يزعم المسيو كلرمون غانو. لو صح هذا القول قطعت جهيزة قول كل خطيب وانتفت كل شبهة

في سلالة اشمنعزر فثبت ان زمان هذه السلالة كان على عهد ملوك الفرس

لكن اكثر العلماء وفي مقدمتهم المسيو فيليب برجه لايسلّمون بان صدقيتن هو اسم فينيقي لاحد ملوك فارس ويرتأون ان هذا اللقب « ملك الملوك » ادعاه لنفسه احد ملوك صيدون في عهد انتقاض حبل الدولة الفارسية وضعفها · او يكون صدقيتن هذا لقّب نفسه بهذا اللقب فخراً وعجرفةً اشارةً الى قوّته وسيطرته على ملوك الساحل الفينيقي

وهذا الرأي الثاني لا يُنافي كون سلالة اشمنعزر تولت الامر في ايام ملوك فارس وليس بعد الاسكندر كما شاع عند العلماء سابقاً وعلاوةً على ذلك ان زيادة ملك جديد على الملوك الصيدونيين المعروفين سابقاً يجعل عددهم ستّة: « ١ً اشمنعزر الأول ٢ً تبنيت ٣ً عمشترت ٤ً اشمنعزر الثاني ٥ً صدقيتن ٦ً بدعشترت

فمع عدد وافر كهذا لم يعد القول بان هؤلاء الملوك جلسوا على تخت المملكة الصيدونية بعد الاسكندر · لأن لدينا احداثاً تاريخية مقررة بعد ذي القرنين تنقض هذا القول · منها ان الاسكندر جعل الملك سنة ٣٣٢ قبل المسيح لعبدولونيم بدلاً من عبد عشترت (الذي يدعوه اليونان اسطراطون الثاني) · ومنها كتابات يونانية وجدت في ديلوس يُدعى فيها فيلوكلس احد قواد بطلميوس ملك الصيدونيين

فبين هذين التاريخين القريبين كان يصعب على العلماء وضع خمسة ملوك فينيقيين فما قولنا الآن بستة بعد الكتابة الجديدة (ان صحّت)

فترى ان المشكل عظيم سواء قيل بأن هؤلاء الملوك كانوا بعد الاسكندر وهو الرأي الشائع سابقاً او قيل بانهم كانوا قبل الاسكندر وهو الرأي الحديث

وقد ذهب آخراً كارمون غانو الى مذهب جديد ليحل هذه العقدة ويبقي سلالة اشمنعزر في ايام اليونان لا على عهد الفرس فقال انه من المحتمل انّ ملوك صيدون لقّبوا ملوك السلوقيين باسم « ملك الملوك » لانهم ورثوا الملك من بعد الفرس - فصار هذا اللقب مخصوصاً بهم وذلك على مثال لقب « سيد الملوك » (ادون ملكيم) الذي كان ملوك فينيقية يسمّون به فراعنة مصر فلما قام البطالسة بعدهم صاروا يخصونهم بهذا اللقب · ومن ثم يزعم المسيو كارمون غانو ان صدقيتن هو اسم فينيقي لملك سلوقي لا لأحد ملوك فارس او ملوك صيدون · وهذا مذهب جديد لانعلم كيف يتقبله العلماء · وعلى كل حال يمكننا القول مع المسيو شكار أن هذه الكتابة الجديدة (ان كانت صحيحة)

زادت المشاكل ووفرت المسائل المضلة

*

وتعدد العاديات في صيدا لم يكن مقصوراً على هيكل اشمون بل جرى في اماكن شتى · فمن ذلك ماورواه المسيو فنكلر عن اكتشافات حصلت فوق ربوة جنوبي نهر الأوّلي اقرب الى صيدا من نهر اشمون · وعلى رأي المسيو فنكلر أن ثم كان هيكل باسم عشترت وقد استدل على ذلك بعدة دمى خزفية تمثل عشتروت بينها تمثال وجده وعلى صدر الالهة حية وفي هذا (على قوله) اشارة الى موت كليوبترة بالسم · لأنّ كليوبترة كثيراً ما امرت رعاياها باكرامها على صورة عشتروت وكنا وددنا لو اعلمنا المسيو فنكلر عن عهد هذه التماثيل أكلّها من عهد الرومان او منها مايرتقي الى ايام الفينيقيين

وقد وجدت في احد بساتين صيداء في عمق سبعة امتار انصاب متعددة ملوّنة يرتقي عهدها الى ايام اليونان · وعليها كتابات تدل على انها نصبت فوق مدفن ذكراً لجنود غرباء ماتوا في الحرب · ولما اكتُشفت هذه الانصاب كانت الوانها زاهية ناصعة · اما الكتابات فلها بعض الشأن لتاريخ صيداء على عهد اليونان لايمكن اسهاب الكلام فيها · وما يُقال بالاجمال انه يوجد تشابه عظيم بين هذه الكتابات وكتابات أخرى ملوّنة ظهرت في صيداء في شهر آب من السنة ١٨٩٧ فنشرها حضرة الأب لامنس في المجلة الاثرية ثم علّق عليها التعاليق المهمّة المسيو بردرزه وقد استُخرجت مع الانصاب الجديدة قطع خزفية على واحدة منها حرفان فينيقيان

وكذلك فُتحت مدافن عديدة على شكل النواوير منها مغارة موقعها في املاك سعادة علي باشا جنبلاط فوق اكمة خلف صيداء وكان فيها ناووس من الرخام الأبيض حسن الشكل مع بساطة نقوشه · وكان في الناووس رمم ميت ظنوا انها امرأة

هذا ملخّص العاديات المكتشفة في العام الماضي في صيداء · وكان بوسعنا ان نذكر كتابة آرامية مهمّة في ١٨ سطراً بحروف كبيرة وجدت على قول المسيو فنكلر قريباً من هيكل اشمون · واكتشاف كتابة آرامية في تربة فينيقية من الامور المعتبرة ولا نعلم لاي سبب سكت عنها المسيو فنكلر في مقالة كتبها بعد ذلك باسم « حفريات صيداء » ومن ثم نضرب الصفح عنها هذه المرّة الى ان يتضح امرها · وفيما ذكرنا كفاية لذوي العبرة (١)

(١) المشرق جزء ٤ مجلد ٧ الصادر في ١٥ شباط سنة ١٩٠٤

انّ الحفريات الخطيرة التي باشرتها ادارة المتحف الشاهاني ووكلت بها البارون ڤون لاندو Von landau في مقام هيكل اشمون بجوار صيداء استؤنفت ايضاً في الحول الماضي من شهر تموز الى ايلول فأدّت الى اكتشافات جديدة من شأنها ان تغير آراء العلماء في هذا البناء الفخيم الذي وُجدت في اساسهِ كما روينا (في المشرق ٧ : ١٨١—١٨٣) كتابات متعدّدة متشابهة نُقرت في وجوه الحجارة المرصوصة بالبناء على خلاف بقيّة الابنية الفينيقية لغايات مجهولة . اماَّ نتيجة هذه الحفريات الحديثة فقد اعلن منها قسماً العلماء المتولون عملها

وفي جملة ما وصفنا في العام الماضي (المشرق ٧ : ١٨٤—١٨٦) كتابة ذات شأن فتحت مجالاً لمناقشات العلماء . وهي الكتابة التي تُرى في متحف عاديات كلية الاميركان في بيروت - فعرضنا آراء العلماء في فك معضلاتها دون ان نحكم حكماً فصلاً في اصلها أوجدت كما قيل في نفس البناء الذي كان يتضمّن بقية الكتابات او في محل آخر . واليوم قد ثبت ان هذه الكتابة كانت في اساس الهيكل مع الكتابات المذكورة . وقد وُجدت منها تسع نُسخ أخرى أضبط واسلم فنشر منها البارون ڤون لندو ثلاثاً ويظهر بالمقابلة ان المسيو كارمون غانو كاد يصيب المرمى في قراءتها . وهذا تعريبها الصحيح :

السطر الاول : الملك بدعشترت وابن يتّملك الطبيعي ملك الصيدونيين
السطر الثاني : حفيد أشمنعزر ملك الصيدونيين
السطر الثالث : بنى هذا الهيكل لالهِ اشمون سارقدش

فعلى هذا الشرح يكون حرف العطف في السطر الاول مؤكداً لولادته الشرعيّة من ابيه يتّملك ومفيداً لتعريف انساب هذه الدولة الصغرى التي لم نعلم وجودها قبل حفريات صيداء الاثيرة ومن هناك استُخرج ناووس اشمنعزر الثاني (في متحف اللوڤر) وناووس تبنيت (في متحف الاستانة) وكتابات هيكل بستان الشيخ

هذا ولا يسمح لنا المقام ان نعود الى البحث في زمن سلالة اشمنعزر التي ذكرنا سلسلتها قبلاً الّا انّ الملحوظات السابقة تقضي باسقاط اسم صدقيتن الذي نتج عن سوء فهم للكتابة المصونة في كليّة الأميركان . وكذلك اشرنا سابقاً الى مافي بيان عهد هذه الدولة من المصاعب اذا جعلت بعد الاسكندر من السنة ٣٣٢ الى ٢٧٥ وهو الزمن الوحيد الذي لم تعرف فيه ملوك لصيداء

وهو زمن قصير بالنسبة الى عدد سلالة الاشمنعزر · واذا جعلت قبل عهد دولة الفرس اعني في القرن الخامس او السادس قبل المسيح اصبنا مشاكل اخرى اعظم منها

وحلّ هذا المشكل يظنّ البعض ان الدولة الاشمنعزريّة فرعان تولى كل منها التدبير في زمن مختلف · ولعل العلماء يتوفّقون الى كشف النقاب عن هذه القضيّة بابحاثهم المستقبلة فنفيد القرّاء عماً يكتشفون

*

وليست هذه الكتابات هي وحدها التي وقف عليها الاثريون في حفريات بستان الشيخ في السنتين ١٩٠٣ و١٩٠٤ بل وجدوا اشياء اخرى وصفها البارون فون لندو فمن ذلك بعض قطع مكتوبة بالفينيقيّة وقطعة من شعار فرعون مصر اكوريس (٣٨٣ — ٣٩٦ ق م) وحطام تصاوير كنصب ملك جبلة « يَهَو مِلك » وكتابة تقدمة للاله اسكولاب مع شقف خزفيّة عديدة من تماثيل قديمة

وعلاوة على ما تقدّم قد وجدت في مدافن صيداء وارباضها عدّة كتابات يونانيّة ونواويس وخزفيّات وصفها جناب مكريدي بك في ما كتب عن حفريات صيداء ومن اغرب هذه القطع قطعة وجدت في الحفريات الاخيرة وهي بيضةٌ عليها كتابة يونانية · كما ذكر المسيو فنكار اما جناب مكريدي بك فانه ذكر قشر بيضتي دجاج تغطيها الكتابات اليونانية

وما هو اهم من ذلك أنصاب صيدونيّة منقوشة بالألوان وعليها كتابات يونانية وجدت في سنين متوالية منذ السنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٣ واستُخرجت من حفريات بستان يُعرف ببستان حمود وهذه الانصاب كلُّها على شكل واحد مع بعض اختلاف في مقاديرها ونقوشها · وهي عبارة عن صحائف سميكة من الحجر الكلسي متباينة اللون وهي في اسفلها اعرض منها في اعلاها · وقد دُهن وجه الانصاب بشيد ابيض لترسم عليه رسومٌ شتى وهي تنتهي في قمّتها بواجهة مثلّثة الزوايا جُعلت على زواياها وفي اعلاها شرفات تزينها وفي وسط هذا المثلّث نقوش تمثل نجوماً او دوائر او اغصاناً بأثمارها وعلى جوانبها الثلاثة خطوط ملوَّنة · وتحت هذا المثلّث خطوط اخرى منها متقعّرة ومنها ناتئة تستند الى ساريتين نُقرتا في طرفي الحجر · وفي وصف الانصاب أُطرٌ على شبه أكاليل زاهية الالوان منوطة بشرائط معقودة · وفي وسط كل اطار اشخاص على هيئات شتى ففي بعضها ترى جنديا واقفاً وقفة المسالم باسطاً يده الى الامام وفي غيرها ترى الجندي

يتهدد بسلاحه عدوّه غير المنظور . وفي غيرها قد صار المصور شخصين او ثلاثة يودع بعضهم بعضاً . ومن ابدع هذه الصور صورة جندي على رأسه خوذته وهو لابس قيصاً احمر وفوقه شملة بيضاء وبقربه غلام يحمل بزّته من ترسه ورمحه وهو يقرئ الوداع لاحد اصحابه

وفي ذيل هذه التصاوير دوّنت كتابات قصيرة سلم اكثرها من آفات الزمان وهي تحتوي اسم الشخص ووطنه واسماء الذين اقاموا النصب لذكره مع سلام الوداع الذي كان يوجه به اهل صيداء الى موتاهم

وكل هذه الآثار غاية في الخطر لانها من عهد اليونان كما يُستدلُّ على ذلك من نقوش التصاوير وبزّة الاشخاص المصوّرة · ولعلّهــا اجود ما بقي من منقوشات ذاك الزمان الذي تبع فتوحات الاسكندر . وهي تدلُّ على ترقي صناعة التصوير في البلاد الفينيقيَّة وسلامة ذوق المصورين الذين احسنوا أدماج الالوان بعضها واخرجوا بضبط ودقة صورة كل شخص وسحنته وتقاطيع وجهه ودقائق لبسه حتى عطفات ثوبه وطيات ردائه فأن كان الثوب احمر دلّوا على هذه المثاني بلون قرمزي وان كان ابيض باصفر فاقع

وما عدا قيمة هذه الآثار من حيث جودة صنعتها لها ايضاً فوائد تاريخيَّة جليلة اذ تعرّفنا جنسيَّة هؤلاء الجنود الذين كان يستخدمهم الملوك السلوقيُّون في القرن الثاني قبل المسيح · واذا فحصتَ هذه الصور المكتشفة في صيداء تحقّقت انه كان يدخل في خدمة السلوقيين رجال من كل فج وصوب منهم يونان كاهل لقدمونة واقريطش ومنهم اسيويون كاهل قارية وبيسيدية وليقية وليدية . فتأخذ العقــل حيرة باختلاط كل هذه الجنسيات في جيوش السلوقيين(١)

واليك ما قاله كيران السائح الافرنسي عن مدافن صيدا القديمة ومدفن اشمونازار

اما مقابر المدينة القديمة فهي في جنوبي وادي البرغوث لانــه يظن انها كانت الحد الجنوبي للمدينة القديمة وهذا المكان مغروس الآن من الزيتــون والوطنيون يســونه (مغاير طبلون) وقد يصححه البعض فيقول (مغاير ابولون) لانهــا كانت مخصصة لعبادة أبولون الاله الفينيقي ويدخل اليها من جهة الجنوب برواق وكان داخلها مطليا بدهان محيت آثاره وبها عن اليمين والشمال نافذة معدة لوضع النواويس وهي اليوم محطمة او مسروقة وبعض هذه النواويس خربة وبعضها متهدم وقد اتخــذت

(١) جزء ٥ مجلد ٨ الصادر في ١ اذار سنة ١٩٠٥

مأوى للرعاة وفي شرقي هذه المغارات اكتشف في ٢٠ شباط سنة ١٨٥٥ بواسطة ترجمان قونسلاتو فرنسا في بيروت (باراتيه) تير اشمونازار الشهير الذي اشتراه الدوق(ديليونس)وقدمه لمتحف اللوفر وهذا الناووس الذي حوى بقايا الملك المذكور سرق منه قبلا بعض محتوياته وقد وجد على عمق مترين وبعد اخلائه وجد به عظام واسنان وفك أنسان والناووس نفسه محفور في حجر اسود من جنس حجارة البراكين وهو كما شوهد خاهيئة مصرية ويشبه صندوق الوميا وجسده ملفوف الى العنق بلفافات سميكه ورأسه منقوش نقشا وشعره مرتب ولحيته مستقيمة وطويلة ومكشوفة وهو لابس طوقا ذهبيا نافرا وعلى كل من جانبيه رأس باشق كما ينظر عادة في اعناق الوميا المصرية وهو يشبه السلالة التاسعة او العاشرة المصرية وعليه كتابة فينيقية عبارة عن اثنين وعشرين سطرا محفورة عليه حفرا وحول الرأس كتابة ثانية وهي عبارة عن ستة سطور فينيقية وقد ترجم الكتابتين اعظم مستشرقي اوربا واول من ترجمها (دالينس) و (بارجس) وهما اهم التواريخ الفينيقيه المحفوظة لحد الآن وقد خدمت علماء الاثر خدمة تذكر فتشكر ومن حين ظهور ذاك الاكتشاف المهم حوالي سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٨٦٠ جرت الحفريات بجراها املا بالحصول على نواويس مشابهة لناووس (اشموتازار) ولكن ذهبت الاتعاب ادراج الرياح لانه لم يوجد لحد الآن مايشبهه

وقد هبط رينان فينيقيه سنة ١٨٦٠ ووسع دائرة الحفريات واناط هذه المهمة بالدكتور كلياردو والسيو ديو كالوقنصل فرنسا في صيدا وكانت نتيجة هذه الحفريات التي ابتدأت في كانون الثاني سنة ١٨٦١ وانتهت في ايار سنة ١٨٦٢ ظهور مايتمدفن تتفاوت اهميتها عن بعضها البعض والذي ظهر انه اخذ ماكان ضمنها منذ قرون

هذا ما علمناه عن المكتشف من آثار صيداء في السنين الغابرة ولعل الباقي بدون ان يهتدى اليه اكثر بكثير او أن بعضه اكتشف واسبل عليه الستار ومما ظهر من مضي اربع سنين مغارة ليست من الاهمية بمكان وقد كتبنا وصفها في الجزء السابع من المجلد الاول من مجلة العرفان الصادر في غرة رجب سنة ١٣٢٧ هـ الموافق ١٨ تموز سنه ١٩٠٩م وهاك ما كتبناه اذ ذاك

ظهر في هذا الشهر مغارة في جهات الحارة عند مطحنة البرغوث وذلك في الشرق الجنوبي من صيداء بقطع مهم من مقالع الحجارة الذي يحكم كل من رآه بأن به

آثارا قديمة جدا ومدافن عديدة وقد زرنا المغارة التي ظهرت فألفيناها مقسمة وبابها لجهة الشمال وبها اربع غرف لجهة الشمال وخمسة لجهة الجنوب يبلغ طول كل منها ثمانية اشبار وعرضها ستة اشبار وفي كل غرفة ناووس بهذا الطول والعرض وفي صدرها داخلا لجهة الشرق غرفة كبيرة وقبالتها لجهة الغرب قرب الباب غرفة مثلها يبلغ طول كل واحدة منها اثنا عشر شبرا وعرضها تسعة اشبار وفي الغرفة الشرقية ناووسان بهذا الطول والعرض الا ان الغربية مردومة في التراب وطول المغارة كلها ثمانية عشر مترا وعرضها ثلاثة امتار ولم يوجد اثر كتابة على تلك النواويس مما يدل انها فتحت قبلا وأخذ ما بها وحجارتها من نوع الغرانيت

ووجد من عهد قريب مغارة قرب دار نسيب بك جنبلاط في الهلاليه التي تبعد عن صيدا نحو عشرين دقيقه وقد كتبنا عنها في حينها في جريدة جبل عامل في العدد الثاني والثلاثين الصادر في ٢٤ رمضان سنة ١٣٣٠ الموافق ٥ ايلول سنة ١٩١٢ وهاك خلاصة ما كتب

بلغنا انه ظهرت آثار قديمة مهمة جدا في ارض نسيب بك جنبلاط الواقعة شرقي صيدا ولا تبعد عن الطريق العام سوى بضعة امتار فذهبنا بذاتنا هناك فوجدنا عدة مدافن مكشوفة وقد طمرت المغارة في التراب ووضعت الاحجار فوقها وبعد السؤال من العسكري المحافظ والتحري علمنا بانه ظهر اثنا عشر تابوتا اكثرها رصاصية ومنها مرمر وعليها كتابات رومانيه قرأها الكثيرون ولا نشك بأن داخلها تحف كثيرة وقد نقل بعضها الى الصالحية مركز المديرية ومن جملة ما وجد مغارة رصاصية داخلها قارورة من قزاز وبها عظم وماء يظن انه (موميا) فاذا صح الخبر فهذه الآثار في غاية من الخطورة غير انا لانشك بأن الايدي لعبت بها وتناولت المهم منها ويخشى ان يقضى على بقيتها طالما لم تلف من الحكومة اللبنانية عناية بشأنها

وقد كان ماظنناه وكان بالحسبان فأن هذه الآثار ابتلعت على مايظهر ولم نعد نقف لها على خبر

هذا ما علمناه عن آثار صيدا القديمة كتبناه كما رويناه او شاهدناه اما آثارها الحديثه التي لم تزل الى الآن بقاياها فأليكها حسب ترتيب أزمنتها

القلعة الفوقا

المعروفه بقلعة المعز

قائمة على مرتفع في الجهة الجنوبية من المدينة وهي تشرف عليها وهذه القلعة مبنية على طبقات من الردم المؤلف من بقايا اصداف حيوان الارجوان وآثار الحيوان ظاهرة في مايلي القلعة من الجهة الجنوبيه بجانب البحر وبناؤها الحالي أقامه الملك لويس التاسع سنة ١٢٥٣ م (١)

في جنوبي صيداء الحاليه وعلى ذروة الربوة التي كانت مقبرتها قلعة تدعى (قلعة المعز) والمسيحيون يسمونها قلعة (القديس لويس) لانهم ينسبون بناءها الاخير له ولا يوجد بها آثار ذات بال سوى انها من زمن قديم وهي مبنية على ربوة تعلو عن البلدة خمسة واربعين مترا (١)

قلعة البحر

قائمة على الشمال الشرقي من المدينة على جزيرة صغيرة تتصل في المدينة بجسر مؤلف من ثمانية قناطر والباقي من هذه القلعه بعض الجدران التي يتخللها كما يتخلل البحر الذي يصلها بالمدينة قطع من اعمدة قديمة ويتصل عهد بنائها الى القرن الثالث عشر وفيما يليها خصوصا الى جهة الشمال بقايا مرفأ مبني على حجارة كبيرة منحوته (٣)

في شمال شرقي الميناء يوجد جزيرة يظهر انها كانت متصلة في البلدة وقد تغير وضعها الآن ووضع تسع قناطر للعبور اليها ركائزها مدعومة باحجار نافرة لمقاومة الامواج ويرى في مقر البحر قطع احجار كبيرة كانت ولا شك واسطة للعبور الى تلك الجزيره وربما كانت تلك الجزيرة هيكلا للكرت الفونيقي الذي كان مركزه على ما يظن في وسط الجزيرة التي نتكلم عنها وقد بنا الصليبيون في شتاء سنة ١٢٢٧—١٢٢٨ حصنا كان يتألف من برجين متصلين ببعضها بحائط ويسمونه (قلعة البحر) وقد اصبح خرابا وفيه اعمدة عديدة رمادية اللون داخلة في البناء عرضا وهذه القلعة الآن لاتقوى على المقاومة وليس بها سوى بعض الجنود لحراسة خمسة اوستة مدافع اتاتها الصدأ (١)

وجاء في تاريخ سوريه لجرجي افندي يني ان لصيدا سور وقلاع غير انه قد تهدم جانب منها سنة ١٨٤٠ م بضرب المدافع الانكليزية وابنيتها متينه

وجاء في دائرة المعارف للبستاني ما نصه : وفي هذه المدينة آثار قلعة قديمة يظن

(١) بعض الكتب الانكليزيه (٢) كيدان (٣) بعض الكتب الانكليزيه

أنها مبنيه في اوائل القرن المسيحي

هذا ما كتب عن هذين القلعتين وانت ترى أن وقت بناءهما الاصلي مجهول غير انبناءهما الحالي لايدل على انها بنيا من قرون عديدة وهما الآن لايعدان بالحقيقة قلاعا لعدم تحصينها وقدرتها على المقاومة ولو باعتها الحكومة واكتفت باثمانها لكان خيرا لها وانتي وهما واقعتان في اجمل مواقع البلده

وقرب صيداء جزيرة طبيعية في وسط البحر بني بها بناية جميلة للمنارة (الفنار) وهي من ابدع الاماكن النزهه

آثار المعنيين

قلنا في غير مكان أن صيداء كانت في القرن السادس عشر للميلاد خرابايبابا وقد اعاد لها بعض عظمتها السابقة الامير فخر الدين المعني الشهير وذلك في سنة ١٥٩٥ الى سنة ١٦٣٤م فصيداء الجديدة قد بناها بالحقيقة هذا الامير العظيم لأنه لما هبط اليها لم يكن بها سوى القلع وبعض المساجد والبيوت الحقيرة فالشارع الذي يمتد من البوابة الفوقا الى البوابة التحتا جميعه من بنائه كما ان دار الحكومة القديمة التي هي الآن مكان ادارة البريد والبرق من بنائه وقد سكنها الكولونيل سليمان باشا الملافي وربما والذي يظهر أن محل مسكن الامير المعني كان في الدار الذي اشترتها راهبات القديس يوسف الواقعة قرب ادارة البريد المذكورة وهي من اجمل الابنية القديمة زينت جدرانها بانواع الزينة ونقش عليها آيات قرآنيه وكلمات حكمية ومن آثاره الحمام الذي يدعى للآن (حمام المير) وهو في جهة البحر والجامع المدعو (الجامع البراني) والظاهر انه اول بناية بنيت خارج البوابه وبه مدفون الامير ملحم والامير سيف الدين وقد كتب على ضريح الاول ما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم هذه روضة المرحوم الامير ماحم بن معن توفي الى رحمة الله تعالى في اواسط شهر ذي الحجه سنة ثمانية وستين والف »

وكتب على ضريح الثاني مايلي « هذه روضة الامير سيف الدين توفي الى رحمة الله تعالى في اواسط شهر رجب الفرد سنة سبع بعد الالف سنة ١٠٠٧ » وقبرهما بغرفة خاصة بعلوهاقبة

---

(١) كبران

وجميع الدور القديمة المعتبرة في البلدة من آثار المعنيين فدار الخواجه رفله دبانه ودار آل النقري ودير اليسوعيين وغيرها كلها من آثارهم الخالده لانها على نمط واحد من حيث الهندسة والنقوش ومن آثار ذاك الامير المعني المحل المدعو بخان الافرنج وهو مكان متسع جدا يحتوي على عدة بنايات وفي طبقته السفلى الآن ادارة الرژي وفي الطبقة العليا راهبات القديس يوسف وكنيسة اللاتين ومحل سكن قنصل فرانسا وقد قال عنه كيران حين زيارته لصيدا سنة ١٩٥٢ ما يلي

وبها (اي بصيدا) خانات كثيرة اسمها فخر الدين واهمها الخان الفرنساوي وهيئته كبقية الخانات مثلث الشكل محاط بأروقة وبه يسكن قنصل فرنساويسكن به الآباء الفرنسيين وهنالك تسكن ايضا راهبات القديس يوسف ولهن ميتم وصيدليه وداخل الحوش يوجد بركة يسقي منها شجر الموز الموجود هناك ويوجد بالخان المذكور غرفة للآثار القديمه (موزه خانه) لأن دي كالو والدكتور كلياردو جمعا آثارا قديمة من الحفريات التي اجريت في صيدا ومن رينان حين مجيئه لفينيقيا وهنالك تماثيل سبع وتماثيل أخرى محطمة وبقايا نواويس وصور ناتئه واحجار كثيرة من الرخام عليها كتابات يونانيه ولاتينيه وقد ذكرها رينان في كتابه فلا حاجة للاسهاب بذكرها

اما دير الفرنسيين ففيه اثنان من الرهبان واخ وكنيستهم هي كنيسة الطائفة اللاتينيه واما الراهبات فعددهن تسعه ولهن مدرسة خارجيه يؤمها مائة وثلاثون تلميذة وهؤلاء الراهبات يصنعن خيرا كثيرا واما دير اليسوعيين فهو خارج الخان المذكور في قسم آخر من المدينه وهؤلاء الرهبان ثلاثة عندهم مدرسة خارجيه يتردد لها ستون تلميذا يعلمهم معلم عربي ولهم مدرسة افرنسيه ايضا يتعلم بها خمسة عشر تلميذا وماعدا ذلك فهم يجمعون بعض كهنة الطوائف ويعلمونهم علوما دينيه

ومما يحسن ذكره هنا ما فاتنا أن نذكره قبل في موضعه وهو ما كتبه رجل انكليزي اسمه هنري مندرل ساح في البلاد السوريه وقد جاء لزيارة القدس في عيد الفصح وجعل طريقه على صيدا وذلك في اواخر القرن السابع عشر المسيحي منذ نيف ومايتي سنه وقد نشرت بعض رحلته هذه مجلة المقتطف (١) وهاك ما قاله عن صيدا

وقابلنا عند هذا النهر (اي نهر الاولي) كثيرون من التجار الفرنسويين في

(١) مجلد ٣٧ جزء ٢٠ الصادر في غرة آب سنة ١٩١٠ الموافق ٢٥ رجب سنة ١٣٢٨

صيدا. فذهبوا بنا الى الخان الذي يقيمون فيه في المدينة هم وقنصلهم . وامام الخان مرفأ صغير لكنه مردوم ردمه الامير فخر الدين ليمنع السفن التركية من الوصول الى المدينه ولذلك تضطر السفينة الآتية الى صيدا ان ترسو الى جانب جزيرة صخرية على نحو ميل من البر وقاية لها . وصيداء مزدحمة بالسكان الآن ولكنها صارت اصغر كثيرا مما كانت قبلا . ولم يبق لها شيء من عظمتها السالفة التي تدل عليها العمد الكثيرة المبثرة في بساتينها . وعلى الاكمة جنوبي المدينة قلعة قديمة يقال انها من عهد لويس التاسع ملك فرنسا وعلى مقربة من هذه القلعة قصر كان لفخر الدين وقد تركه قبل ان يتمه وهو الآن سراي الباشا

وقنصل فرنسا في صيداء هو قنصلها ايضا في القدس وعليه ان يزور القدس في كل فصح لحماية الرهبان

فانت ترى ان هذا السائح لم يسهب في وصف صيداء وآثارها لأن رحلته كانت دينية اكثر منها تاريخية اثرية والظاهر انه يعني بقصر فخر الدين السرايا القديمة التي هي الآن ادارة البريد والغالب انه لم يكن مسكن له بل كان دارا للحكومة وفك المشاكل والخصومات . ولكن الذي يتبين من كلام كيزان ايضا انه نفسه كان دار سكن فخر الدين لانه قال « واما القصر الذي كان يسكنه فخر الدين المبني جنوبي الجامع الكبير فقد هدم وسكن قسامة الكولونل السلافي سليمان باشا وكان نصفه خرابا بذلك الوقت »

والظاهر ان الفرنسويين استفحل امرهم في صيدا في زمن الامير فخر الدين وضخمت تجارتهم وتقدمت صيداء بواسطتهم لارتباطها تجاريا مع اوربا حتى جاء الجزار وطردهم منها كما تقدم

هذا ما وقفنا عليه من آثار المعنيين وقد يكون لهم آثار اخرى لم نقف عليها وعلى كل حال فصيداء مدينة مدينة الأمير الجليل فخر الدين في تجديد بنائها وحديث آثارها

مقامات صيدا

مقام صيدون

في جنوبي صيدا الجهة البرغوث داخل حديقة من الحدائق مقام يزوره اليهود وبعض

المسلمين يقال له (صيدون) ويرجح بعض الباحثين من الافرنج انه كان هيكلا لصيدون اما اليهود فيقولون بانه (زبلون) من ابناء يعقوب ويكثرون التردد اليه ولا يوجد داخله تاريخ او اثر يدل عليه

ابا الروح

في جنوبي صيداء ايضا لجهة ثانية قرب البرغوث مقام يزوره المسلمون يدعى ابو الروح والشائع على السنة الصيداويين «اباروح» وقد تقدم في رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي انه ربما كان شيب بن ذي الكلاع الصحابي ولم يذكر في الاصابة ولا في الاستيعاب انه دفن بصيداء والله اعلم وقد دفن هناك الشيخ عبد الله الخراساني احد سواح الفرس الذين سكنوا صيداء وكان يحسن بعض العلوم العقلية ويتعاطى الطبابة وكان له شهرة واسعة عند الصيداويين

النبي يحيى

في الجهة الشرقية من صيداء قرب حارة صيدا مقام يدعى (النبي يحيى) يقال بأنه يحيى الحصور والمسلمون يزورونه وبه خادم ينصب من الحاكم الشرعي وقد قتل خادمه من مدة قريبة وحصل من ذلك فتنة اسفرت عن قتيلين وعدة جرحى ولهذا المقام بعض الاوقاف ويقول المسيحيون بأنه كان كنيسة باسم (ماريوحنا)

مار الياس

على مقربة من مقام النبي يحيى مقام يدعى (مار الياس) يذهب اليه صعدا وهو واقع بمكان جميل جدا مشرف على البر والبحر وعلى حدائق صيداء الغناء فهناك يرى الرائي منظرا من ابدع مناظر الدنيا ويقال انه كان هيكلا او مكانا لالهة الشمس ثم جاء مار الياس الى هناك وابطل عبادة الشمس ودعا الى عبادة الله فسمي المكان باسمه وهو الذي يعتقد المسيحيون بانه حي كما يعتقد المسلمون بان الخضر حي ايضا ولعلها شخص واحد وللموارنة اعتقاد خاص بهذا المقام فهم يدفنون بقربه موتاهم وكانوا يقدسون به مدة من الزمن قبل ايجاد كنيسة لهم اما الآن فهو مهجور تقريبا

وفي صيدا مقام قرب بوابة الفوقا يدعى الشيخ قاسم وفي محلة السبيل مقام ايضا يدعى محمد ابي نخلة وقد ذكر في سجل الوقف انه مسجد ويتبركون به ويشعلون الشموع فيه

مساجد صيدا

الجامع الكبير — هو اعظم مسجد في صيدا بديع الطرز جميل الهندام متسع الباحات يقال بانه كان كنيسة فحول في زمن الفتوحات الاسلاميه الى مسجد واليك ما وصفه به السائح كيران عند زيارته لصيدا سنة ١٨٥٢ م .

والجامع الكبير كان كنيسة باسم ماريوحنا المعمدان وقد أصلح منذ سنوات وهو مستند على دكائز قوية طولها ثلاثين مترا وعرضها عشرة امتار ويدخل له من جهة الشمال برواق تزينه قبة وتعلوه منارة ويوجد داخل هذا الرواق بركة للوضوء تزينها اعمدة قديمة مغطاة رؤوسها بقطع من الكلس

وقد طغى عليه البحر سنة ١٨٢٠ فهدمه وجعله قاعاصفصفافأعيد بناؤه بشكل جميل جدا على نفقة الحكومة والاوقاف وتبرع بعض المحسنين فهو الآن أجمل مسجد في صيدا في بنائه وهندسته وموقعه وكل مميزاته ويدعى بالجامع العمري لأن الفتح كان في زمن عمر رضي الله عنه كما تقدم والخطيب الذي يقرأ الخطبة ويصلي الجمعه به هو الشيخ مصطفى كنعان وبه مكتبة حاوية لطائفة من الكتب ويباح المطالعة فيها لمن اراد

جامع البطاح

هو الجامع الموجود بسوق (المصلبيه) ويقال انه من زمن الفتح الاسلامي ايضا وقد روى لنا بعضهم سبب تسميته بالبطاح بانه كان يجيء الى صيدا كل ليلة ضبع فدخل للجامع المذكور وقد دفن به بعض الصلحاء وأكل الزيت الموجود في السراج فوجد ميتا ففرح بذلك اهل المدينة وسموا الجامع جامع البطاح لأنه بطح به الضبع وأمام هذا الجامع وخطيبه الشيخ رشيد وهبه

جامع القطيشيه

سمي هذا الجامع بهذا الاسم نسبة الى بانيه الشيخ علاء الدين قطيش وامامه وخطيبه الشيخ رشيد سليم

جامع الكتخدا

سمي ايضا باسم الذي بناه كان يقال له (الكتخدا) وبه عدة غرف يظهر انها كانت مدارس لطلاب العلوم الدينيه وامامه وخطيبه الشيخ بدوي لوبيه

جامع السرايا

الظاهر أنه سمي بهذ الاسم لكونه بني على مقربة من السرايا القديمة التي هي الآن مركز ادارة البريد والبرق او كان مخصوصا بالسرايا وهناك بركة متسعة تسمى ايضا بركة السرايا وامام الجامع الآن وخطيبه الشيخ عبد الحميد القواص

جامع البحر

هو الجامع الواقع على مقربة من مينا صيدا وهو جامع متسع فسيح ويكثر فيه الازدحام عند صلاة الجمعه لقربه من السوق وقد جعل له مدخل جميل ورمم بعناية سعيد بك قائمقام صيدا السابق وامامه وخطيبه الآن الشيخ عبد الهادي البساط

الجامع البراني

هذا هو الجامع الذي تقدم الكلام بانه من بناء المتين وبه دفن بعض افراد اسرتهم وامامه وخطيبه الشيخ كمال المغربي

جامع المجذوب

بني هذا الجامع رجل من آل المجذوب من الاسرة المعروفة في صيدا وهو مهمل جدا الآن متولي اوقافه احد تلك الاسرة وهو يسيء التصرف بها على مايقال وامامه وخطيبه الشيخ محمد امين سليم

هذا ما نعلمه عن هذه المساجد اثبتناه هنا وكان من اللازم ان نفيض القول عن اصل مشيديها وواقفي اوقافها الى غير ذلك من شؤونها غير انه ليس لدينا ما نتعرف به جميع احوالها واكثرها في الاجمال حسنة الحال بهمة مديرية الاوقاف صنعت احواضها على الطرز الجديد وعمل لها حنفيات غير ان بعضها يحتاج الى النظافة وهناك زوايا كثيرة لا محل لذكرها مفصلا

كنائس صيدا

كنيسة الموارنه

اشتراها عساف ابو طالع من بشري سنة ١٦١٦م بخمسة عشر غرشا من بيت المرقاوي وكانت مصبنة وقد اصلحت بعد ذلك ولم تزل للآن يقيم الموارنة بها طقوسهم الدينيه

كنيسة الكاثوليك

بناها المطران باسيليوس حجار سنة ١٢٩٣ او حوالي ذلك وهي ابدع كنائس صيدا وكان الكاثوليك قبل ذلك يقيمون القداس في كنيسة مشتركة بينهم وبين الروم الارثوذكس

كنيسة الروم

هي كنيسة قديمة لم يتصل بنا تاريخ بنائها وهي ليست بذات شان لقلة الاروام في صيدا

كنيسة الفرنسيين

واقعة في نفس خان الافرنج ويسمى المكان الواقعة به ديرا ويوجد من الآباء الفرنسيين في صيدا دائما اثنان او ثلاثة لخدمة طائفة اللاتين الدينية

كنيسة اليسوعيين

واقعة في نفس مدرسة اليسوعيين وهي قديمة جدا يظهر انها من بناء الامير فخر الدين المعني

مدارس صيدا

اصبح من المعلوم المقرر انه لاحياة للأمم بغير العلم وأحسن واسطة لتلقي العلم ونشره هي المدارس وخيرها الوطنية التي تعتني في اشراب تلامذتها حب الوطن والذود عن حياضه مع تغذية عقولهم في العلم الصحيح والتربية الفاضلة التي تؤهلهم لأن يكونوا اعضاء نافعة في جسم الهيئة الاجتماعية وبذلك ينفعون انفسهم ووطنهم وأمتهم فلذلك نفيض الكلام عن المدارس افاضة تامة ونذكر كل ماترامى الينا وما شاهدناه منها ولا شك بأن صيداء تعد من ارقى المدن السورية في التعليم الابتدائي وها نحن نبدأ في الكلام عن مدارس جمعية المقاصد الخيرية اعترافا بجميل مساعيها وخطير نفعها

المدارس الخيريه

التابعة لجمعية المقاصد الخيريه

اسست هذه الجمعية في ٢٦ ربيع الثاني سنه ١٢٩٦ هجريه الموافق ٦ نيسان سنة ١٢٩٥ مارتيه وهذا ما كتب في ابتداء تأسيسها

انه بعد الاتكال على الله سبحانه وتعالى والاستمداد من فيوض روحانية صاحب الرسالة العظمى عليه الصلاة والسلام قد تعاهد واتفق كل من الموقعين فيه على ان يكون كل منهم عضدا واحدا متناصرين لمنافع الوطن العمومي والذب عن مضاره بكل اقدام بما في الوسع والامكان والله المستعان حررت وثيقة المعاهدة بيننا

اعضا	اعضا	نائب	رئيس
عبدالله لطفي	محمد محي الدين حشيشو	محمد كامل المغربي	محمد فريد خورشيد

اعضا	اعضا	اعضا	اعضا
تاصيف الاسعد	محمود منح الصلح	عمر محولي	محمد منيب الصلح
اعضا	اعضا	اعضا	اعضا
عبد السلام زنتوت	محمد عبد الهادي زنتوت	محمد النعماني	محي الدين الجوهري
اعضا	اعضا	اعضا	
حسن الجوهري	عبد اللطيف لطفي	حسين الجوهري	

فهؤلاء خمسة عشر سريا من سراة صيدا اسسوا هذه الجمعية وبينهم شيعي واحد وهو تاصيف باشا الاسعد وقد افتتحت هذه الجمعية المكتب الخيري المذكور في ١٥ جمادى الاول سنة ١٢٩٦ هـ وكان بها اربعة معلمين ومائة وخمسون تلميذا وقد بنت هذه الجمعية مما اجتمع لديها من التبرعات وغيرها ثمانية دكاكين واربعة مخازن وخان واحد وقهوة علوية (القهوة الخيرية) وذلك في محلة الفاخورة القديمة فكانت وارداتها ٣٧٠٠ غرشا وقد بلغت واردات الجمعية من ١٥ جمادى الاولى لغاية ذي الحجة ٢٧٤٥٨ غرشا صرفتها على الابنية المتقدم ذكرها وعلى المدرسة التي بلغت مصارفها ٧٠٨٨ غرشا واستدانت ٩١٥٠ غرشاً

ولم تثبت جمعية من الجمعيات ثبات هذه الجمعية ولاقت في الدور الحميدي ضغطا كثيرا فلم تنحل قواها ولا خارت عزائمها وقد اضطرت الى تغيير اسمها عدة مرات فقد ابتدأت باسم (جمعية المقاصد الخيرية) ثم دعيت جمعية المعارف الخيرية ثم شعبة المعارف وعند اعلان الدستور سنة ١٣٢٤ مارتية اعادت اسمها الاول واصبحت تدعى (جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية) ولم تزل دائبة على التعليم مثابرة على توسيع اوقافها وزيادة وارداتها سائرة يوما فيوما في سبيل التحسين وها نحن نثبت هنا دخلها وخرجها نقلا عن بروغرامها المطبوع سنة ١٣٢٩ هـ ونتبعه بذكر هيئتها الحاضرة وعدد معلميها وتلامذتها الى غير ذلك من شؤونها

اجمال الواردات من بداية شهر حزيران سنة ١٣١١ لنهاية شهر شباط سنة ١٣٢٤ شرقي

الواردات

	يكون		عقارات		اعانات		متفرقة	م	ملاحظات
باره	غروش	باره	غروش	باره	غروش	باره	غروش		
١٠	٥٤٩	٠	٠	٠	٠	١٠	٥٤٩		موجود الصندوق
٢٥	٢٤٠١٨		١٠٨٨٧	١٥	٧١٥٦	١٠	٥٩٧٥	٣١١	مدور من مايس
٠٥	٥١٦٧٤	١٠	٣٥٣١٦	١٠	١٢٨١٨	٢٥	٣٥٣٦	٣١٢	سنة ١٣١١
٢٠	٣٥٨٦٥	-	٢٩٩٩٣	٣٠	٤٧٩٥	٣٠	١٠٧٦	٣١٣	من بداية حزيران
٣٠	٣٠٧٣٧	٣٠	٢٦٥١٠	٠٠	١٩٠	٠	٤٠٣٧	٣١٤	لنهاية شباط
٢٥	٥٤٢٠٧	١٠	٢٤٢٥٥	١٥	١٩٤٥٨	٠	١٠٤٩٤	٣١٥	
٢٠	٢٧٤٨٦	١٠	٢٢٥٨٣	ع	٠	١٠	٤٩٠٣	٣١٦	
١٥	٣٥٠١٤	٠	٢٩٩٩٢	٢٠	٧٣٩٦	٣٥	٤٥٠	٣١٧	
١٥	٤٦٨٠٢	٣٥	٣٠٣١٦	١٥	٣٨٨٣	٠٥	١٢٦٠٢	٣١٨	
٣٠	٦٦٩٤٥	٢٥	٣٧٣٨٨	١٥	١٥٩٤٥	٣٠	١٣٦١١	٣١٩	
١٠	٥١٣١٨	١٠	٣٨١٦٥	٢٠	٩٧٠٣	٢٠	٢٤٤٩	٣٢٠	
٠	٤٩٠٨٨	٣٥	٤١١٧١	٠	٤٧٥٦	٠٥	٣١٦٠	٣٢١	
٢٠	٥٢١٧١	٣٥	٤٦٥٣٢	٠	-	٢٥	٥٦٣٨	٣٢٢	
١٥	٥١٧٣٧	٣٥	٥٠٠٨٠	٢٠	٤٢٨	٠٠	١٢٢٨	٣٢٣	
٢٠	٧٠١٩٦	٣٠	٥٨٢٣٦	١٠	٤٣٧٦	٢٠	٧٥٨٣	٣٢٤	
٢٠	٦٤٧٨١٣	٢٥	٤٧٨٦٥	١٠	٩٠٩٠٨	٢٥	٧٨٢٩٩	يكون	
٢٠	٦٤٧٨١٣	٢٥	٤٧٨٦٥	١٠	٩٠٩٠٨	٢٥	٧٨٢٩٩	جميعا	يكون علاصاغ

اجمال المصارفات من بداية شهر حزيران سنة ١٣١١ لنهاية شهر شباط سنة ١٣٢٤ شرقي

﴿ المصارفات ﴾

يكون		معاشات		تعميرات		متفرقة		م	ملاحظات
١٥	٢٤٠٢٧	″	١٨١٥٧	″	٠	١٥	٥٨٧٠	٣١١	من بداية حزيران
٢٨	٥١٠٦٢	٣٠	١٩٣٢٤	″	٢٨٩١	٣٨	٢٨٩٤١	٣١٢	لنهاية شباط
٢٨	٣٤٣٦٤	١٠	١٨٧٥٢	″	-	١٨	١٥٦١٣	٣١٣	
١٠	٣١٥٠١	″	١٩٣٨٧	″	-	١٠	١٢١١٧	٣١٤	
″	٥٣١٢٩	٣٠	١٨١٦٩	٣٠	٢٩٤٢٩	٢٠	٥٥٢٩	٣١٥	
٣٠	٣٧٩٠٣	″	٣٠٨٣١	″	٠	٣٠	٧٠٧٢	٣١٦	
٣٥	٣٥٨١٠	١٠	٢٦٢٦٦	٠٥	٥٩٣٦	٢٠	٣٦٠٨	٣١٧	
٣٠	٤٦٤٠١	٢٠	٣٤٥٠٣	٢٥	١٦٩٥	٢٥	١٠٢٠٢	٣١٨	
٠٥	٦٧٤١٩	١٠	٣٤٠٣١	١٥	٢٦١٩١	٢٠	٦٩١١٤	٣١٩	
٢٠	٤٩٩٩٢	٠٠	٣٥٠٢٣	″	٤٥١٨	١٠	١٠٤٥١	٣٢٠	
١٠	٤٦٨٧٨	٣٠	٤٢٩٦٣	″	٠	٢٠	٣٩١٤	٣٢١	
″	٥٦٤٧٢	٢٠	٤٥٨٤٣	″	٧١٨٢	٢٠	٣٤٤٧	٣٢٢	
٠٥	٥٠٢٣٧	:	٤٦٣٦٢	″	٠	٠٥	٤٨٧٥	٣٢٣	
٢٥	٧٠٩٤٣	٠	٥٤٠٧٧	٠٥	١١٨٣٢	٢٠	٥٠٣٤	٣٢٤	
١٠	٦٤٦١٥٦	١٠	٤٣٣٨٧١	″	٨٩٦٨٥	٣١	١٢٢٥٩٩	يكون	
١٩	١٦٥٧	″		″	٠	١٩	١٦٥٧		موجود الصندوق المدور مارت سنة ١٣٢٥ مجيدي عدد ٨٧ قرط ٤
٢٠	٦٤٧٨١٣	١٠	٤٣٣٨٧١	١٠	٨٩٦٧٥	١٠	١٢٤٢٥٧	جمعا	يكون عليه صاغ

وكانت اجور العقارات سنة ١٣٢٥ — ٧٠٨١٥ غرشا والتبرعات ٧٩٨٠ غرشا وكسور ومن الواردات المتفرقة ٤٦٨٣٩ غرشا ومجموع المصارفات تسعتو ثمانون الف غرش وفي سنة ١٣٢٦ كانت اجور العقارات ٧٦٠٧٦ غرشا وكسور والتبرعات ١٠٦٤٦ غرشا والواردات المتنوعة ١٢٠٣٤ غرشا ومجموع المصارف ٩٨٧٥٠ غرشا وبقي لسنة ١٣٢٧ في صندوق الجمعية ١٢٢١٠ غروش ومجموع وارداتها سنة ١٣٢٧ و١٣٢٨ — ١٢٢٥٤٣ غرشا ومجموع مصارفاتها ١٢٢٣٦٦ غرشا

هذه مجموع صادرات وواردات الجمعية وهي تعادل بعضها تقريبا وقد يرى البعض في هذه الارقام ما يرى غير انه لم يثبت لناشيء من الخلل لنسطره على صفحة التاريخ بدون محاشاة ومراعاة

ومجموع الاماكن التي توجرها الجمعية اربعون مكانا مابين قهوة ومطبعة وخان ودكان وتبلغ وارداتها الآن ٨٤٣٧٠ غرشا وتضمن المسلخ ١١٩٠٠ غرش وعندها في محلة الشهداء خمسة دكاكين بنتها بايجارها على بضع سنين وسوف تصبح وارداتها لها ولها اربعة مكاتب المكتب الخيري والفيضي بمكان واحد وهو فسيح الساحة حسن البناء جيد الموقع واقع على (ظهر المير) لجهة البحر وهو للذكور فقط ومكتب للاناث واقع بمحلة الشارع ومكتب الشمعون بين البساتين وهو للذكور والاناث والمكتب المسعودي وهو بمحلة القناية قرب حارة صيدا وهو للذكور والاناث ايضا وعدد الذكور في هذه المكاتب ٦١٨ تلميذا والاناث ٥٣٢ تلميذة وعدد المعلمين ١٧ معلما والمعلمات ثمانية عشرة معلمة وستة بوابين ومدير مكاتب الذكور سعيد افندي سنو وهو شاب نشيط مهذب ولمكاتب الاناث مفتش ايضا وهو كامل افندي المغربي من علماء صيدا وممن خدموا الجمعية منذ نشأتها اما الدروس التي تدرس بها فهي القرآن الكريم والتجويد والعلوم الدينيه والصرف والنحو والاخلاق والحساب وحسن الخط والأملا ومبادىء الجغرافيا والتاريخ وهناك معلم من قبل الحكومة يعلم بها اللغة التركية ويتعلم الاناث التطريز والاشغال اليدوية وتعتبر الحكومة شهادتها بمثابة مكاتبها الابتدائية واغلب الكتب التي تدرس بها التلامذة طبعت في صيدا على نفقة عبد الرحمن افندي الانصاري وقد نسقها بعض اساتذة المكتب · واصبح للالعاب الرياضية بها نصيب وافر منذ تولى ادارتها مديرها الجديد المذكور آنفا ولدى الجمعية علاوة على من ذكرناهم كاتب وامين صندوق معا ومحصل وخادم للمسلخ وهم يتقاضون منها معاشات ومما ينتقد على الجمعية عدم استشارة

فتمن أهل الفضل ممن وقفوا على سير التعليم الحديث لاحداث التجدد في بروغرامها من آن الى آخر لتكون سائرة سيرا حسنا في مضمار الرقي والتقدم فأن الذي يلاحظه الكثيرون وقوفها على درجة واحدة في التعليم ومما ينتقده الشيعة عدم ادخال احد منهم في هيئة ادارتها مما يدعو الى نفرتهم منها وعدم مساعدتها ولعلهم يستدركون كل هذا او بعضه متى سنحت لهم الفرص وساعدهم المال والزمان ولكل اجل كتاب

على انه لا ينكر ان التعلم الابتدائي في مدارس هذه الجمعيه ارقى تعليم من نوعه في سوريا ولو تيسر لها اساتذة مهرة واقفين على كيفية التعليم الحديث وانضموا الى اساتذتها الحاليين النشيطين لبلغت منزلة عالية على انه من اللازم ان يكون لها مدرسة راقية للذكور والاناث ولعل اول الغيث قطر ثم ينهمل بصرنا الله بالعواقب واعاننا على احياء العلم والمعارف

اما هيئة ادارة الجمعية الحالية فهي مؤلفة من الافندية الآتية اسماؤهم

رئيس	نائب رئيس اول	نائب رئيس ثاني	كاتب وأمين صندوق
محمد بهاء الدين الزين	الشيخ احمد جلال الدين	حسين الجوهري	عبد اللطيف لطفي
مفتي صيدا	نقيب الاشراف		
اعضا	اعضا	اعضا	
الحاج عمر لطفي	الحاج محمد ابو ظهر	محمد رشيد القطب بيناشي متقاعد	
اعضا	اعضا	اعضا	
محمود زنتوت	محمد نجيب بكار	محمود كالو رئيس بنك الزراعة	
اعضا	اعضا	اعضا	
الحاج سعيد البزري	الحاج حسن رضا زنتوت	أحمد منيف الصلح مأمور الاجرا	
من اعضاء المحكمة			

فنسأله سبحانه ان تكون اعمالهم خالصة لوجهه الكريم خالية من الشوائب وهو سبحانه ولي الاجابة

المدرسة الوطنية

هذه المدرسة اول مدرسة وطنية أنشئت في صيدا وذلك سنة ١٨٧٨م أنشأها الخوري الياس عطيه وكيل النائب الاسقفي لطائفة الموارنه في صيدا ولم يكن داخلا آنئذ في

سلك الاكليروس وقد زارها مدحت باشا حين قدومه الى صيدا وسر من نجاح تلامذتها وقد مثل اربعة منهم رواية كانت موضع أعجاب ومما يحسن ذكره في هذا المقام ان احد التلامذة الممثلين كان ممتازا بين الاربعة فاستدعاه مدحت لأمامه فبكى الولد فقال ما يبكيك فأجابه أن لي ابا كان مأمور طابو فعزل وبعد سؤال المتسلم آنئذ تبين ان عزله كان من متصرفية بيروت بدون سبب موجب غير اقتضاء المصلحة فأعيد الى مأموريته

وقد بقيت مثابرة هذه المدرسة على التعليم منذ افتتاحها لحد الآن إنتقل الاستقافور موسسها في اثنائها الى مصر والتلامذة بها تتراوح بين ٤٠—٥٠ تلميذا وبها اربعة معلمين يعلمون العربية والافرنسية ويعلم بها التركية صبحي بك اباظه المعين من قبل الحكومة لها وللمدارس جمعية المقاصد الخيرية فنرجو ان اعاهد التعليم نجاحا وفلاحا

مدارس الاجانب

من المعلوم المقرر أن الأجانب جابوا كل صقع واخترقوا تحت كل ناد وقد دخلوا البيوت من ابوابها فنشروا دينهم ولغتهم وبثوا مبادئهم بواسطة المدارس وقد اقبل على مدارسهم الوطنيون اي اقبال لحاجتهم الى التعلم وعدم وجود مدارس اهلية او رسمية وافية بالحاجة المطلوبة وعلى كل فالعاقل يختار اخف الضررين واهون الشرين وفي صيدا للاجانب مدرستان مدرسة للأخوة المريميين ومدرسة المرسلين الامير كانيين

مدرسة الاخوة المريميين

قامت هذه المدرسة على انقاض المدرسة اليسوعية وفي بنايتها حالت وقد هبط اليسوعيون صيدا من مدة تناهز مايتين وسبعين سنة وانشأوا مدرسة بها كانت تتراوح بين الصعود والهبوط حتى غادروها من اربع سنين وحولوا مركزهم الى جزين وقد ذكر كيران مدرستهم اثناء تكلمه عن صيدا فقال انهم مدرسة خارجيه يؤمها ٦٠ تلميذا يتعلمون العربية و ١٥ تلميذا يتعلمون الافرنسية

اما الأخوة المريميون فقد هبطوا صيدا منذ اربع سنين حين مغادرة اليسوعيين لها واقاموا في ديرهم وقد نجحوا نجاحا كليا لرغبة الكثيرين في تعلم اللغة الافرنسية وعنايتهم بها وقد دخل في مدرستهم في السنة الاولى ٦٠ تلميذا بين داخلي وخارجي اما هذه السنة فتضم مدرستهم ١٥٥ تلميذا منهم اربعين داخليا . وهم ثمانية اخوة

يشتغلون في التعليم وعندهم خمسة معلمين وطنيين واللغة التدريسية هي الافرنسية بالطبع ويعلمون العربية الزاميا والانكليزية اختياريا فمن اراد اتقان اللغة الافرنسية اتقانا تاما فعليه بمدرستهم وهم يعلمون ايضا العلوم الابتدائية كحسن الخط والقراءة والحساب ومبادىء الجغرافيا والتاريخ وغير ذلك والقسط السنوية لتلامذة الخارجية من ليرتين الى ثلاثة وللداخلية ٢٠ ليره

مدرسة الفنون الاميركية في صيدا

لما كانت البلاد السورية في حاجة الى مدارس ومدرسين معاولما كانت المدارس العالية قليلة والمتخرجون منها يتطلبون المراكز العالية ويرفضون خدمة البلاد في حرفة التعليم الشريفة راى المرسلون الاميركان لزوم انشاء مدرسة متوسطة تهذب التلامذة على طريقة تناسب هذه الخدمة . فصدر قرار المجمع الاميركي بانشاء هذا المعهد العلمي في مدينة صيدا تحت رياسة المرحوم القس وليم ادي . وفي خريف سنة ثمانين وثمانمائة والف مسيحية ابتدأ العمل باربعة تلامذة كانوا ياكلون على مائدة في بيت احد المعلمين وازداد العدد في السنة فبلغ العشرين وبلغ في نهاية السنة الخامسة اثنين وثلاثين والسبب الاكبر لوقوفها عند هذا العدد هو ضيق البناء اذ لم يكن للمدرسة اولا بناء خصوصي بل كان يستأجر لها محلا احد البيوت في المدينة الى ان تيسر لها اقامة البناء التي هي فيه الآن وذلك سنة ١٨٨٦ فزاد عدد طلبتها هذه السنة الى الخمسين واخذ الطلب يتزايد من ذلك الحين حتى ضاق البناء المذكور بالطلبة رغما عما اضيف اليه ايضا من المحلات المجاورة منها بالشراء ومنها بالايجار وقد يسر الله وساعد رئيسها الدكتور فورد الذي خلف سلفه القس ادي في الرياسة شراء اراض فسيحة في قرية الميومية بجوار المدينة وعلى اعلى روابي هذا المكان وفي محل تشرف على المدينة وبساتينها وبحرها ومكشوفة للجهات الاربع وشاد بناء كبيرا جميلا يفي بالحاجة ونقل الى هذا البناء تلامذة الصفوف الابتدائية مع الصف الاول على امل نقل المدرسة بكاملها في المستقبل اذا وفق الله

وقد اضيف الى المدرسة سنة ١٨٩٥ فرعان مهمان الفرع الاول الفرع الصناعي باقسامه النجاره والخياطه والبناء وشغل الاحذية الافرنجية (الكندرجية) بالنسبة لحاجة البلاد وضرورة العمل للدارسين عقلا وجسما . والفرع الثاني فرع الايتام وقد

اسم لهم بناء خصوصي قبالة البناء الذي ذكر واطلق على محلات هذه البنايات والاراضي التابعة لها أسم دار السلام وقد خص بناء الايتام المذكور لمساعدة ايتام الطائفة الانجيلية لا غير

واول صف نال شهادة المدرسة الصف الذي انتهى سنة ١٨٨٩ واخذت المدرسة من ذلك الوقت تمنح الشهادات للمنتهين من دروسها اسوة ببقية المدارس العالية

و كانت لغة التدريس اولا اللغة العربية مع مبادىء اللغتين الانكليزية والافرنسية وبالنظر لحاجة البلاد واحتكاك تلامذة المدرسة بمدارس اعلى اخذت المدرسة تزيد العناية باللغة الانكليزية حتى اصبح المنتهي منها قادرا على الدخول الى المدرسة الكلية الاميركية العلمية في بيروت راسا بدون امتحان . وقد اضيف الى برنامج دروسها مؤخرا اللغة التركية وجعلتها اختيارية فالتلميذ عند وصوله الى الصف الثالث يخير بين درس التركية والافرنسيه

وقد بلغ عدد تلامذتها سنة ١٩١٢ مائة وثمانية وتسعين تلميذا - وعدد المعلمين فيها عشرون معلماً بين اجانب ووطنيين معلمي علوم ومعلمي صنائع

والدروس تقسم الى ست سنين وهي كما يأتي :

السنة الاولى - الصف المبتدىء

الكتاب المقدس - حوادث العهدين القديم والجديد

العربية - مبادىء في كتاب «معين المبتدئين» مع سلاسل القراءة جزء ١

الحساب - كتاب « حساب المبتدئين »

الانكليزية - لتل ريدر و «فرست لسنس» جزء ١ ومكركن

خط : واملاء

السنة الثانية - الصف الاول

الكتاب المقدس - السيرة السيدية مع استظهار آيات وفي الانكليزية كتاب «ملر»

العربية - صرف ونحو « في الخدمة المدرسية » وقراءة في مجاني الادب جزء ٣

الحساب - «مستحدث في الحساب»

الانكليزية - ممبركو ومكركن

الآداب - كتاب « رفيق التلميذ » منتخبات منه

الخط - الانكليزية والعربية - والاملاء

السنة الثالثة - الصف الثاني

الكتاب المقدس - استظهار آيات واصحاحات وتكملة كتاب ملر

العربية - الصرف في كتاب « طيب العرف » وقراءة في كليلة ودمنه

الحساب - في العربية « كشف الحجاب » ثلثاه وفي الانكليزية حساب « سمث »

الانكليزية - تكملة « همبركر » و« فرست لسنس » جزء ٢ و« مركني ريدر » جزء ٢

الخط في العربية والانكليزية والاملاء

السنة الرابعة الصف الثالث

الكتاب المقدس - في العربية « سيرة مار بولس » وفي الانكليزية كتاب « ملر » جزء ٢

العربية - نحو في كتاب « الاعراب » وقراءة في « سلاسل القراءة » جزء ٦

الحساب - في العربية تكملة « كشف الحجاب » وفي الانكليزية تكملة حساب « وست » وسمث

الجغرافيا - في الانكليزية كتاب « تار ومري »

الانكليزية - كتاب « نيو ريدر » مع صرف ونحو

الافرنسية - كتاب « الجي » نصف جزء ١

التركية - يخير بينها وبين الافرنسية

انشاء وخطابة في العربية والانكليزية مع الخط

السنة الخامسة - الصف الرابع

الكتاب المقدس - مرشد الطالبين نصفه

العربية - تكملة كتاب « الاعراب » وقراءة في النفائس

الحساب - تكملة « ونتورث » ثم الجبر الى آخر الكسور

الجغرافية - كتاب « منيول جيوكرفي »

الافرنسية - تكملة كتاب « الجي » جزء ١ ونصف جزء ٢

التركية

الانكليزية - نيوريدر جزء ٥ وتكملة الصرف والنحو

انشاء وخطابة في العربية والانكليزية

السنة السادسة الصف الخامس

الكتاب المقدس - تكملة (مرشد الطالبين)

العربية	- مراجعة عمومية في كتاب (الاعراب) و (الخواطر الغراب)
الجبر	- تكملته في الانكليزية
الجغرافية	- تكملة (منرول)
التاريخ	- التاريخ العمومي (ميرس)
الانكليزية	- كتاب جديد .
الافرنسية	- تكملة كتاب (العجي) جزء ٢ مع املا وانشاء
التركية	مع انشاء وخطابة

واما ادارة الصنائع فكل تلميذ يلتزم ان يشتغل مع صفه يوميا وقتا تعينه المدرسة في احدى الصنائع التي تعيّن له ويراعى بقدر الامكان ميل التلميذ في انتقاء الصناعة التي يرغب فيها

وقد فتحت المدرسة بابا لبعض التلاميذ الذين يقصدون التقدم نوعا في الصناعة وذلك بان يشتغلوا كل النهار في الصناعة عدا ساعتين ياخذون فيها بعض الدروس كل يوم مع التلاميذ الآخرين فيكسب هؤلاء من العلم سنويا مقدار نصف ما يكسبه تلامذة الاقسام العلمية ومن الصناعة ما ينيف على ثلاثة اضعاف

والتلامذة تحت ادارة المدرسة جمعية لتحسين فن الخطابة والالقاء برياسة احد اساتذة المدرسة تلتئم مرة في الاسبوع ويقدم في كل جلسة مباحثة من تلميذين بالتعاقب ومن الخطب بقدر ما يسمح الوقت وفي المدرسة مكتبة تفتح ابوابها للذين يريدون ان يستعيروا كتبا منها للمطالعة عدا عما تحتويه المكتبة من المجلات العلمية والسياسية والجرائد اليومية وللمدرسة عناية خصوصية في تمرين التلاميذ على الالعاب الرياضية البدنية بانواعها وبتمرين الاجساد على الحركات الجمناستيكية وتقيم في كل سنة يوما للمباراة في هذه الالعاب تعطى جوائزها للراجحين

والرسم المدرسي الذي تتقاضاه يختلف باختلاف السنين بالنسبة الى ظروف واحوال البلاد الاقتصادي فهو اليوم ١٥ ليرة انكليزية عدا عن رسم التطبيب والمدرسة تتساهل مع بعض التلاميذ الذين ليس بامكانهم القيام بدفع الراتب المدرسي فتكلف التلميذ المساعد بمقدار معين من الشغل في خدمة المدرسة عن كل ليرة يساعد بها وتحتفظ المدرسة بحق تعيين الاشغال

هذا [illegible] لنا بعض اساتذة هذه المدرسة نشرناه بحروفه وفي الاجمال ان مدرسة المرسلين الاميركان تعد ارقى المدارس في صيدا نظراً لتوفر أمورها وكثرة الأنفاق عليها ومما ينتقد على الأمير كان اجبارهم التلامذة على دخول الكنيسة وقراءة كتبهم الدينية وهذا حسن بالنسبة لأهل نحلتهم اما غيرهم فلا وعلى كل فلكل قوم وجهة يولون وجههم شطرها

اما مدرستهم في دار السلام التي بنيت من عهد غير بعيد فهي آية في حسن الموقع وبديع الهندسة واتقان المقاعد فقد استجلب لغرفة التدريس العامة مقاعد اميركية بديعة جدا وزد على كل هذه المحاسن ان متولي ادارتها نسيم افندي الحلو احد اساتذة المدرسة فان له اخلاقا كالنسيم والمرء بأخلاقه وما احسن مطابقة الأسم للمسمى

مدارس الاناث الاجنبية

يوجد في صيدا مدرستان اجنبيتان للأناث احداهما للمرسلين الأميركان يتولى ادارتها بعض المرسلات الاميركيات وهي تضم بين جدرانها ٦٠ تلميذه اكثرهن داخليات وهناك مدرسة لراهبات القديس يوسف وهي المدرسة الذي قال عنها السائح كيران منذ ستين سنة بأن عدد تلميذاتها ماية وثلاثون تلميذة وهي خارجية وقال بأن عدد هؤلاء الراهبات تسعة وهن يصنعن خيرا كثيرا ومركزهن في خان الافرنج وهن الآن ستة عشر راهبة وتحتوي مدرستهن على ماية تلميذة خارجية وعشرين داخلية ورسم الدخول عشرة مجيديات للخارجيات و١٢ — ١٠ ليرة فرنساوية للداخليات ولهن مدرسة للايتام واللقطاء تحتوي على اربعين تلميذة وينفقن عليها من الأحسانات التي ترد لهن من اهل البر خصوصا من فرنسا وقد انشأوا جديدا معلا للخياطة يتردد عليه نحو ٢٥ متعلمة وهن يعلمن في مدرستهن العربية والأفرنسية والبيانو والموسيقى والرسم والتطريز وبقية الأشغال اليدوية ولهن صيدلية تديرها راهبة افرنسية يطببن بها الفقراء ويعطينهن الأدوية مجانا

هذا ما علمناه عن هذه المدارس وقد اوجزنا حيث يجب الأيجاز وأسهبنا حيث يلزم الأسهاب ولكل مقام مقال

مدرسة محمد رشدي

انشأت الحكومة من مدة اربعين سنة تقريبا مدرسة رشديه في هذه المدينة وقد كان التعليم بها تابعا لحسن عناية المعلم التي ترسله الحكومة وقد مر عليها في السنين

الأخيرة دور كانت به في حكم العدم غير انه من مدة ثلاث سنين ارتأى ناظر المعارف نائل بك تأسيس مدارس ارقى من الرشديه بهذا الأسم لتكون انموذجا فجعلت رشدية صيدا غونه رشديه واعتنى بها فائق بك مدير المعارف السابق عناية تامة وقد عين لها ثلاث معلمين بماشات كافية بدلا من معلمين هوءلاء بصفة دائمة وعين لها ايضا اربعة معلمين سيارين للقرآن الكريم وتعليم الأفرنسية والألعاب الرياضية والرسم والخط وجل العناية بل كلها في اللغة التركية (طبعا) لأنها تابعة لبروغرام نظارة المعارف اما الآن بعد صدور الأمر في التعليم باللغة العربية فقد اصبح لنا الأمل الوطيد بان يكون للعربية بها اوفر نصيب وعدد تلامذتها ٩٢ تلميذا ومدة الدراسة بها ثلاث سنين ويعلّم الصف المبتدىء العلوم الدينية والعربية والتركية والأفرنسية والحساب والجغرافيا وحسن الخط والصفات المتهيات زيادة على ذلك الهندسه والمعلومات الفنية والمدنية والرسم وهي تعتني اعتناء تاما في الألعاب الرياضية ولأساتذتها همة ناهضة في التعليم حتى اصبح خريجوها في هذه السنين الأخيرة يضاهون خريجي المدارس الأعداديه وليس لها بناية خاصة بها وانما تستأجر مكانا في الأجرة

المحلات العامة

يوجد في صيدا ثلاث فنادق (لوكاندة المطران) وهي اشهرها واوسعها ولوكاندة الوطن ولوكاندة زنتوت وكلها واقعة في الشارع العام الذي يمتد من بوابة الشاكرية الى بوابة التحتا واجرة المنامة تتراوح بها بين البشلك والبشلكين

وفي صيدا خمسة حمامات الحمام الجديد وهو اكبرها واحسنها عناية في النظافة ويتلوه حمام الورد فحمام الشيخ فحمام المير فحمام السوق والعادة هنا ان تكون الحمامات من الصبح الى الظهر للرجال ومن الظهر للمساء النساء

وفي صيدا قهوات كثيرة ابدعها واكثرها اتقانا قهوة الخيريه فقهوة بركة السرايا فقهوة بوابة الفوقا

ولا يوجد في صيدا متنزه عام تؤمه الناس كسائر البلدان الكبيرة غير ان جميع حدائقها وبساتينها متنزهات جميلة وكل من دخلها استقبل بالأعزاز والترحاب

الجمعيات في صيدا

لايخفى ان وجود الجمعيات التي ترمي الى غرض نبيل هي ادل دليل على وجود

الحياة والتطلع الى الرقي وقد تألف في صيدا بعد الدستور عدة جمعيات كان نصيبها السقوط لأنها لم تخلص في اعمالها على مايظهر او كان لموسسيها والساعين في ايجادها اغراض شخصية فلما نالوها اهملوا الجمعية فانحلت وهكذا كان فأن الجمعيتين الوطنية والعلمية وجمعية الشبان ايضا وما تفرع عنهامن قبل ومن بعد زالت بعد زمن قليل من تأسيسها وانضم اكثر اعضائها لجمعية الاتحاد والترقي التي تهافت الناس عليهاتهافت الجياع على القصاع و كانت اغراض الداخلين بها مختلفة وما زالت تعلو وتهبط حتى اصبحت الآن اثرا بعد عين

اجل اذا كانت الجمعيات السياسية تفيد اقواما فأن القوم عندنا تضرهم ولا تعود على مجموعهم الا بالخسران وأحسن الجمعيات عندنا ماأسست للسعي وراء نشر العلم وتعميم التعليم وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق وهذه جمعية المقاصد الخيرية تأسست منذ ٣٢ سنة كما تقدم وما زالت سائرة في سبيلها لايثنيها عن عزمها مثبط وقد انشئت حديثا جمعية ثانية تعدمساعدة لتلك على اعمالها وهي (جمعية نشر العلم) اسسها في ٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٠ كل مـن الأفندية الآتية اسماؤهم احمد عارف الزين - محمد علي حشيشو - توفيق البساط - عبد الغني الحلاق - احمد اسماعيل القطب - محمد سعيد ابو ظهر - احمد عمر الحلاق -

ولما كان من نظام الجمعية انتخاب خمسة اعضاء مع الموسسين عند صيرورة المشتركين خمسين مشتركا اجتمع المشتركون في بيت احد الموسسين وانتخبوا بالرأي الخفي خمسةوهم الأفندية : محمودزنتوت- يوسف الجوهري- عمرابو ظهر- علي الكشتبان- توفيق زنتوت - وبعد ذلك انتخب احمد عارف الزين رئيسا ومحمدعلي حشيشو كاتبا واحمد اسماعيل القطب امين صندوق وكل مشترك في الجمعية يدفع عند الدخول ريالا مجيديا وبشلكا كل شهر وقد مثلت الجمعية رواية الصارخ الملوم فحصل اقبال عليها وقد اصبح لديها الآن قيمة تربو على الأربعين ليرة وغاية الجمعية ارسال بعض النجباء من التلامذة الفقراء للمدارس العالية في بيروت وغيرها خصوصا لدار المعلمين لكي يتولوا التعليم بعد نيلهم الشهادة في المدارس الاهلية

والجمعية الآن تسير ببطء غير ان ذلك خير من الطفرة فنسأله سبحانه ان يمنح القائمين بها الثبات والاخلاص ويوفق الاهلين للأخذ بيدها انه سميع مجيب هذاولأساتذة وتلامذة مدرسة الفنون الأميركية جمعيات داخل مدرستهم ولهم جمعية

تدعى جمعية الخدمة الوطنية الأنجيلية انشئت منذ احدى عشر سنة وغايتها مساعدة المدارس الأنجيلية ومراقبة غرف القرآة التي انشئت من مدة تنيف على عشر سنين وقد بني لها بناية لطيفة من المال التي تبرع به اصدقاء القس وليم ادي لأقامة اثر له فكانت بناية غرف القرآة خير اثر مبرور ويوجد بهذه الغرف طائفة صالحة من الكتب والصحف وهي مفتوحة الابواب لمن اراد المطالعة في جميع ايام الاسبوع ماعدا الاحد

وانشيء منذ سنتين جمعية للسجاد لترويج الصناعة الوطنية وتنشيطها غير انها خسرت خسارة فادحة ادت بها الى التلاشي

وقد يكون هناك جمعيات خاصة لبعض الطوائف لامجال لذكرها هنا

جدول قائمقامي صيدا

من	الى	
١ نيسان سنة ١٢٦٣	٢٢نيسان سنة ١٢٩٣	عبد الله ادلبي افندي
٢٣ منه	٨ حزيران سنة ٢٩٣	احمد افندي
٩ حزيران سنة ٢٩٣	١٣تشرين ثاني سنة ٢٩٣	جمال افندي
١٩تشرين ثاني سنة ٢٩٣	٣١اغستوس سنة ٢٩٥	صادق بك
١ ايلول سنة ٩٥	٣١ مارت سنة ٩٧	احسان بك
٢٥ نيسان سنة ٢٩٧	٦ مارت ١ سنة ٣٠١	احمد شكري افندي
٧ مارت سنة ٣٠١	٢٣تشرين اول سنة ٣٠١	محمود بك
٢٦تشرين اول سنة ٣٠١	٣٠ مايس سنة ٣٠٢	صادق بك
١ حزيران سنة ٣٠٢	١٨اغستوس سنة ٣٠٢	وكيل احمد نسيب افندي
٢٠اغستوس سنة ٣٠٢	٢٠ تموز سنة ٣٠٣	صادق بك
٢١ تموز سنة ٣٠٣	١٤اغستوس سنة ٣٠٣	وكيل ابراهيم افندي الجوهري
١٥اغستوس سنة ٣٠٣	١٤ تشرين اول ٣٠٣	احسان بك
١٥تشرين اول سنة ٣٠٣	٢٣ تشرين ثاني سنة ٣٠٤	حسن فهمي بك
٢٦تشرين ثاني سنة ٣٠٤	٣٠كانون اول سنة ٣٠٤	عبد الغني افندي
٣١كانون اول سنة ٣٠٤	١٤ مايس سنة ٣٠٦	مصطفى حكمت بك القنواتي

من	الى	
١٥ مايس سنة ٣٠٦	٢٦ مايس سنة ٣٠٦	وكيل ابراهيم آغا الجوهري
٢٧ مايس سنة ٣٠٦	١٤ تموز سنة ٣١٠	احسان بك مرة ثالثة
١٥ تموز سنة ٣١٠	١٩ حزيران سنة ٣١١	محمود بك
٢٤ حزيران سنة ٣١١	٨ تشرين ثاني سنة ٣١٣	احمد شكري افندي (مرة ثانية)
١٣ تشرين ثاني سنة ٣١٣	٢٣ كانون اول سنة ٣١٣	وكيل بكر سامي افندي
٢٤ كانون اول سنة ٣١٣	١٦ مايس سنة ٣١٤	وكيل يحيى افندي
١٧ مايس سنة ٣١٤	٢٢ تموز سنة ٣١٤	وكيل ابراهيم اغا الجوهري
٢٣ تموز سنة ٣١٤	٢٨ شباط سنة ٣١٥	رضا بك الصلح
٢٩ شباط سنة ٣١٥	٢٢ مايس سنة ٣١٦	وكيل عبد القادر افندي الدنا
٢٣ مايس سنة ٣١٦	٣١ تشرين اول سنة ٣١٦	وكيل نائب القضا احمد جميل افندي
٥ تشرين ثاني سنة ٣١٦	٢٧ حزيران سنة ٣١٩	عبد اللطيف افندي
٢٨ حزيران سنة ٣١٩	١٤ اغستوس سنة ٣١٩	وكيل ابراهيم بك الجوهري
١٥ اغستوس سنة ٣١٩	١٧ حزيران سنة ٣٢١	محمود ماهر بك
١٨ حزيران سنة ٣٢١	٣٠ نيسان سنة ٣٢٣	كامل بك
١ مايس سنة ٣٢٣	٥ تشرين ثاني سنة ٣٢٤	عبد الحليم افندي
٦ تشرين ثاني سنة ٣٢٤	٢٦ تشرين ثاني سنة ٣٢٤	وكالة سعد الدين رمضان افندي
٢٧ تشرين ثاني سنة ٣٢٤	١٧ كانون اول سنة ٣٢٤	من خلفاء قلم المكتوبجي خالد بك
١٨ كانون اول سنة ٣٢٤	٢٧ مارت سنة ٣٢٦	محمد جمال بك
٢٦ مارت سنة ٣٢٦	١٣ مارت سنة ٣٢٨	سعيد بك.
١٨ مارت سنة ٣٢٨	الى الآن	محمد جمال بك

هذا ما اخذناه عن قلم المال وقد علمنا من مصدر آخر انه كان قبل هؤلاء القائمقامين الآتية اسماؤهم

سنة ١٨٦٧م	جعفر طيار افندي	سنة ١٨٧٠م	شاكر بك
« ١٨٦٨	محمد بك	« ١٨٧٤	رفقي باشا
« ١٨٦٨	علي بك	« ١٨٧٤	رفعت بك
« ١٨٦٩	صالح بك	« ١٨٧٤	شاكر بك

سنة ١٨٦٩ مصطفى افندي

وشاكربك (١) هذا هو الذي فتح بوابة الشاكرية واليه تنسب وكان يصيف في جبع فبنى مقصورة لطيفة ولم يزل ذاك المكان يدعى باسمه اما الادلبي فكان غريب الاطوار شديد الانتصار للفقير على الغني سواء كان محقا ام مبطلا ومن اللطائف التي تروى عنه ان فلاحا ادعى على ملاك من تجار صيدا بانه اغتصبه قطعة ارض فابرز الملاك سندات طابو فلم يعبأ بها فأراه بعض المحامين المادة التي تقضي بتسليم صاحب السند الارض فمحى المادة من نسخة القانون وله من هذا القبيل عدة نوادر لا يسع المقام ذكرها

وممن نشط المعارف من هؤلاء القائمقام احسان بك ورضا بك الصلح الذي سعى سعيا مشكورا في سبيل تجديد ابنية المدارس الخيرية كما انه هم بايجاد جملة اصلاحات في البلدة فلم يتوفق لانجازها وكذلك سعيد بك فانه اوجد بعض اصلاحات ثانوية يشكر عليها

تجارة صيدا وزراعتها وصناعتها *

التجارة ١

قد لعبت مدينة صيدا دوراً مهماً في الاجيال الماضية نظراً الى ما حازته من الشهرة الواسعة بتقدّم تجارتها وعلاقاتها مع امهات المدن والممالك العديدة فاذا بحثنا عن حالتها في السنين السابقة للتاريخ المسيحي نراها وصلت الى درجة من العمران حسدتها عليها اكبر مدائن المعمورة فكانت محصولاتها التجاريّة والزراعيّة تُحمل الى مسافات بعيدة على مراكبها الشراعيّة الذائعة الشهرة وقد بقي لها اهميّة تُذكر في

(١) قدم الى صيدا في مدته حمدي باشا الشهير فكلف شاكر بك والد صاحب هذا الكتاب بنظم شيء من الشعر فقال ابياتا وآخرها هذا التاريخ

نور المفاخر والعلى اعداؤه ارخ اصاغر

١٢٩٢ ه

وله ابيات غيرها آخرها

وفي برج السعود بزغت ارخ سماء المجد دمت بها تنير

١٢٩١ مارتيه

* وهي مقالة كتبها الاستاذ توما افندي كيال في العدد الثالث من المجلد الحادي عشر من مجلة المشرق وقد اثبتناها هنا برمتها لفائدتها ثم نعقبها بما نعلمه عن حالتها الغابرة والحاضرة

الاجيال المتوسطة لانها كانت مقصودة من التجار الاوربيين الذين كانوا ينقلون قسماً من منسوجاتها الى بلادهم · وبقيت هذه المدينة محط رحال كبار التجار من الاوربيين والوطنيين الى اوائل الجيل الماضي اذ كانت ميناها تقريباً الميناء الوحيدة للبلاد السورية · ومن ذلك الوقت أُصيبت ببعض الانحطاط ثم اصبح اهلها في حالة من التأخر لم يسبق لها مثيل ولم تنتعش قواها الا من بضع سنوات اي من الوقت الذي فُتحت بينها وبين بعض المدن السورية طرق المواصلات ومَن اطلع على حالتها الماضية (اي من عشر سنوات الى الآن) يرى تقدماً مهماً في حالتها التجارية والزراعية والصناعية

ومما زاد تجارة صيدا تحسُّنا توارد الاهلين اليها لاسيما القائمقاميات والقصبات المجاورة نظراً الى تقدم تجارتها البحرية والبرية ولاقتناع اهاليها بالارباح ولو زهيدةً واكرامهم للتجار الغرباء ولوجود عمال بها مشتهرين في الصنايع كافة ولهذا يتردد الى صيدا لمشترى احتياجاتهم منها سكان قضائها والنباطية وجديدة مرجعيون وحاصبيا وراشيا وقسم من اهالي صور وبلاد بشارة ويقصدها من لبنان اهالي قضاء جزين وقسم معهم من قائمقامية الشوف ومديرية دير القمر · فاذا كان معدل عدد سكان المحلات التي ذكرناها مائتي الف نسمة فقط بان حينئذ للباحثين عما يلحق مدينة صيداء من الارباح اذا بقيت الحال على تقدم متواصل في الاشغال التجارية · ومن الجداول الآتية ومقابلتها مع ما غبر من السنين تتضح حقيقة الامر

٢ الصناعة

عادت الصنائع الى صيدا تدريجاً وها انها تتقدم من يوم الى آخر وقد زادت اقبالاً في عامنا الغابر ١٩٠٧ فاذا بحثنا عن المشتغلين بعمل السفن الشراعية من مواطنينا البارعين وجدنا انهم اتقنوا هذا الفن حتى ان صيدا اصبحت مقصودة من الثغور السورية وخلافها في الاشغال المذكورة وقد تمّ بها مؤخراً عمل ثلاث سفن شراعيّة يتراوح محمول الواحدة منها من ١٢٠ الى ١٤٠ طناً اما السفن الصغيرة فقد أُنجز منها عدد ليس باليسير وكلها غاية في الاتقان والمتانة · اما صناعة القرميد فقد راجت سوقها كثيراً لانهُ فُتح في العام الماضي معمل لصنعهِ هنا فاقبل على مشتراه اهالي المدينة والمدن المجاورة وقد زادت رواجاً في المدة الاخيرة صناعة الجلود المهيأة في مدابغ المدينة لانهُ صدر منها قسم كبير الى بيروت وقبرص · واخيراً بان للجميع ان باقي الصنائع كالنجارة والحفر والحدادة قد اصبح اربابها قادرين على اتقانها فلذا

يقصدهم كثير من اهالي المدن الكبيرة لعمل ما يحتاجون اليه وقد ازداد في العام المنقضي عدد المشتغلين بالحلويات فاتقنوها · وبالاختصار ان الصنائع على وجه العموم سائرة في مدينتنا في حالة التقدم والازدهار

الزراعة ٣

خفَّت ولله الحمد في السنة المنصرمة المهاجرة الى الديار الاميركيَّة لان اهالي بلادنا بحثت عن الطرق المؤدية لنجاحها فرأت بأن المهاجرة قد سببت لها اضراراً جمة فلذا عدلت عنها وقام فريق من السكان يحرض الفريق الآخر شجعاً اياه على الاهتمام بامر الزراعة

اما المهاجرة فانهُ لأمر مقرر بانها اضرّت بصوالح كثيرين من اهالي بلادنا واتتنا بضربات كثيرة اما فوائدها فهي قليلة جداً ولا تُذكر اذا قابلناها مع الاضرار المتأتية منها . ها ان كثيرين من المهاجرين عادوا في هذه السنين الاخيرة الى اوطانهم حاملين الينا الامراض الوبائية كالسلّ والامراض الزهرية والجلدية ولم يكتفوا بحملهم ماذكرنا من الاوبئة حتى اتونا بضربة للمزروعات بحملهم بعض نباتات موبوءة ألا وهي ضربة جديدة للانتقال هنا ولولا تدارك الحكومة السنية لكان تفاقم امرها وتعاظمت اضرارها . وبالحقيقة ان المهاجرين الذين قصدوا اميركا لم يعد منهم الا النزر القليل بدراهم جُمعت باتعاب ومشقات سنوات طويلة فلو صرفوا اوقات شبيبتهم الثمينة في وطنهم واشتغلوا بحراثة اراضيهم الخاصة أو بالاجرة لكانوا حصلوا أكثر مما جمعوهُ هنالك بالذل والعار . هذا فضلاً عن الاضرار الادبية المتأتية من المهاجرة فترى الاب يذهب ويترك امرأة واولاداً صغاراً لامعين لهم بعد ان يكون باع اورهن ماورثهُ عن اجداده فيذهب والآمال تسكرهُ ومحبة المال تخدعهُ والغيرة تحركهُ الا انه عند وصوله الى تلك الديار يلعن من كان سبباً لتركه وطنهُ وعائلتهُ فيندم ولات ساعة الندم يعيش مغروراً بعد ان يكون ذاق مع اهله لذة العيش العائلية فان كان من اصحاب الشفقة يعيش هنالك في التقتير الزائد موفراً بعض دريهمات لعائلتهِ المسكينة المتضورة جوعاً . اما الاعزب فيصل الى بلاد نُصبت فيها الاشراك العديدة لمن يعطي النفس هواها فيعيش عيشة غير مرتَّبة يخسر بها دينهُ ودنياه ويعود بعدئذ الى بلاده مريضاً نحيلاً صفر اليدين. اما الذين يموتون هنالك في حالة الشقاء او تنقطع اخبارهم تماماً فهم كثيرون ونرى دائماً الجرائد

الاميركية والمحلية ملأى من اخبارهم المحزنة . وان قال قائل : الم ترَ يا هذا زيداً عاد الينا بالوف من الليرات . ولكن بالله قل لي من اي مدينة او قرية هو ذلك المهاجر فبعد ان تكون اوقفتني على حقيقة امره اسرد لك عندئذ اسماء ٥٠ او ٦٠ شخصاً على الاقل من تلك المدينة او القرية عادوا الينا وايديهم فارغة من الدراهم ولم ينالوا في تلك الاقطار الاّ مايكفيهم لسد حاجاتهم الضروريَّة اما مَن بقي منهم هنالك فمات حزناً وقهراً . فالنتيجة ان منافع المهاجرة قليلة جداً اما اضرارها فعديدة لا تحصى . والآن فلنعد الى بحثنا الاول

من المعلوم ان اراضي سورية المشهورة منذ القدم بحسن تربتها وكثرة خيراتها قادرة على ان تقوم باود اهاليها وتزيد عنهم بشرط ان يهتمُّوا بامرها ويحسنوا بحراثتها فالارض الفلوحة في جهاتنا والتابعة لمدينتنا تنيف عن ٠٠٠ر١٧٠ هكتار[١] والباقية دون فلاحة تزيد على هذه اضعافاً فليتعاون الكل على العمل في الارض لانَّ بها حياتهم وسعادتهم ونجاح بلادهم

(البرتقال والحامض) كانت ارساليته الى الخارج اقل من ذي قبل وسبب ذلك متأتٍ عن قلة الطلب عليه كالعادة من البلاد الروسية فقد وُضعت ضريبة مهمَّة على الصناديق المرسلة الى ثغورها لكن الاهالي عزمت اذ ذاك على تصديره الى داخليَّة ولايتي بيروت والشام فتصرَّف منه كثير باسعار موافقة ولعلَّهم في المستقبل يعدلون عن ارساله الى الخارج

(التوت) قد كان موسم الشرانق غاية في الاقبال في العام الغابر رغماً عن اضرار الصرصر (الجيز) وقد رأينا من مدَّة مئات من الصرصر المذكور منتشرة على الطرقات مابين القرى القريبة من المدينة فاذا لم يتدارك ارباب الزراعة هذا الامر ويهتمّ له فتكون حينئذٍ لاسمح الله ضربة قاضية على الملاكين في هذه السنة . وعلى ماظهر لنا ان البرد الشديد يضرُّ به كثيراً ويميت اغلبه لانه منذ سقوط الامطار الاخيرة واشتداد البرد اختفى تماماً ولم نعد نرى اثراً له . اما التوت فقد زرعت منه الاهالي الوفاً في القرى المجاورة وقد نشطهم على ذلك ارتفاع اثمان الشرانق في الموسم الماضي

(ماء الزهر) استُخرج منه اقلّ من العادة وكانت اسعاره مرتفعة نظراً الى قلة الزهر وقد صدر منه الى الخارج قيمة جزئية خصوصاً الى بيروت لأنه استخرج بها

١ الهكتار مائة آر والآر مائة متر مربع

كميات كبيرة في معمل الخواجات موريل ومطر وبيع باسعار بخسة الاّ ان فرقاً كبيراً بين المستخرج هنا وهناك في الرائحة والطعم والجودة

(التين) صدر منه اكثر من العادة الى الاسكندريّة ومنها الى بلاد النمسة حيث يستخرجون منه مواد سكريّة وكحوليّة

(العسل) كان به نقص مهمّ في هذه السنة لان الأهالي اهملت امر الاعتناء بتربية النحل لما اسعاره فكانت عالية جداً ووجوده نادراً

(الرمان) قد كان هذا الصنف في سنتنا الماضية من احسن السنين اقبالاً وقد زادت ارساليته الى الخارج والداخلية

(الاكدونيا) لم يكن موسمهُ ذا اقبال وقد عدّل العارفون بانهُ حدث في غلّته نقص ٢٠ في المائة في سنة ١٩٠٧ وسبب ذلك شدة هبوب الارياح في ايام الخريف اي وقت عقده وسقوط البرَد قبل قطفه بقليل

(اللحم والسمك) تعالت اسعار اللحم كثيراً فبيع الرطل منه باربعة وعشرين غرشاً الامر الذي لم يسبق له مثيل . اما الحكومة المحلية والبلدية فلم يضربا على ايدي الجزّارين بل تركوهم وشأنهم واذا لم يردعهم رادع عن اعمالهم فلربما يوصلون الرطل الى ٣٠ غرشاً . اما الصيادون واصحابهم سماسرة السمك فاقتدوا بمثل الجزارين وحذوا حذوهم لا بل اخذوا الفور عليهم فرفعوا اسعار الاسماك الى حدّ فاحش مدعين بان قلّته سببت ارتفاعاً بسعره (كذا)

(الغلاء) قد كانت سنة ١٩٠٧ من السنين الشديدة الغلاء انزلت في الاهالي ضيقاً عظيماً لم تره منذ ٣٠ سنة فارتفعت في اثنائها اسعار الحبوب والمأكولات رغماً عن الكميات الكبيرة المخزونة من الحنطة في اهراء بعض الملّاكين والتجار ولم تزل الى الآن في حواصلهم الاّ ان الحكومة السنية خففت عن الاهالي شر هذا الضيق فاصدرت اوامرها المطاعة مانعة ارسال الحبوب الى الخارج فهبطت اذ ذاك الاسعار ولم تزل بهبوط متواصل وقد تعالت كذلك اسعار الملبوسات واجور المنازل والدكاكين وبالنتيجة قد عمّ الغلاء الاصناف كافة

فما تقدم بيان للمطالع اهمية التجارة في مدينة صيدا والاهالي متشوقة لان ترى افتتاح شعبة صغيرة للبنك العثماني في هذا الثغر ترويجاً لمعاملاتها التجاريّة فيا حبذا لو اهتمّ لهذا الطلب اصحاب النهي والامر واوفدوا من قبلهم من يبحث عن هذه المسألة

المهمة فعلى ظني يجدون حينئذٍ بان المدينة غاية في الاحتياج الى وجود شعبة بها وها نحن نورد جدول واردات صيداء وصادراتها بياناً لتقدمها

اهمّ واردات صيدا سنة ١٩٠٧

كاز	٤٥،٥٠٠	صندوق من روسية
سكر	١٢،٧٠٠	كيس بطريق الاسكندرية
سكر قوالب	٥٠٠	〃 〃 〃
ارز انكليزي	١٥،٠٠٠	〃 〃 〃
〃 رشيدي	٢٤،٠٠٠	قفة من رشيد
بن	٢٨٥	كيساً كبيرا بطريق بيروت
بن عدني	٧،٥٠٠	كيلو من عدن
ملح	٢،٥٠٠،٠٠٠	〃 〃 بنغازي
طحين	٢،٧٠٠	كيس من بيروت
حبوب	٥٥،٠٠٠	كيلة من عكا وحيفا
حصر	٨،٩٠٠	حصيرة من الاسكندرية
فول العبيد	٢٧،٢٠٠	رطل بطريق الاسكندرية
خشب	١٠،٣٠٠	مترمكعب من برالاناضول وروسية ورومانية
جلود	٢٥٠	بالة من اوربة بطريق بيروت
اكياس فارغة	٧،٦٠٠	كيس من الهند بطريق اسكندرية
جبن عكاوي	١،٢٠٠	سحارة من عكا وحيفا
جبن كشكوان	٣٥٠	عديلة من ادرنة واستانة
تنباك	١٣،٨٣٧	كيلومن العجم
دخان	١٨،٥٠٠	〃 من الاستانة
بلح	١،١٥٠	قفة بطريق الاسكندرية
كلس وتراب افرنجي	٦،٠٠٠	كيس وبرميل من فرنسة بطريق بيروت
مقددات وحلويات	١،٣٠٠	صندوق بطريق بيروت
اجواخ	١٢٠	بالة

اقمشة قطنية وحرائر	٨٥٠	بالقبطرية بيروت
قزاز وقيشاني	٢٥٠	صندوق 〃 〃
قرميد	٣٠٠٬٠٠٠	قرميدة 〃 〃

اهمّ صادرات صيداء سنة ١٩٠٧

شرانق	١٠٠٬٠٠٠	كيلو الى لبنان
〃	١٦٠٬٠٠٠	〃 بطريق صيدا
تين يابس	٧٥٬٠٠٠	〃 الى الاسكندرية
زيت	٥٠٬٠٠٠	〃 〃 〃
زيتون	٢٥٬٠٠٠	〃 〃 〃
زبيب	١٢٬٠٠٠	〃 〃 〃
ماءزهر	٤٬٠٠٠	〃 الى سورية ومصر والاستانة
انكدونيا	٢٬٥٠٠	سحارة الى بيروت والشام الخ
دخان « تبغ »	٧٨٬٠٠٠	اقة من صيدا وصور الى القطر المصري
رمان	٩٠٠	قنطار الى بيروت والشام والقطر المصري
موز ارسل منه الى بيروت ولبنان ماقيمته ٣٬٤٠٠ ليرة		
بيض	٦٠٠٬٠٠٠	بيضة الى الاسكندرية
〃	٧٠٠٬٠٠٠	بيضة من قضاء صيدا وبواسطتها الى بيروت
دجاج	١٢٠٬٠٠٠	طير من صيدا
برتقال وحامض	١٨٬٠٠٠	حبة يوميا في وقت الموسم الى بيروت ولبنان وسورية
برتقال وحامض	٥٠٬٠٠٠	صندوق الى الاستانة وروسية وانكلترة
سمسم	٢٬٠٠٠	اقة الى مصر وعليه طلب كثير من اوروبة
جلود مهيأة	٢٥٠	ربطة الى بيروت وقبرص

بيان المراكب التي دخلت ميناء صيداء سنة ١٩٠٧

البخارية		حمولها طن	الشراعية	حمولها طن
عثماني	١٢٧	٣٧٩ع ١١	٨٨١	٧٩١ع ٩
انكليزي	١٤	٦٤١ع ١٨	.	.
نمساوي	١	٥٣٧	.	.
يوناني	٧	٦٤٣ع ٧	١	٣٩٩
ايطالي	١	٢٥٦ع ١	.	.
مسكوبي	٣	٨٤٥ع ٥	.	.
	١٥٣	٣٠١ع ٤٥	٨٨٢	١٩٠ع ١٠

هذا ما كتبه عن تجارة صيداء وزراعتها وصناعتها ذاك الاديب والذي نلاحظه أن تجارة صيدا لم تتقدم بعد كتابة مقالته بل تأخرت نظرا لارتباط حيفا في الخط الحديدي وعدم وجود التسهيلات الكافية التي تربط صيدا بجميع الجهات ربطا محكما حتى قلّت البواخر التي تؤمها جدا واما الصناعة فمع اتقان اربابها لها فهي لم تكد تفي بحاجتهم وتقوم بأودهم نظرا لكثرة التزاحم على صنعة واحدة لايصرف منها الا شيء محدود واما الزراعة فهي تنحط يوما فيوما نظراً لكثرة المهاجرين وقلة العاملين وأما المهاجرة فقد طغى سيلها هذه السنين الاخيرة لما اصاب الناس من ضيق وضنك ومظالم ومغارم حتى اصبح المهاجرون يعدون ربع السكان بل من حيث المجموع بنصفهم لأنه لايهاجر الا الشاب القوي نعم لاننكر بأن المهاجرة خففت الضيق المالي تخفيفا كليا غير انها اضرت من جهات كثيرة ضررا بليغا فهي كالخمر اثمها اكبر من نفعها وفي الاجمال ان بلدة مثل صيدا جمعت كثيرا من الحسنات لايعد تقدمها قائما بالنسبة لما سواها وتعجبني كلمة للدكتور فارس نمر حين زيارته لصيدا منذ سنتين فأنه قال كنت اخال بأن صيدا تقدمت تقدما يفوق تقدمها الحاضر عشرين مرة . وها نحن نثبت هنا جدولا لسنين مختلفة يحوي واردات وصادرات صيدا وقضاها اخذناه عن مصدر موثوق

محصولات صيـدا وحواليها سنة ١٨٥٠م

حرير اقة ٣٠٠٠ سعر الاقة ١٠٠غرشا	تيـن قنطار ١٠٠٠
ليمون قنطار ٨٠٠٠	عنب ٤٦٠٠
مشمش ٤٦٠٠	فاكهة ٣٠٠٠

خضرة قنطار ٢٠٠

قطن " ١٠٠٠ سعر ٢٠٠ غرش

ذره بيضه كيلة ١٥٠٠ اسلامبولية سعر ٧

فول وحمص وعدس كيلة ٥٠٠ سعر ٩

شعير " ١٠٠٠ سعر ٧

حنطة " ٢٠٠٠ سعر ٢

٨٠ قنطار تين سعر ١٠٠

٤٠ قناطير حرير

٢٥ قنطار دخان سعر ٥٠٠

٨٠ قنطار قطن

وتبيع بثلاثة آلاف ليرة فواكه مختلفة

(حاصلات مقاطعة جبع)

وهي ٤٥ قرية

٢٠ الف كيلة حنطة

١٦ " " شعير

١٢ " " فول وحمص وعدس

٨٠ آلاف " كرسنة وبقلة

الفا كيلة طرمس سعر ٣

٣٠٠ كيلة سمسم سعر ٣٠

(حاصلات مقاطعة الشقيف)

٥٠٠ قنطار دخان

١٠٠ قنطار تين

١٥٠ كيلة سمسم

٣٠٠٠ كيلة طرمس

٧٥٠٠ " كرسنة وباقية

٧٥٠٠ " ذره

١٧٠٠٠ " حمص وفول وعدس

٣٦٠٠٠ " شعير

٣٧٠٠٠ " حنطة

اما حاصلات صيدا وقضاها في السنة الغابرة كما نقلناها عن مصادر موثوقة فهي كما يلي ٥٥٠ الف كيلة حنطة ، و ٢٨٠ الف كيلة شعير ، و ٤٠ الف كيلة حمص وفول و ٦٠ الف كيلة كرسنه وباقيه و ٢٠ الف كيلة عدس و ٣٠ الف كيلة ذره وسبعة الآلاف كيلة حلبه وماش وغير ذلك من الحبوب

و ٨٥ الف اقة شرانق والفي اقة قطن و ٥٠ الف اقة دخان وثمانية الف اقة تين و ٢٤ الف اقة زيت

عدد المواشي

٢٥٠٠ حمار و ١٥٠٠ حصان وبغل والف جمل وثمانية آلاف وخمسماية رأس بقر وستة آلاف رأس غنم و ٢٥ الف رأس ماعز

واردات صيدا

خمسة آلاف صندوق كاز و ٢٥ الف كيس لرز هندي ومصري و ٢٢ الف كيس

(١) الطن ١١٤٦ ليتر والليتر اربع اواق ونصف

سكر اغلبها غساوي و٤٨ قنطارفول عيد و١٠٤ طن حديد وثلاثة آلاف برميل وكيس تراب افرنجي واربعاية الف قرميده و٦٥ الف مخروقه

الصادرات

٩٠ طن فول وحمص و١٢٠ طن خروب و٦٠ طن شرانق وسبعة الاف كيس تين يابس و٢٨٠٠ جرة زيت و١٥٨٠ بالة دخان و٢٧٠ طن طرمس و١٧٠ طن شعير و٤٠ الف صندوق ليمون

هذا معدل واردات وصادرات صيدا ولاشك بان هذه السنة قلّ صادر الشرانق لأن اغلب الناس قلعوا شجر التوت لقلة من يقوم بتربية الدود وعدم جدواه غير ان مواسم الحبوب كانت جيدة والحمد لله وكذلك الزيت فانه يكون اضعاف اضعاف السنة الماضية

ومساحة قضاء صيدا عبارة عن ٣٥٥ كيلو متر مربع منه سبعة آلاف دونم (١) بساتين والف وخمساية دونم زيتون وثمانية آلاف دونم تين وستة آلاف وخمساية دونم دخان والباقي يزرع بها الحبوب

برد قان صيدا

لايخفى ان عمدة معيشة الصيداويين وجل ثروتهم من الأملاك وهي عبارة عن بساتين يوجد بها انواع الفواكه من ليمون وايكي دنيا ومشمش وتوت وغيرها عدا عن الخضر التي تزرع في تلك البساتين وقوام بساتين صيدا هو الليمون على انواعه خصوصا البردقان فان بساتين صيدا وما يتبعها ينتج منهـا ماينيف عن ماية مليون ليمونة منها ٧٠ مليون برقادنه والباقي من سائر اجناس الليمون ويجدر بنا في هذا المقام ان ننقل مقالة مهمة كتبها توما افندي كيال في العدد السابع من السنة السادسة من مجلة المشرق صفحه ٢٨٩ فكان لها رنة استحسان في جميع الأنحاء حتى ترجمت لكثير من اللغات الاوربيه وها هي بحروفها

قد اشتهرت مدينة صيدا من قديم الزمن بمحصولات اراضيها الكثيرة وباثمارها اللذيذة المختلفة الاجناس الكثيرة العدد المفضلة على ماسواها والمرغوبة من سكان المدن السورية والأوربية نظرا اللذيذ طعمها وحسن هيئتها وروتقها وطول مدتها . صفات خص بهـا المولى اثمار هذه المدينة القديمة العهد فاغناها بعد مجدها السابق

(١) الدونم الف وستماية ذراع مربع

بمحصولات يتفاخر بها كل من رآها وتمتع بها

هيا بنا ايها القارىء الكريم ندخل معا احد بساتين هذه المدينة ونتجول به قصد التنزه باحثين في الوقت ذاته عن انواع الثمار الموجودة في ذلك البستان الواسع الارجاء المغروس به من الاشجار القديمة والحديثة العهد مالا يفي به احصاء من برتقال ورمان وخوخ وموز وتفاح ومشمش ولوز واجاص وتوت والكدونيا ودراقو واثمار أخرى متعددة لايسعنا المقام سردها بالتمام. ولا غرو ايها القارىء اللبيب ان يأخذك العجب والاندهاش لدى رؤياك هذه الاشجار في هذا الفصل البديع فتتحقق بالعيان ماطالما سمعته عن بساتين صيداء وفواكهها اللذيذة

هذا وان بين هذه المواهب الطبيعية ثمرا يتباهى به الصيداويون اذ عليه مدار تجارتهم ومعاش القسم الاكبر من اهالي مدينتهم الا وهو البرتقال عولت على ان اشرح لك مفصلا عما تهمك معرفته من زرعه وتطعيمه وانواعه ومنافعه آخذا هذه التعليمات من اوثق المصادر علها تحرك بك الشوق لزيارة مدينتنا باقرب وقت فتكون مطلعا حينئذ على ايضاحات وافية بهذا الخصوص يصعب عليك معرفتها بالبحث الشخصي الطويل والتنقيب عن حقائقها

١ تاريخ زرع البرتقال في صيداء

يتناقل بعض المسنين في مدينتنا حديثا عن آبائهم واجدادهم به يزعمون ان اول بزر من البرتقال زرع في بساتين صيداء أخذ من بعض السياح المالطيين . وهاك ما سمعته منهم اسرده بحروفه . رسا في مرفأ صيدا في اواسط الجيل السابع عشر مركب شراعي يقل عددا من نخبة اهالي جزيرة مالطة وجهتهم زيارة الارضي المقدسة ولاشتهار صيداء بالآثار الفينيقية احبوا ان يصرفوا فيها بضعة ايام وكانوا يقصدون غالباً الجهة القريبة من البحر المعروفة بالسبع عيون فهنالك كانت تقر ابصارهم برأى مناظر تلك البقعة البديعة التي تفوق الاماكن المجاورة من البلدة من حيث عذوبة مياهها وحسن موقعها . وكان سكان تلك المحلات يترددون على السياح المذكورين ويقدمون لهم مالاق من الاكرام والخدم . ففي احد الايام اهدى كبير السياح لمواطنينا ثمرا فاخرا ذا رائحة عطرية وطعم لذيذ فشكروا افضاله وطلبوا منه بعض ايضاحات متعلقة بزرع بزر هذا الثمر المدعو البرتقال فلم يبخل عليهم بها فحفظوا بزور تلك البرتقالات التي أهدوها وزرعوها في بساتينهم فاقبلت بعد سنوات قليلة وزكت ونمت نموا عظيما ولم تزل

الشجرات المذكورة على ما سمته من الكتبة بن باقية حتى يومنا تحمل اثمارا (١) ثم صارت الغيرة تحرك اصحاب الارزاق شيئاً فشيئاً لزرع هذا الصنف في املاكهم فحصلت صيداء من ذلك الوقت على بساتين مهمة يضرب المثل بأترنجها سواء كان في البلاد الشامية او الاجنبية

٢٠ كيفية زرع البرتقال

توفق الزراع الصيداوي بعد اختباراته العديدة الى انتخاب بزر الصفير وتفضيل زرعه على سائر البزور نظرا لجودته وحسن اقباله وقد ثبت له بأن الشهر الاكثر موافقة لذلك هو شهر آذار وهاك كيفية زرعه : خذ كمية من الصفير وذرها في المغرس (المسكب) المعين لها وليكن المحل معرضا للشمس وتربته خالية على قدر الأمكان من الحصى وكثير السماد فتنبت بعد شهرين من زرعها وعلى الاقل ٤٥ يوما فدعها تنمو في مغرسها مدة سنتين ثم انقلها باعتناء الى مغرس آخر اكثر اتساعاً وافرز بعضها عن بعض وابقها سنتين كذلك ألا انه اذا كانت ملاحظة التعصيب وسقيه قانونيا مع وجوده في تربة رملية ربما تم في ثلاث سنوات بدلا من الاربع . واخيرا انقل الاغراس افرادا الى المحلات المعينة لزرعها واغرسها بحيث تبعد كل واحدة عن الثانية اربعة امتار تقريبا واتركها على هذه الصورة مدة ٢٢ او ٢٣ شهرا وبعد ذلك تطعمها بالجنس الذي تحبه من البرتقال كالليمون الحامض وجنس يوسف افندي . لكن اذا زرعت بزرا من نوع البرتقال البزري فلا لزوم لتطعيمه لانه يبقى على اصله فتنبت منه اشجار بزرية . اما باقي اجناس البرتقال فاذا زرعت بزورها رجعت الى اصلها الذي أخذت منه اولا وهو الصفير فاذا يلزم تطعيمها

٣ كيفية التطعيم

لايجوز التطعيم الا في فصلي الخريف والربيع وهاك كيفيته : خذ فسيلة (رقعة) من شجرة البرتقال وافتح لها شقاً على قدرها في معلوم « شجيرة » الصفير وأحكم ربطها بقشرة من التوت او الوز ودعها كذلك ثلاثة اسابيع كاملة ثم ارفع الرباط

(١) (المشرق) اذا صح هذا القول لايكون البرتقال قديما في صيداء واهل مراد الكاتب احد انواع البرتقال فقط ومالاشبهة فيه ان طرابلس اشتهرت ببرتقالها منذ القرن الحادي عشر للمسيح كما ذكر ذلك ناصر خسرو في سفره الى الشام . واهل الفرنج تعلموا زرع البرتقال من اهل الشرق

المذكور وبعد ذلك بعشرة ايام اقطع (جم) الغصن فوق رقعة التطعيم بنحو ٧ سنتيمترات وضع في الحال في اعلى المحل المجموع ترابا رطبا على قدر اللزوم خوفا من حرارة الشمس فترى بعد مضي ١٠ او ١٢ يوما فرخاً خارجاً من الجهة المطعمة فيلزم وقتئذ مداراته وربطهُ بسلخة « شلة » كي لا ينسلخ عن امه بل يبقى مرتبطا بها فينمو تدريجا ويبقى على حالة نمو هذه مدة ٢٥ شهرا يمكنك بعد انقضائها ان تجني من اثماره اللذيذة التي تسيك اتعابك باسرها · اما التطعيم في الخريف فانه يكون اساس التطعيم الربيعي المعول عليه فلذا لا ينجم في الخريف بل يبقى وديعا للربيع

٤ الكمية التي تحملها شجرة البرتقال

ان شجرة البرتقال تحمل في السنة الثالثة من تطعيمها « اي الاولى من حملها من عشر ثمرات الى عشرين ثمرة وفي الرابعة اربعين وفي الخامسة مائة وهكذا تدريجا الى ان يبلغ معظم حملها ١٠٠٠ برتقالة سنويا لكنه يوجد بعض اشجار من البرتقال التي يبلغ حمل الواحدة منها الي ثمره وغيرها ٣٠٠٠ ولعل بعضها يناهز ٥٠٠٠ واذا نظرت حينئذ الى هذه الاشجار تراها حاملة هذه الكمية المهمة من الاثمار وهي رافعة اغصانها الكثيفة بافتخار يتلاعب النسيم بين اوراقها الواسعة وهي لا تبدي حراكا كأنها طود شامخ تتجه اليها اعين الناظر فيسبح الخالق ويشكره على نعمه الغزيرة التي منّ بها على الانسان

٥ الأراضي الصالحة لزرع البرتقال وكيفية سقيها (١)

ان تربة بساتين صيداء قد أحكمت فلاحتها ونظفت من الحصى فلذا تراها على وجه العموم صالحة لزرع شجر البرتقال وهي تقسم الى ثلاثة اقسام منها اراضي رملية ومنها حمراء ومنها سوداء اما الاراضي البيضاء فغير صالحة لذلك لانها لا تطلب ماء

١ً فالرملية هي الاراضي المجاورة للبحر تصلح جدا لهذا الصنف وبرتقالها فاخر طيب يعطي ثمراً قبل باقي اشجار البرتقال الا انه اذا بقيت اثماره على الاشجار مدة طويلة ييبس فتذهب طراوته ولا لذة لآكله · اما سقيه ففي كل ثمانية ايام مرة واحدة اعتبارا من اول حزيران الى آخر تشرين الاول وعلى البستاني ملاحظة مسئلة السقي

(١) ان البلاد التي يكثر فيها تساقط الثلوج لا تصلح اراضيها اصلا لزرع هذا الصنف لان الثلج والبرد الشديد يضران بنموه

خاصة في شهري تموز وآب

٢ الأراضي الحمراء هي اراض متوسطة تصلح للبرتقال لكنها ليست كالاولى من حيث التربة واثمارها من الدرجة الثانية نظرا الطعم ولطول مدة الاقامة ويلزم سقيها مرة في كل عشرة ايام

٣ الاراضي السوداء كثيرة في سهل صيداء واشجارها تحمل حملا وافرا واثمارها لذيذة غاية في الحلاوة يمكن تركها على الاشجار الى منتهى حزيران ينقل منها الكثير الى الخارج ومدخولها ليس بقليل الا انه يلزمها اعتناء ومصاريف وافرة وهي تسقى مرة واحدة كل ١٥ يوما

٦ اجناس البرتقال

تعددت اجناس البرتقال وكثرت انواعه لكن يمكن حصره في ١٢ جنسا لكل واحد منها ايضا اقسام مختلفة وهي هذه :

١ (الايطلي) هذا هو الجنس الاصلي الذي منه اخذت البزور وصارت على تمادي الايام وتغيير التطعيم واختلاف الاراضي تتنوع اشكاله وصفاته. ثمره مستدير واسع لانكتة (طبعة) له في اسفله. اما شجره فقد اصبح نادرا ولعل صنفه يفنى بعد بضع سنوات ولا يبقى منه في بساتين صيداء. واحسن اثماره ما كان به نكتة بيضاء. والأهالي تطلق عليه الآن اسم البزري

٢ البزري سمي كذلك لكثرة بزره وهو ذو شكل مستدير كبير الحجم ويكون على نوعين بلدي وماوردي وكلاهما يعد من احسن اجناس البرتقال فهو لذيذ الطعم فاخر طويل الاقامة تبقى اثماره على الشجر حتى اوائل نيسان - زرعه مرغوب جدا نظرا لوفرة حمله وكثرة ايراده

٣ (البلدي) وهو على ثلاثة انواع ناعم وماوردي وخشن. الاول ما كانت قشرته ملساء ناعمة وهو مفضل على النوعين الآخرين. والماوردي دون الاول في الطعم لكنه ذو شكل بديع يتوق لرؤيته الناظر. اما الخشن فقشرته غليظة به كثير من اللب واصحاب الاملاك يقلعون منه كثيرا لانه لاطلب عليه من الخارج ويستعيضونه باشجار من البلدي الناعم وعما قليل لايعود له اثر ما بين باقي الاشجار

٤ (الشموطي) هو برتقال طويل ذو قشرة رقيقة ثمره لذيذ الطعم واشجاره

تأتي باثمارها قبل بقية اجناس البرتقال . وهو على ثلاثة انواع بلدي وماوردي ويافاوي فالبلدي ثمره مائي طيب الذوق يرسل منه في اوائل الخريف قسم وافر الى بلاد الانكليز على مراكب شركة يونس لين فيصلها سالماً من دون ان يلحق به ضرر البتة . والماوردي أشجاره قليلة لكن اثماره لذيذة لغاية لاسيما اذا ابقيت الى اواخر الشتاء . اما اليافاوي فأصل طعمه من يافا اثماره ناشفة جداً لا لذة له ولا طراوة حتى لو قطعت الثمرة الواحدة اجزاء متعددة لايسقط منها نقطة ماء . فاذا اهالي يافا يسمون برتقالهم هذا ببرتقال السيدات لأن الآكل منه لاتتسخ يداه بل تبقيان نظيفتين على الاطلاق

٥ (الختملي) سمي كذلك لأنه ينظر في اسفله طبعة مستديرة اشبه بالختم وهو على نوعين بلدي وشموطي وهذا البرتقال مائي كثير الحلاوة يفضل اهل الثغر اكله على غيره . اما الوقت المناسب لقطفه والتناول منه فهو في شهري كانون الثاني وشباط

٦ (الماوردي) لون هذا الجنس من البرتقال احمر على شبه لون الورد ممسك الرائحة مائي بديع الشكل يحمر في اواسط الشتاء لكن اذا بقي على الشجر الى نيسان يرجع فيبيض . واذا تركت بضع برتقالات منه في حجرة محكمة القفل مدة خمسة ايام ثم فتحتها بعد ذلك انبعثت للحال منها رائحة عطرية تبقى منتشرة مدة طويلة في ذلك المحل . وهذا هو افخر اجناس البرتقال الصيداوي يشعر الآكل منه بحلاوة لذيذة لاتعادلها حلاوة وبطعم ممسك لايعرف قدره الا من ذاقه اذا وضع على موائد الملوك والأمراء يكون له المقام الاول مابين سائر الفواكه فلا يمل الناظر من رؤياه لما صبغته به الطبيعة من الحمرة القانئة . ويرسل منه قسم كبير الى الاستانة العلية والى بلاد الانكليز والى جهات أخر من سورية كبيروت والشام وخلافها . وهو ايضاً على ثلاثة انواع بلدي وشموطي وساقصاني

٧ (السكري) هذا الجنس دون باقي اجناس البرتقال سواء كان في الطعم او في طول الاقامة لاطلب عليه من الخارج واشجاره قليلة وزرعه غير مرغوب

٨ (يوسف افندي **Mandrine**) كثر في مدينتنا تطعيم اشجار الصفير بطعم يوسف افندي في هذه السنين الاخيرة نظراً لرواج سوقه وهو على نوعين بلدي وماوردي وهو ذو طعم لذيذ احسن انواعه ماكان رقيق القشرة قليل البزر تحمل الشجرة الواحدة

منه من ٥٠٠ الى ٩٠٠ ثمرة ومعظم حملها التي ثمرة يزكو زرعه كثيرا في الجهات القريبة من النهر الاولي ويصلح للاكل في اواسط الشتاء ويفضله البعض على البرتقال من حيث سهولة هضمه ولجمعه بين الحلاوة والحموضة

٩ (الهندي) هذا الجنس يصلح فقط للمربى حمله قليل ولونه ضارب الى الصفرة يبقى على طراوته زمنا طويلا بعد قطفه وهو كبير الحجم مستدير وهو على نوعين ايضا شموطي وبلدي والاول مفضل على الثاني

١٠ (الحلو) هو شكل واحد احسنه مازرع في ارض ترابية سوداء وقد كان زرعه مستحبا في بساتين صيداء الا انه منذ عهد ثلاثين سنة قلّ الاقبال عليه من الخارج فأخذ اصحاب الاملاك يقلعونه فقلع اكثر من نصف اشجاره واستبدلت باصناف اخرى من البرتقال مع ان هذا الجنس غاية في الحلاوة والنفعة كان الاهلون يطلقون عليه اسم باتزهر

١١ (الحامض) يوجد من هذا الجنس في صيداء في اي وقت طلبته ويباع باسعار بخسة للغاية في الشتاء ثم يتعالى سعره قليلا في الصيف اذا قطفت اثماره وهي خضراء تبقى محفوظة مدة طويلة وهو على نوعين مغازلي ومراكبي ويصدر من الاول كميات وافرة الى الاستانة العلية والى اوربا والقطر المصري

١٢ (الكباد) وهو على نوعين بلدي وشامي فالبلدي مفضل على النوع الثاني يستعمل للمربيات

٧ آفة البرتقال (الضربة)

في اواسط شباط سنة ١٨٧٦ كان الشتاء شديدا جدا اشبه بشتاء سنتنا الحالية فانحدرت الثلوج بغزارة قوية وقرس البرد كثيرا الى ان هبطت درجة ميزان الحرارة الى تحت الصفر و كان اذ ذاك علو الثلج المتساقط في صيداء وما يجاورها اكثر من ذراع فتضررت من جرائه المزروعات ويبس قسم من الاشجار كاللوز والمشمش والبرتقال . وفي السنة التالية اصاب اشجار البرتقال آفة انزلت باصحاب الاملاك اضرارا فادحة وجعلت مداخيل اراضيهم لاتقوم بمصاريفها . فلما رأت الحكومة السنية ما حل من الخسائر العظيمة بالملاكين الصيداويين ارسلت من قبلها معتمدين ترافقهم لجان طبية للبحث عن هذه الآفة والاخذ التحوطات لمنع سريانها الى الاشجار السليمة . فبعد الفحص المدقق قرروا استعمال الوسائط الآتية لأتلافها وهي ان تطلى الاشجار المضروبة

بزيج من عصير التبغ او التنباك او البترول او بمطول من كبريتات الحديد او النحاس او بالبترول والماء مع قليل من الصابون المذوب . لكن بعد الامتحانات العديدة لم تأت هذه الادوية بالنتيجة المطلوبة وناهيك عن المصاريف التي تكبدها الملاكون بأدوية أخرى لم يحصل منها كذلك فائدة البتة الى ان ثبت لهم اخيرا بأن التقلبات الجوية هي وحدها قادرة على ابادة هذه الآفة تدريجا . اماسببها فهو مكروب رمادي اللون يتسلط على الشجرة فيضرب اثمارها ويعدمها رونقها وهو يختبئ في جذع الشجرة ويسري سمه الى الاغصان ومنها الى الثمر ولا يبارحها قبل ان يفتك بها فتكا مريعا حتى يعدمها الثمر وفي النهاية لاتعود الشجرة تصلح الا للنار ولله الحمد قد خفت وطأة هذا الداء منذ ثماني سنوات والامل بان يزول تماما عما قريب تاركا للملاكين شاهدا على سوء عمله بما خلف من آثار الخراب في بساتينهم

٨ الاضرار التي تلحق بأشجار البرتقال

ان شجرة البرتقال اذا اعتنى ارباب الفلاحة بامر زرعها وسقيها قانونيا تعيش فوق ٢٥٠ سنة لانه لم تزل حتى يومنا باقية الاشجار التي زرعت اولا في مدينتنا وهي اليوم في حالة مرضية تحمل ثمرا اما الاحتياطات التي يلزم اتخاذها لمداراة البرتقال فهي اولا رفع جدران البساتين المطلة على الطريق لان الغبار المتصاعد منها يؤذي الاشجار المزروعة على الجوانب فلذا لوحظ بان الاشجار المتطرفة تعيش اقل جدا من المغروسة في الداخل واثمارها صغيرة الحجم . ثانيا الاعتناء بسقيها قانونيا حسب نوع الاراضي كما بينا ذلك آنفا . ثالثا عدم زرع البقول والخضرة بين الاشجار لانه يؤخر نموها ويقلل حملها وسببه كثرة المياه التي تلزم للخضر في كل يوم من ايام القيظ خلافاً للبرتقال الذي لا يلزم سقيه الا قانونيا . رابعاً فرش السماد على قدر لزوم الاراضي في ايام الخريف

٩ منافع البرتقال

سل ايها القارئ اللبيب المسافرين الى صيداء برا او بحرا في هذا الفصل الربيعي عن الروائح العطرية المنبعثة من بساتين مدينتنا فيجيبوك انهم يتنشقون بشذاها قبل وصولهم الى صيداء باربع ساعات وكلما اقتربوا من المدينة تزداد روائح الزهر الزكية فتنشط قواهم خصوصا عند الصباح فيصبح مستنشقها ثملا مدة ذلك النهار منشرح الصدر خالي البال منتعشا من عرفها اللذيذ . وفي هذه الايام البديعة تتسابق الاهالي

زرافات زرافات قبل بزوغ الفجر للنيروز فتقضي بضع ساعات خارج البلدة متمتعة باطيب الروائح واذكاها فتدخل البساتين وتقطف من ازهار الصفير والبرتقال وتجمع منهـا ما لذ لها وطاب وتحضرها الى منازلها وتحفظها في قاعات الاستقبال فيتعطر المكان من رائحتها حتى يخال للداخل اليه انه في جنة غناء. لكن حذار من ابقائها مدة طويلة في قاعات النوم ام تركها بها ليلا لأن عرفها القوي يضر بالنائم فتتخدر اعضاؤه ويشعر عند استيقاظه بارتخاء في جسمه ربما تولد له منه ضعف شديد

ويكثر في شهري شباط وآذار الاقبال على زهر الصفير لأن الاهالي تستخلص منه ماء فوائده معروفة شائعة في البلاد السورية وخلافها وها اننا نلخص في هذه المقالة بعضها : ان ماء الزهر ينتفع به المصابون بالقبض والمرضون لاوجاع المعدة. وكذلك يفيد افادة جزيلة لشفاء الصداع والداء المسبب من تلبك المعدة فاذا تناول المصاب من هذه خلاصة الزهر مقدار فنجان صباحاً قبل الأكل ممزوجاً بقدح ماء بارد على مدة عشرة ايام متوالية شفي من سقمه الشفاء التام . واذا ادنيت من فم المغشي عليـه قليلا من هذا ماء الزهر ينتعش حالا ويهدأ خفقان قلبه وسري عنه وانكشف كربه . اما الحلويات على اختلاف اجناسها فانها اذا مزجت بشيء من هذا الماء تحسن طعمها واكتسبت رائحة ذكية تجاب للمتناول منها القابلية . ولماء الزهر ايضا فعل في التشنجات العصبية . وقد اصطلح الاطباء على صنع صبغة من قشر الصفير غاية في الافادة يضيفونها الى بعض من الادوية بصورة شراب فيقبلها المريض اذ ذاك بطيبة خاطر ويسر بطعمها ويداوم على شربها بالرضى. واطباء مدينتنا يصفون للمرضى بالحميات الثقيلة مص البرتقال لأن منه تترطب المعدة وتتخفف اوجاعها . وقد افادنا الثقة ان اطباء لندن وليفربول يصفون في بعض الاوقات البرتقال الصيداوي لمرضاهم. وقد جرب الكثيرون من مواطنينا ورق الصفير المغلي فوجدوا منه فوائد عظيمة للمصابين باوجاع المعدة المزمنة

اما منفعته لاهالي صيداء عموماً فهي ظاهرة للعيان اذ انه منذ ابتـداء موسم البرتقال الى حد نهايته قلّما ترى اعراضاً شديدة في مدينتنا خاصة بين القـاطنين في البساتين . وقد اكدلنا كثيرمنهم بان الذين يكونون مصابين بامراض في الصيف تزول عنهم تماماً في الشتاء والربيع لمداومتهم على اكل البرتقال. وقد اعتاد الاهلون حفظ قشر البرتقال فييبسونه حتى اذا اوقدوا ناراً في الشتـاء وخافوا مضرة رائحة الفحم وضعوا منه قليلا في النـار فتنبعث منه في الحجرة رائحة عطرية تبطل اذى الفحم .

والاطباء يدخلون قشر البرتقال في تركيب بعض الادوية وهو ذو فائدة كبرى اذا غلي منه قليلا وتناوله المصاب باوجاع الرأس فيتخفف الألم عنه تدريجا ٠ والمعامل الاوربية المشتهرة باستخراج العطور المختلفة الاجناس تفضل البرتقال الصيداوي على غيره فتستخرج من القشر ماء عطريا له المقام الاول ما بين الطيوب الاوربية

١٠ الشرابات التي تصنع من البرتقال

احب قبل ختام هذا الموضوع ان تقف ايها القارئ الكريم على صنع بعض الشرابات والمربيات من البرتقال والصفير كي تنشأ فيك الرغبة في زرع هذا الصنف المهم فتعتني به لارضك نظرا لمنافعه العديدة

(شراب البرتقال) ذوب مقدار رطل سكر على النار في قليل من الماء ودعه يبرد ثم اعصر عشرين برتقالة وامزج عصيرها الصفي مع القطر (السكر) وحركه قليلا ٠ اخيرا حف (ابرش) قشر برتقالتين واعصرهما بخرقة نظيفة وما استخرج منها تضعه للشراب المذكور واختم الزجاجة التي تودعها هذا الشراب ختما محكما وعندما ترغب التناول منه خذ مقدار فنجان ونصف لكل قدح من الماء وحركه قليلا واشرب هنيئا مريئا فيترطب منك الفؤاد ويبتعد عنك العناء اذا كنت قادما من سفر طويل او مصاباً بألم في المعدة ٠ وقد اصطلح اهالي الثغر تقديم هذا الشراب لزائرهم صيفا

(شراب الصفير) ان شراب الصفير يعمل كشراب البرتقال الا انه عند عصر كل ليمونة منه يلزمك غسل يديك وتنظيف السكين لئلا يمر طعمه وضع لرطل السكر ١٢ ليمونة عوضا عن عشرين ٠ وهذا الشراب ينتفع به كثيراً المصابون بالدوران او بانقباض الصدر خصوصاً اذا شرب صباحا

(شراب الحامض) ان هذا الشراب يعمل كشراب البرتقال ايضاً الا انه لرطل من القطر اعصر فقط ثماني حبات ولا تضف هذا العصير مع القطر الا بعد ان يبرد تماما لئلا تصير طعمته حامضة ولهذا الشراب افادة كبيرة للمصابين بالاسهال وللمعرضين لاوجاع المعدة

١١ المربيات

(مربى زهر الصفير) ان اردت عمل هذا المربى اقصد صباحا بستاناً يكثر فيه هذا الجنس وانتخب الزهر المتفتح واجمع احسنه واحضره لمنزلك ونق الورق فقط

دون الزهرة الداخلية وانقعه في الماء مقدار ساعة ثم اجعله في ماء غال واتركه على النار يستوي تماما ثم صفه حسنا وضعه في عصير الحامض المختمر مقدار ساعتين او اكثر حتى يصير لونه ابيض واخيرا كب الحامض وعد فانقع الزهر في الماء البارد حتى يحاور تماما ونشفه بعد ذلك بخرقة خفيفة واسكب عليه القطر الذوب باردا . وفي اليوم الثاني ترى ان الماء قد نضح منه فأزله ثم زد له قطرا واعد هذه العملية اربعة ايام متوالية في نهايتها تعود تغلي المرق قليلا على النار مقدرا بالقدر وتضعه بعد ان يبرد بآنية زجاجية فيبقى بها محفوظا زمنا طويلا . وا تغذ على هذا المربى ايها الطالع اللبيب واعد منه لاصحابك الاعزاء وكلما شعرت بضيقة صدر او بترخ في جسمك متأت من تعب في المعدة خذ منه قليلا فتشعر للحال براحة تامة

(مربى الصفير الاخضر) اجمع من بستانك صغار الصفير ولتكن الواحدة منها اصغر من الجوزة واخلع عنها اللب بمقورة خصوصية واعملها باعتناء ونظافة تامة واسلقها باناء نحاسي (طنجرة) غير مبيض (لان التبييض منها يسود لون هذا المربى) واضعاً قليلا من الملح في الماء المغلي ودعه على النار تغلي الى ان تقارب الاستواء ثم انزلها عن النار وخذ كل واحدة من هذه الاثمار وضعها في ماء بارد محلى وغير هذا الماء ثلاث مرات في النهار معتنيا بتنظيف كل حبة بمفردها غاية الاعتناء وواصل هذه العملية الى ان تحاور الحبوب (ولعله يلزم لذلك مدة خمسة او ستة ايام) واستحضر في نهاية المدة المذكورة مقدار رطل واربعة اواق سكر (لكل مئة حبة) وبعد ان تغليه على النار تدعه يبرد وقتا قليلا ثم تسكبه على المربى وفي اليوم الثاني تزيل عنه مانضح من الماء وترجع فتزيده قطرا وتتركه الى اليوم الثالث وفي اليوم الثالث تعود للعملية ذاتها ثم تغليه على النار مع القطر مقدار نصف ساعة وتضعه بعد ذلك في الآنية المجهزة لذلك . وننصحك ايها الصديق ان لا تقدم من هذا المربى الفاخر الذي يكافئك عناء وافرا الا لمن تعزهم جدا

(مربى قشر الصفير) خذ الصفير الذي ترغب صنعه مربى وقص الواحدة خمس او ست قطع ثم اجعلها بخيط وانت اذ ذاك كل واحدة منها لفا محكما واسلقها بماء مغلي مقدار نصف ساعة ثم دعها في ماء بارد وغير عنها هذا الماء مرارا عديدة الى ان تحاور تماما (راجع عملية مربى الصفير) ودعها تنشف بعد ذلك واخيراً انزع عنها الخيطان ثم صب عليها السكر الذوب وفي اليوم الثاني ترى انها نضحت ماء

فتراجع حينئذ العملية المصطلح عليها اربي الزهر

(مربى الكباد) يعمل تماما كربى قشر الصفير الا انه لاحاجة بان ينظم بالخيط كالاول وكذلك عملية مربى الليمون المندي

(مربى قشر الحامض) انتخب الحامض المراكبي الزجعي وحف قشره واعصر حامضه ودعه جانبا وقطعه فيما بعد قطعا صغيرة واسلقه بماء مغلي وانقعه بعدئذ بالماء البارد ساعتين حتى يحلو تماما ثم صفه من الماء ونشفه بخرقة بيضاء خفيفة . واخيرا اغل السكر واجعله فيه ودعه يغلي وقتا يسيرا وضعه بعد ان يبرد في الآنية الزجاجيه المخصصة له

انني قد اخذت الافادات التي ذكرتها في مقالتي هذه عن مصادر يوثق بها وتحاشيت على قدر الامكان التطويلات المملة لانه لو اردت تعداد كل ما سمعته عن البرتقال ومنافعه للزم لذلك مجلد كبير وفي الختام اطلب من حضرات القراء الكرام اسبال ذيل المعذرة عما رأوه من الخلل والنقصان في هذه المقالة فان العصمة لله وحده

وقد ذيل هذه المقالة المشرق فقال بان صيدا تصدر بنحو مليون فرنك من الليمون وقد كتب ذلك الكاتب نفسه مقالة مفيدة في الثمر المعروف بين الاهلين بأيكي دنيا وقد يقال له يكي دنيا اي الدنيا الجديدة واصطلح عليه الكتاب (اكدونيا) وقد كثر غرسه في صيدا وهو يعد ثاني الليمون بين فواكهها وهاك ما كتبه عنه في العدد الحادي عشر من السنة الثامنة من مجلة المشرق صفحة ٤٩٨

شجر كثر زرعه في مدينتنا صيداء وتسابق الملاكون لغرسه في حدائقهم وبساتينهم نظرا لوفرة دخله ولذة طعمه وكثرة نفعه . ورقه مستطيل مروس في طرفه . يضرب لونه الى الخضرة القوية . ثمره لذيذ للغاية يطيب طعما كلما ازداد استواء فهو اذ ذاك اشبه بسكر ذويت فيه قطيرة من الحامض الخفيف . ولون هذا الثمر اذا قارب الاستواء اخضر يضرب الى الصفرة اما المستوي منه فكهربائي . يبلغ حجم الحبة قدر الجوزة واكبر . بعضها يحتوي نواة واحدة وبعضها نواتين وغيرها ثلاث نوى وقليل منها اربعاً . زهره ابيض الى صفرة يكون ذا رائحة ذكية يزهر في النصف الثاني من شهر ايلول ويبقى كذلك الى ان يتم عقده في شهر شباط . ويعلو شجره كثيرا ويصل بعضه الى ستة امتار وربما زاد عن ذلك خلافا لما جاء عنه في قاموس القواميس للعلامة جيرين

الافرنسي Guèrin القائل بأن الشجر المذكور وهو يلقبه باسم نفل Nèflier يبلغ علوه مايقارب اربعة امتار فقط ٠ وقد جاء في دائرة المعارف للمرحوم المعلم بطرس البستاني ما ملخصه ان كلمة Nefle تطلق على نوع من الزعرور وهو نبات حشيشي تعلف به البهائم (١) ـ ولم نجد في المعاجم العربية كلمة خصوصية لهذا الشجر ـ اما العامة فأنهـا تطلق عليه اسم (ايكي دنيا) مشتقاً من التركية (يكي دنيا) ومعناها (الدنيا الجديدة) والمصريون يلقبونه بهذا الاسم (مشملا) وترجمته بالافرنسية هكذا نفل اليابان Nèflier du Japon ولعل اصل بذوره من اليابان

ونظرا لكثرة شيوعه في مدينتنا احببت ان افرز له مقالة خصوصية اتكلم بها عن كيفية زرعه والاراضي الصالحة له والاعتناء اللازم لتحسينه علها تفيد قراء المشرق الكرام فتحركهم الغيرة لغرسه في اراضيهم فيجتنون منه دخلا وافرا يعوض عليهم اضعاف ما صرفوا في سبيله من الاعتناء القليل

١ تاريخ زرع الاكدونيا في صيدا

في اواسط سنة ١٨٥٩ قدم صيداء من مدينة ازمير بعض اللاحين ومراكبهم الشراعية مشحونة باصناف البضائع فبعد ان افرغوا وسقهم توجه ربان السفينة لزيارة احد الملاكين الاغنياء من ادباء المسلمين يدعى خليل افندي كشتو يحمل اليه بعض بزور من الاكدونيا فقبلها الافندي المومأ اليه بطيبة خاطر وسأل القبطان مستفيدا منه عن زرعها فافاده عن ذلك وبعد ايام ارسل بعضها لوكيله ليزرعها في احدى بساتينه على سبيل التجربة وقدم الباقي لأصحابه ٠ وقد اعلمنا الثقة بان اول بزرة زرعت منه كانت في بستان طنطور خاصة آل القطب الكرام وقد اصبحت شجرة عظيمة لم تزل حتى الآن باقية تحمل افخر الثمر يكنيها الملاكون باسم «ام الشجر» امـا الذي حرك الاهالي على زرع هذه البزور والاهتمام بامرها فكان الشيخ الجليل محمد افندي صالح لطفي الذي كان مشتهرا في مدينتنا بفضله وكرم اخلاقه وتفانيه في محبة العموم فاستحضر كثيرا من البزر المذكور وقدم منه لاصحابه العديدين وبين لهم فوائد زرعه في اراضيهم فنجحت مساعيه واتت بالنتائج الحسنة واصبحت صيداء تتفاخر بهذا الثمر الذي احرزها مدخولا كبيرا يتزايد من سنة الى اخرى ومونها بفاكهة تتباهى بها على ممر الأيام

(١) ومن حيث انه من فصيلة الزعرور رأينا بان بعض المعاجم تترجم Nèflier بكلمة زعرور

في السنة الرابعة لزرع البزور المتقدم ذكرها كبرت واحدة منها واعطت بعض اثمار لكن البستاني واهله لم يجسروا من اكل اثمارها خوفا من ان تكون ضارة فتركها تتساقط على الارض غيرمكترث لها الا ان ولدا له حديث السن مرّ امامها واذ رآها بهية المنظر تناول واحدة منها ووضعها في فيه فوجدها طيبة فألحقها بثانية وثالثة. ولما كان يهم بالتقاط غيرها مرت والدته صدفة وانتهرته قائلة: «ويلي عليك ياولدي انك مائت لا محالة. من الذي دلك على الاكل من هذه الاثمار المسمومة» . فارتعب الولد عند استماعه كلام والدته وعلا وجهه الاصفرار خوفا فاخذته امه حينئذ للفراش وبقيت مع والده والحيرة تعتني بامره سحابة الليل زاعمة بان ما اكله يكون سببا لهلاكه . اما الولد فلم يشعر بانحراف على الاطلاق ولم يتشك من ألم ما البتة وقد صرح بذلك مرارا لوالديه لكنهما لم يصدقا كلامه الا بعد ان احضرا له الطبيب الذي اكد لهما بان الولد في تمام الصحة والثمر الذي اكل منه هو غير مسموم بل هو ثمر جيد صالح الغاية ومن ذلك الحين صار الأهاون يتناولون من اثمار الانكدونيا بطمأنينة وحدث بهم الغيرة لزرعه في اراضيها (١)

٢ كيفية زرع الانكدونيا

لايحتاج زارع بزور هذا الجنس الا الاعتناء الكبير في امرها لان امر زرعها غاية في البساطة وهاكها مفصلا: خذ من هذه البزور في اي وقت شئت وفصل الربيع انسب الى ذلك وذرها في الارض ودعها الى ان تنمو في مغرسها لكن عليك بأن تكثر من سقيها وليكن ذلك اولا مرة كل ثلاثة ايام على مدة خمسة عشر يوما ثم مرة كل عشرة ايام وهلم جرا. وبعد مضي اربعة اشهر على حسب اللزوم والفصل الذي زرعت به لأن نموها وتحسين نوعها متوقف على كثرة سقيها ولا تنقلها من مغرسها الا بعد مضي سنتين كاملتين عليها . لكن اربابا من الملاكين رأوا بالاختبار بان لاحاجة لزرع البزور في المغارس بل اعتادوا منذ بضع سنوات على تركها تتساقط تحت شجرها فتنبت من تلقاء نفسها . وبعد ان تصير اغراسا كبيرة ينقلونها حينئذ للمغارس وقد لوحظ بانها تكون اسرع نموا . . . وقد رأينا رأي العيان قديما من هذه الاشجار في احدى البساتين العامرة

(١) واول من زرع من هذه البزور داخل المدينة هو المرحوم الفاضل الاخ ماسي Fr. Massi اليسوعي في دير حضرات الآباء اليسوعيين القدم وكان ذلك في سنة ١٨٧٣ وقد بقيت حتى الآن الشجرة التي زرعها وقد كان رحمه الله يهتم بامرها جدا وقد افاد الكثيرين بعلوماته

وازمة تحت حملهـا لكثرة ثمرها وما كان منها كبير الحجم يفضل على المزروع بزرا في المغارس (١)

عليك اذاً بعد مضيّ سنتين على البزور في المغرس ان تنقلها الى المحلات المعينة لها معتنيا بسقيها قانونيا(٢) وبكثرة اذا امكن. والاولى ان يوضع حولها رمل بدلا من السماد وهو اوفق لها ويعجل نموها. . . وقد لاحظنا بان الاشجار التي لاتصلح بالرمل يبطئ نموها فيحسن بالملاكين اذاً ان يجلبوه على جذوع الشجر المذكور اذ بذلك يحصلون على دخل زائد بوقت قريب. اما الاراضي فانها كلها على اختلاف تربتهـا صالحة لزرع هذا النوع بشرط ان تكون قريبة من مجاري المياه اما الفلاحة فغير لازمة لها على الاطلاق لابل تسبب لها اضرارا جمة وتمنع نموها

٣ الكمية التي تحملها شجرة الانكدونيا

في هذه الايام الربيعية يكثر حمل الانكدونيا فترى اشجاره حاملة العناقيد كانها الزمرد المنظوم يبتهج الناظر بمرآها البديع عن بعد وكلما اقترب منها ازداد رغبة وتشوقا للتأمل بحسنها الآخذ بمجامع القلوب. يرى اخضرار اوراقها واصفرار اثمارها والنسيم يتلاعب في اغصانها وهو لايستطيع الى تحريكها سبيلا بل يتمايل مابين افنانها محركا رؤوسها الشامخة. هذه هي مناظر الاشجار المزروعة من ثلاثين عاما وما فوق. اما حملها فيتراوح مابين الاربعين الى السبعين رطلا وربما زاد على ذلك حتى يبلغ الى مئة رطل لاسيا اذا جعلت فوقها الشبك (وقاية لها من آفات الطير والوطواط) . اما الرطل من هذا الجنس فلا يباع في المدينة بأقل من ستة غروش واذا ارسل الى بيروت وغيرها يباع الرطل بتسعة غروش واكثر لما ثمر الاشجار التي ليس يقيها الشبك فلا لذة له لأنه يقطف قبل نضجه فيباع رطله بغرشين ونصف ولربما لزم صاحبه ان يبيعه باقل من ذلك

٤ الانكدونيا المشبكة

ان بساتين صيداء تكتنفها من الجهة الشرقية بعض القرى اللبنانية في سفح تلك القرى مغاور كثيرة حفرتها اصحاب الاملاك في تلك الجهات لقطع حجارتها فبقيت

(١) تعيش هذه الاشجار في المحلات الباردة والحارة على حد سوى لكنها تكون قصيرة العمر في الاماكن التي يكثر فيها سقوط البرد (٢) لايوافق سقي هذه الاشجار بمياه الآبار المالحة لانها تقلل حلاوة ثمرها

منذ زمن طويل مفتوحة لم يهتم احد باعادتها الى حالتها الاصلية فلذا اصبحت مأوى للوحوش الضارية وخصوصا للوطاويط والطيور المضرة باثمار البساتين كالانكدونيا والمشمش والخوخ وخلافها فرجاؤنا من الحكومة السنية اصدار اوامرها لسد هذه الكهوف حبا بالمنفعة العمومية. ويا حبذا لو حتم على الملاكين بان يجمعوا عددا معلوما في كل سنة من الوطاويط والطيور المتلفة للاثمار فبذلك تزداد المداخيل ويتوفر على الاهالي مصاريف مهمة

فالتشبيك اذاً لازم للاشجار المذكورة لان الوطواط يقصد الثمر المستوي ويأكله بنهم فلهذا اعتاد الملاكون على مشترى شباك خصوصية يقون بها اشجارهم من اذى الوطاويط والعصافير والواحدة منها تكلف مايقارب الثلاثين فرنكا. اما الاشجار الخالية من الشبك فيلتزم اصحابها لقطف اثمارها قبل نضجه وبيعه باثمان بخسة. واول من اهتدى لتشبيك هذه الاشجار هو الشيخ الجليل المتقدم ذكره المرحوم محمد افندي صالح لطفي فكان يضفر اولا النخل ويجعله على شكل حصيرة ويلف به الشجرة ليحميها من مضرات الطيور وفيما بعد توصل لوضع الشباك فاتت بالنتائج المطلوبة. وقد يعدل الخبيرون بأن ربع الاشجار المذكورة مشبك والباقي بدون تشبيك

٥ مدخول الانكدونيا

في شهري نيسان وايار تقطف اثمار الانكدونيا فيباع منها في المدينة مايقارب الربع والثلاثة الارباع الباقية ترسل الى بيروت وصور وعكا وحيفا والشام وطرابلس ويرسل قليل منها الى الاسكندرية وقد عدل الصادر منها على الصورة الآتية:

بيروت يرسل اليها يوميا من اربعين الى ستين سحارة بين مشبك وغير مشبك في كل واحدة منها عشرة ارطال يتراوح سعر الرطل من الجنس الاول من السبعة غروش الى العشرة ومن الثاني من الثلاثة الى الاربعة غروش. اما معدل مايرسل لسائر الجهات يوميا فيبلغ من الثاني الى الاربع عشرة سحارة ويقارب المدخول السنوي من هذا الصنف الفين وخمسمائة ليرة وعما قريب يتزايد كثيرا خصوصا اذا بقيت الاهالي راغبة في زرعه لانها اهملت زرع المشمش والبرتقال والرمان واستعاضت عنه بزرع الانكدنيا نظرا لمكاسبه الرابحة وقلة مايحتاج من الاعتناء

٦ ملاحظات مهمة لتحسين مزروعات الانكدونيا

قد اختلفت انواع الانكدونيا باختلاف تربة الاراضي فترى منها الآن اجناسا متعددة لحبوب بعضها مدور كبير وغيرها صغير كثير الحلاوة وقسم منها مستطيل وغيره مفلطح

اما محمول هذه الأشجار فان الشجرة منها على اختلاف اجناسها تحمل في السنة الرابعة (وهي الثانية بعد نقلها) نصف رطل وفي الخامسة رطلا وفي السادسة رطلين وثلاثة واكثر وهلم جرا. وقد يوجد بعض من الاشجار قليل الحمل وذلك ينتج خصوصا من زرعه في الامكنة الغير معرضة للشمس. فعليك اذاً بنقله الى موضع يناسبه واياك من غرس هذه الاشجار في المحلات الوارفة الظل وفي الامكنة البعيدة من المياه او حيث يكثر الخلد والناوش فواحد من هذه الاسباب كاف لتقصير عمر الشجرة وتأخير نموها. وعند نقلك الانصاب الى المحلات المعدة لها انظر الى عمق الحفرة (البيش) لئلا يزيد على شبرين

٧ تطعيم الانكدونيا

لعل البعض يأخذهم العجب من كلامي عن تطعيم الانكدونيا لتحسين جنسه لكني توصلت لمعرفة هذا الامر من اناس خبيرين محنكين في الامور الزراعية فاذا انصح الملاكين الذين يشكون ضعف اشجارهم وقلة نموها بان يتبعوا الطريقة الآتية لتحسينها وزيادة دخلها . . خذ فسيلة من شجرة مشهورة بزيادة حملها وحسن ثمرها وافتح لها شقا على قدرها في الشجرة الضعيفة واحكم ربطها ودعها كذلك مدة عشرين يوما ثم ارفع رباطها وبعدئذ اتبع الخطة المصطلح عليها في تطعيم شجر الصغير من البرتقال وبعد هذا الاختبار تتأكد صدق مقالي وتتذكرني بالخير

٨ منافع الانكدونيا

ان هذا الثمر من شأنه ترويق الدم وزيادة شهوة الطعام ينتفع باكل المستوي منه المصابون بالقبض وهو سريع الهضم لايستثقل الآكل منه وان اكثر. وان احببت ايها المطالع اللبيب حفظه فاجعله مربى على الصورة الآتية : اجمع من الانكدونيا المقاربة الاستواء. ثم اعقد لها على النار رطلا من السكر في ثلاثة ارباع ليتر من الماء وبعد ان

يصير قطرا اجعل فيه الانكدونيا على قدر رطل ام اكثر بقليل ودعها مع القطر تغلي على النار مدة عشر دقائق ثم انزلها وضعها حينئذ في الآنية المعدة لها

اما الملام (الجلاتينا) فيعمل اعتياديا هكذا: خذ من الانكدونيا المستوية واسلقها بالماء بعد نزع بزورها ثم اعصرها جيدا في قطعة من الشاش واحسن تصفيتها ثم خذ العصير الخارج منها وضعه على النار مع ثلاث اواق من السكر الناعم لرطل من العصير وبعدئذ دعه يغلي سوية ولتأكد استواءه خذ منه قليلا وضعه على ورقة سميكة فأن رأيته جامدا كان مستويا ثم صبه اخيرا في الاقداح الزجاجية واضعا على كل واحدة منها ورقة بيضاء مبلولة بقليل من السبيرتو وقاية له من الفساد . . . اما الشراب فقليل استعماله وان احببت عمله فاصنعه على هذه الصورة . . . اغل الانكدونيا وخذ عصيره الرائق ثم ضع للقرين ونصف من الماء ثلاث اواق من السكر الناعم واضف اليهما العصير وضعها بعد ذلك على نار متوسطة . اخيرا دعها تبرد وقتا ماريثما تضعها في الآنية . اما بزور الانكدونيا فقد اصطلح البعض على سلقها في الرماد خالمين قشرتها البرانية ثم يضعونها في ماء نظيفة مدة خمسة عشر يوما معتنين بتغيير مائها مرتين في النهار الى ان تحلو تماما فعندها يعقدونها بالسكر نظير بزور المشمش الخ

هذا ما اتصل الي من المعلومات المهمة بخصوص زرع الانكدونيا ودخولها والاعتناء بامرها وتحسينها وتكثير غرسها علّ قراء المشرق يجدون فيها بعض الفائدة راجيا من حضراتهم غض النظر عما يرونه في هذا الموضوع من الخلل

هذا ما كتبه عن البردقان والانكدونيا نشرناه بحروفه تعميما لفائدته ولأن له علاقة تامة بتاريخ صيداء لأن من هذين الصنفين جل اشجار بساتينها ويتلوهما الرمان والمشمش وهما في صيدا ممتازان والتوت والموز الذي قلّ جدا في هذه السنين الأخيرة لما حدث من البرد الشديد منذ عشر سنوات تقريبا فلم يبق منه باقية غير انه اخذ يتجدد شيئاً فشيئا نظرا لحسن نتيجته وغلاء اسعاره ويوجد في صيدا فواكه اخرى كالتفاح والخوخ والدراقن والتين والجميز الى آخر ماهنالك غير انها قليلة جدا بالنسبة لتلك الأنواع المتقدم ذكرها

ويزرع في بساتين صيدا انواع الخضر كالباميا والاسبانغ وغيرهما وكلها تنفد في نفس البلدة وقد يستجلب ايضا من الخارج قسم منها ليس بالقليل

الصحافة والطباعة في صيدا

كانت الصحافة في العهد الحميدي المنصرم خامدة الأنفاس ودون الحصول على امتياز جريدة أو مجلة خرط القتاد فلذلك كانت الجرائد والمجلات قليلة جداً في الحواضر الكبيرة لما في الاقضية واكثر الالوية فلم يكن لها وجود قط ولما حصل الأنقلاب تهافت كثير من الادباء على الصحافة تهافت الفراش على السراج ومالبث أكثرهم ان عاد القهقرى لما رأوا من حالة الحكومة والامة ولما رأى صاحب هذا الكتاب عدم وجود صحيفة ببلده صيدا أنشأ مجلة دعاها العرفان وقد صدر العدد الأول منها في المحرم سنة ١٣٢٧ هـ الموافق ٥ شباط سنة ١٩٠٩ م وقد طبعت في السنة الاولى والثانيه في بيروت ثم انشأنا مطبعة في صيدا وذلك في ذي الحجة سنة ١٣٢٨هـ الموافق ١١ كانون الأول سنة ١٩١٠ م دعوناها ايضا (مطبعة العرفان) وطبعت المجلة بها في سنتها الثالثة والرابعة وقد وقفت في هذا العام نظرا لما لحقنا من الخسائر غير ان توقيفها ساء بعض الغيورين فشجعونا بمساعدتهم المادية والادبية على اعادتها في بدء السنة الهجرية ان شاء الله

وقد رأينا الحاجة ماسة لأنشاء جريدة سيارة فانشأنا جريدة اسبوعية دعوناها (جبل عامل) وذلك في المحرم سنة ١٣٣٠ هـ وقد صدرت سنة كاملة تعطلت باثنائها شهرا ونصف شهر من قبل الديوان العرفي في بيروت وحكم علينا ايضا بالسجن تلك المدة لمدافعتنا عن صاحبي المقتبس والبلاغ في خبر يطول شرحه ونظرا لما اصابنا من الخسارة تركناها ايضا لذلك ولأمور أخرى بيناها في آخر عدد صدر منها

اما المطبعة فما زالت سائرة بحمد الله سيرا حسنا لما نالته من الثقة والعناية التامة باتقان الطبع وقد أخرجت لحد الآن عدة كتب نافعة من علمية وأدبية ودينية ومدرسية

هذه حالة الطباعة والصحافة في صيدا ومنها يعلم عناية القوم بموازرة العلم والعرفان

حدود صيدا الحالية

يحدها شمالا جزين من اعمال جبل لبنان وشرقا مرجعيون وجنوباً صور وغرباً البحر المتوسط

عدد نفوس صيدا

من المحتمل ان يبلغ عدد نفوس صيدا لو روعي بها الدقة والضبط ستة عشر الف نفس غير ان عدد نفوسها حسب تعداد دائرة النفوس منذ اربع سنين ١٣١٨٤ نفسا منهم ١٠٥٦٢ مسلما و١٨٠٤ مسيحيا و٨١٩ موسويا وهناك اسر غير داخلة في العدد طبعا كأسرة عسيران فأنها عجمية التبعة واسرة ابيلا فأنها انكليزية التبعة واسرة رزق الله فأنها يونانية التبعة ومنها روسية التبعة ايضا الى آخر ما هنالك ممن يحتمل ان يبلغ عدد نفوسهم الألف أو مايقرب منه اما نفوس قضاء صيدا فيبلغون ٣٧٤٠١ على حسب دفتر النفوس ولا شك بأنهم يزيدون عن هذا العدد منهم ٣٢٢٨٣ مسلما شيعيا و٥١١٨ مسيحيا من كاثوليك وموارنة

وكان عدد نفوس صيدا سنة ١٨٥٠ من الذكور فقط ثلاثة آلاف مسلم والف مسيحي و ٢٥٠ يهودي وعدد ذكور مقاطعة جبع ٢٠٠٠ مسلم شيعي و ٢٠٠ مسيحي وذكور مقاطعة الشقيف ٢٠٠٠ مسلم شيعي و ٣٠٠ مسيحي فقط

وقال السائح كيران عند زيارته لصيدا منذ ستين عاما أن عدد سكانها ٩٦١٤ ساكنا منهم ٧٥٠٠ مسلم بما فيه طائفة المتاوله (كذا) و ٥٧٧ مارونيا و ٧٦٥ كاثوليكيا و ١٠٧ روم ارثوذكس و ٢٦٥ لاتينيا و ٤٠٠ يهودي

ماء صيدا

كانت تجيء الماء الى صيداء من نهر الاولي الذي يبعد نحو ثلث ساعة عن المدينة وجسره الفاصل بين حدود صيدا ولبنان وذلك بأنابيب من فخار غير انه من مدة ٤٠ سنة او مايقرب من ذلك استجلبت المياه لصيدا من محل يدعى الباروك في جبل لبنان يبعد نحو ستة ساعات ومياهه يضرب بها المثل في الجودة غير انها نظرا لما يختلط بها في اثناء الطريق من انواع الاقذار تصل ردية جدا فهي كما قيل (نعم الجدود ولكن بئس ما ولدوا) وهي توزع على البساتين باصطلاحات خاصة يعرفها الملاكون ولها جمعية من الملاكين تدير شؤونها غير انه كثيرا مايحصل بها تلاعبا اما المياه المملوكة لأصحاب البيوت والمساجد وغيرها فهي تأتي بأنابيب من حديد ولها طالمان واحد على بوابة الشاكرية والآخر على بوابة الفوقا ومنها توزع (المواسير) وهذه المياه تضر بالصحة نظرا لما تحمله من الاوساخ فحبذا لو صنع لها

خزان ومصفاة على طريقة ماء بيروت ولكن من اين لنا ذلك والبلدية لاتهتم في هذا الأمر واصحاب الثروة والاملاك لايهتمون بغير شؤونهم الخاصة وهم يضربون بكل عمل يعود نفعه على العموم عرض الحائط وقد حفر المرسلون الأميركان في صيدا بئرا أرتوازيا جيد الماء ومدوا منه انابيب لحوض بديع الشكل بنوه عند النهر المعروف بالقملة وزينوه بالآيات القرآنيه فأصبح غاية في حسن هندامه غير انه بعيد عن مجموع البلدة

وماء صيداء الذي يسقي البساتين محصور في الجهه الشماليه من البلدة وهناك معظم البساتين اما الجهة الجنوبية فأن بساتينها تسقى من ماء الآبار (النواعير) فلهذا تقسم بساتين صيداء باصطلاح الملاكين الى قسمين السقي والنواعير وقيمة الاولى تزيد عن قيمة الثانية طبعا ويقدر ريع أملاك صيدا بالماية ثلاثة او اقل بمعنى أن الذي يملك بستانا ثمنه الف ليره يعطيه بالسنة ثلاثين ليره أما الابنية فتزيد عن ذلك وهي تختلف باختلاف موقعها

اسر صيدا المشهورة

تنحصر أسر صيدا المعروفة من الاسلام الشيعة في أسرتين وهما عسيران وزين أما الاولى فالظاهر انها موجودة في صيدا من عهد بعيد ولم نعرف عن تاريخها ومنشأها شيئا وينتسب اليها صاحب هذا الكتاب من جهة امه وقد اشتهر منها في الأزمنة المتأخرة المرحوم الحاج حسن عسيران الذي له القدح المعلى في صنع المبرات وعمل الخيرات وفضله على الكثيرين وكرم اخلاقه وذلك أشهر من ان يذكر وتوفي من نحو ثمانية عشر سنة رحمه الله رحمة واسعة واشتهر ايضا المرحوم الحاج علي افندي عسيران في جودة الرأي وعلو الهمة وحسن المحاضرة وسعة الاطلاع وقد توفي عليه الرحمة منذ عشر سنين وكان الشيخ خليل عسيران والحاج محمد عسيران عليهما الرحمة من صفوة الاتقياء الأبرار ويقال ان اصل هذه الأسرة من بلاد العجم فلذلك استحصلوا من عهد غير بعيد على تبعة عجمية وقناصل دولة ايران في بعض حواضر ولاية بيروت منهم ومنهم الآن التاجر والملاك والعالم والوجيه وسيرد عليك بعض اسمائهم في غضون الكتاب

اما اسرة (الزين) « ومنهم صاحب الكتاب » فقد هبطوا صيداء منذ ثمانين

سنة تقريبا لخلاف حصل بينهم وبين آل علي الصغير وكان موطنهم الاصلي (شحور) وهي قرية تابعة لقضاء صور ونظرا لاعدام الجزار مكاتب جبل عامل لم نقف مفصلا على أصل الأسرة ومنشأها الا انا عثرنا على قطعة تاريخية كتبها المؤرخ القروي الشيخ علي سبيتي وسمعنا من افواه الثقاة مايصح ان يكون مستندا لما ننقله

أصل الأسرة أسرة خليل وعنها تفرع زين على مايظهر والذي نسمعه أن جد جدنا الحاج زين كان من اعيان البلاد عمر فوق المائة سنة وتوفي سنة ١١٧٧ بقرية شحور وابنه الشيخ علي زين الذي عبر عنه الشيخ علي سبيتي بصاحب شحور كان من ذوي المكانة العالية ولما امتد ظلم الجزار أبت نفسه العالية البقاء تحت سيطرته فجهز جيشا كان هو مديره واحد آل علي الصغير رئيسه وتوجهوا الى تبنين فقتلوا عامل الجزار واخذوا خزانة الاموال التي بها وساروا نحو العراق فالتجأ آل علي الصغير الى احدى قبائل العرب وتوجه هو واخويه الى العراق فبقي احدهما واسمه الشيخ حسن يطلب العلم في النجف الاشرف وتوجه هو واخوه قاسم الى بلاد العجم ووفدا على محمد شاه فاكرم وفادتهما ثم ساروا نحو الهند فوفدا على احد ملوكها (نواب) ونظرا لما اتصف به المرحوم الشيخ علي من الذكاء المفرط والشجاعة والاقدام جعله وزيرا له وقيل انه تزوج بابنته وبعد وفاته قام مقامه ثم لما احتلت الانكليز الهند لم يعط قياد الطاعة فحارب مدة سنتين ادت به الى رجوعه لوطنه مشردا وصرف بقية حياته في شحور مقره الاصلي عزيزا مكرما وزاره بها سليمان باشا وعبد الله باشا من ولاة عكا وولد له بعد رجوعه جدنا الحاج سليمان الزين وكان كاتبا شاعرا اديبا حاسبا اشتهر بحسن الرأي والتدبير وقد قطن صيدا واشتغل بالتجارة بشراكة الحاج حسن عسيران وخلف اربعة اولاد اولهم الشيخ محمد الزين وكان عالما فاضلا خصوصا في علوم العربية وله مؤلف بالصرف وكان ينظم الشعر وقد توفي منذ عشر سنين رحمه الله وكان على جانب عظيم من التقوى وكرم الاخلاق وممن سار سيرته من اولاده الشيخ محمد رضا فانه هاجر الى العراق لطلب العلم بحياة والده ولم يزل هناك

وثانيهم الشيخ حسين المعروف بالشيخ ابو خليل وكان فاضلا متفقها زاهدا عابدا لين الجانب محبوبا من جميع الناس توفي في العراق منذ ١٥ سنة وابنه الشيخ عبد

الكريم الزين من علماء البلاد وفضلائها ويقيم في قرية جبشيت وله شعر جيد(١) وثالثهم والد صاحب هذا الكتاب الحاج علي الزين ويقيم في وطن آبائه الأصلي (شحور) وهو غزير الاطلاع متوقد الفكر كاتب شاعر (٢) تجاوز سنه الستين وقد صرف همته لادارة املاكه

ورابعهم الحاج اسماعيل الزين وكان ذا همة عالية جمع بجده واجتهاده ثروة طائلة ونال مكانة عالية فكثر حساده وكان من امره ان اغتالته يد اثيمة في بيروت منذ اربع سنين

ومن عرف من هذه الأسرة في الوجاهة والشجاعة المرحوم الحاج قاسم الزين كما عرف ابنه حسين الزين في الأجادة بنظم الشعر وهذه الاسرة كثيرة العدد غير أن الدهر أخنى على اغلب افرادها وهذه حالة الزمان

فيوم علينـا ويوم لنـا ويوم نساء ويوم نسرُّ

ومنهم الحاج طالب الزين الذي كان متسلما في صور ولم يزل له ولد في قيد الحياة هذه هي اسرة الزين المتفرعة عن اسرة خليل كما يقال اما اسرة خليل فمنتشرة ايضاً في الاقضية الثلاثة ومنهم قسم غير قليل في الشياح قرب بيروت ومن هؤلاء عبدالكريم افندي الخليل رئيس المنتدى الادبي في الاستانه ومن آل الخليل الحاج عبدالله افندي يحيى خليل احد اعيان صور ومن اعضاء المجلس العمومي والحاج اسماعيل افندي خليل رئيس بلدية صور وغيرهم

هذا ما عرفناه عن هذه الأسرة كتبناه على سبيل الاجمال اذ لا محل هنا للتفصيل اما اسر اخواننا المسلمين السنيين فلا يعرف لها تاريخ يعتمد عليه حتى ان المتازين بين الأسرة لا يعرفون شيئاً عن اسرتهم فلذلك نقتضب الكلام عنها اقتضابا فنقول

الأسر المعروفة اليوم اسرة البزري ويظهر انها كانت قبلا ذات شان لأنه تقدم معك في صفحه ٧٠ أن احد افرادها الشيخ يونس البزري كان قاضيا وذلك من ماية سنة وتنتسب هذه الاسرة الى الحسين عليه السلام ومنها اليوم رئيس البلدية واحد اعضاء المحكمة ومأمور الاوقاف ورضا افندي البزري احد اعضاء محكمة الحقوق في بيروت وكان مفتي صيدا منها واسمه محمد افندي وذلك منذ ثلاثين سنة تقريبا وقد جرت

(١) راجع ذكره مع طرف من شعره في المجلد الثالث من العرفان صفحه ٢٢١

(٢) راجع ذكره وطرفا من شعره في المجلد الثالث من العرفان صفحه ٣٣١

مناظرة بينه وبين المرحوم الشيخ موسى شراره

ومن الاسر المعروفة قديما اسرة حمود فأن لها الآن اوقافا كثيرة

واسرة (الصباغ) والظاهر ان اصلهم من دمياط وكان مفتي صيدا منهم لما زارها الشيخ عبد الغني النابلسي كما تقدم صفحه ٦٩ وافراد هذه الاسرة اليوم يشتغل اكثرهم بالصبغ

واسرة قطيش التي ينسب لأحد افرادها جامع القطيشية والظاهر انها انقرضت الآن من صيدا

واسرة حشيشو يظهر من بعض القرائن انهـا قديمة العهد ومنهم من قال بأن اصلهم من الصرفند وكانوا شيعة غير انهم هم لم يعرفوا ذلك بل ذكر في احـد الجامع المحفوظة عندهم ان جدهم الاول جاء من الحجاز مع الجيش الذي فتح صيدا في صدر الاسلام فاذا صح ذلك كانوا اقدم اسر صيدا على الاطلاق والله اعلم

ومن هذه الاسرة الشيخ حامد حشيشو مفتي عجلون ونجله محمد علي افندي حشيشو الأديب المعروف والشيخ كامل افندي حشيشو من علماء صيدا وتجارها وغيرهم

واسرة كشتو اسرة قديمة ايضا معروفة بالغنى والثروة

واسرة اباظه من الأسر التي حازت قسطا وافرا من الثروه والوجاهة ويقال ان اصلها من مصر وهذه الاسرة معروفة هناك كثيرة العدد واسعة الجاه والثروة ومنها اسماعيل باشا اباظه الشهير وقيل ان اصل اباظه الموجودين في صيدا مماليك للجزار غير ان ذلك لايستند الى مستند يوثق به ومنهم احمد باشا اباظه الذي تقلب في عدة متصرفيـات وقد انحطت احوالهم هذه الايام ولم يبق منهم من يصح ان يكون عنوانا لأسرته سوى صبحي بك اباظه وهو شاب متعلم دارس متوقد الذهن ألف كتابا سماه كشف الأستار عما لحقوق الدول من الاسرار وقد مثل الجزء الأول منه للطبع

هذه هي الاسر القديمة التي عرفنا انها قديمة بالجملة وقد يكون هناك أسر أقدم منها تلاشت أو غاب عنا تاريخها ويتلو هذه الأسـر اسرة الدباسي فأن المحتسب اي رئيس البلدية كان منها منذ خمسين سنة او أكثر

واسرة لطفي كان رئيس البلدية منها من عهد غير بعيد وهو الشيخ محمد افندي صالح لطفي وكان معروفا بالغيرة وعلو الهمه ومنها الحاج عبد الحي لطفي الذي تولى عدة مأموريات للحكومة ولم يزل حيا وهو من المعمرين

وأسرة الزين وهم ينتسبون للامام زين العابدين عليه السلام وكان منهم نقيب الاشراف من عهد غير بعيد ومنهم المفتي الحالي وأبوه المرحوم الحاج عثمان الزين الذي قتل غيلة

وأسرة جلال الدين وهم ينتسبون الى الحسين عليه السلام وكان منهم نقيب الاشراف قبلا كما ان النقيب الحالي منهم

واسرة الجوهري ومنهم ابراهيم بك الجوهري الذي تولى رئاسة البلدية زمنا طويلا وكان داره منزلا للولاة وكبار الرجال وكان رحمه الله كريم الاخلاق محبوبا من الجميع

واسرة الصلح من الأسر التي كان لها بالتجارة نصيب وافر وقد نبغ منها نوابغ استوطنوا بيروت وهم احمد باشا الصلح الذي تولى عدة متصرفيات ونجله كامل بك الصلح الذي تولى رئاسة محاكم عدة ولايات وآخرها رياسة محكمة استئناف دمشق وكان مظهراً للعفة وحسن السيرة وكذلك اخوه رضا بك الذي يعرفه الصيداويون بآثاره تولى عدة مأموريات آخرها متصرفية جبل بركات ومن هذه الأسرة الشيخ سعد الدين الصلح المفتي السابق وغير هؤلاء كثيرون

ومن الاسر المعروفة بصيدا اليوم اسرة ابي ظهر ومنهم الحاج محمد بك ابي ظهر صاحب الاملاك الواسعة والثروة الطائلة واسرة زنتوت ومنهم التاجران المعتبران محمود افندي زنتوت واخوه الحاج حسن رضا زنتوت واسرة القطب ومنهم الحاج رشيد افندي القطب الذي توصل في الجيش الى رتبة (بيكباشي) وهو متقاعد اليوم

واسرة الشماع ومنهم نجيب افندي الشماع التاجر المعروف

واسرة المجذوب والى احدهم ينسب الجامع المعروف بجامع المجذوب

واسرة القربي وهم حديثوا العهد في صيدا ومنهم عيسى افندي القربي الذي تولى القضاء في عدة اقضية وكامل افندي القربي من علماء صيدا

واسرة الشريف وهم من اصحاب الأملاك الواسعة

واسرة الكشتبان ومنهم التاجران المعروفان محمد افندي وعلي افندي الكشتبان واخوانهم وغيرهم كأسرة سنجر والانصاري والزعتري وخروبي والبساط الى غير ذلك من الأسر التي لا يمكن تعدادها

اما الاسر المسيحية فالمعروف منها من الموارنة اسرة غور ومنهم حبيب افندي

مارون غور مأمور الرزي في مرجعيون وهو ينظم الشعر ويجيد في التاريخ تام الاجادة(١) وكانت هذه الاسره ذات ثروة ووجاهة واسرة عطيه وقد هبطت صيداء من زمن غير بعيد ومنها الخوري الياس عطيه وكيل النائب الاسقفي للطائفة المارونية ونجليه الخوري يوسف والشماس بطرس وهم محبوبون من الصيداويين وكذلك كان الخوري بشاره ابو الخوري الياس وكان عمه الخوري يوسف الصوري مقربا لدى البطريرك الماروني واصلهم من قرية دبل التابعة لقضاء صور

واسرة الكيال ولم يبق منهم سوى توما افندي كيال استاذ اللغة الفرنساويه في مدرستي غونه رشدي والفرار وقد اشتغل بالتعليم منذ عشرين سنة ولهم في مصر اقرباء منهم يوسف كيال صاحب بنك الرهونات الشهير وكذلك جرجي بك كيال الذي كان مستخدما في الحكومة المصرية وقد تقاعد الآن وانشأ مصرفا

وقد قلّ الموارنه هذه السنين الاخيره في صيدا ومنهم اسرة نديرة التي لم يبق منها سوى فائق افندي نديره واسرة خلاط التي لم يبق منها احدهنا وآخرمن عرفنا من افرادها نقولا بك خلاط كان مديرا للرژي في صيدا مدة طويلة ومات من عهد قريب ومنهم يوسف افندي خلاط مدير المطبوعات في مصر واسرة غماشه ومنهم جورج افندي غماشة الذي احرز مأمورية الدفتر الخاقاني في الكرك وغيرها ونجله الدكتور فريد غماشة طبيب بلدية عجلون ومنهم اسرة العازوري المعروفة واصلهم من عازور وهي قرية في لبنان ومن اسر الكاثوليك المعروفة اسرة دبانه ومنها الخواجه رفله دبانه المثري المشهور في صيدا بوداعته وحسن اخلاقه وهو محب للعزله يتولى غالب اعماله بنفسه

واسرة صاصي وهم من اصحاب الاملاك الواسعة واسرة عوده وهم ايضا من اصحاب الثروة والأملاك وكبيرهم الخواجه حنا عوده

ومنهم اسرة القران وذاخر والنقري والنعسان وضومط وغيرهم

وكل هذه الاسر لم نطلع عن اصلها ومنشأها شيئا لندونه وهم لايعرفون شيئا من ذلك اما اسرة ابيلا اللاتينية التبعة الانكليزية التبعه فهي الأسرة الوحيدة في صيدا التي لها شان يذكر وقد بعث الينا بعض افرادها تفصيلا وافيا مطولا عن اسرته ونشأتها وتوابعها نلخصه بما يلي

اسرة ابيلا اصلها من مالطه فلهذا يطلق عليها اليوم بعضهم اسم (المالطي) وهي

(١) راجع ذكره وشعره في المجلد الثاني من العرفان صفحة ٣٢٧

من الاسر النبيلة الشريفة التي تعد من اسر الملوك والامراء وقد عقدت مجلة المشرق في احدى مجلداتها فصلا ضافيا عن اصل الاسرة ومنشئها ومقامها في اوروبا ونقلت ذلك عن بعض مشاهير المؤرخين الاوروبيين

جد الفرع المالطي ريغوند دي ابيلا وقد حكم مدينة مالطه سنة ١٣٠٩م ثم اولاده من بعده ومن المحلات العديدة التي لم تزل تعرف باسم ابيلا في مالطه متحفها الحالي ومحلات عسكرية عديدة واماكن غيرها

وقد سام البابا غريغوريوس الثالث عشر احد افراد فروع تلك الاسرة واسمه ليوناردو دي ابيلا اسقف شرف على صيدا وبعثه بمهمات دينية مع بعض المساعدين فطاف كثيرا من البلدان الشرقيه ولهذه الاسرة شعاران مختصان بها نشر رسمها في المشرق

اول من وجد في صيدا من هذه الاسرة يوسف ابيلا حيث تولى قنصلية الانكليز من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٤٤ وكان لين العريكة ذا علائق ودادية مع جميع الأسر المشهورة في لبنان وعامل ومن اعماله مساعدته لمنكوبي زلازل سنة ١٨٣٧ ومساعدته لمسيحي صيدا ولبنان سنة ١٨٤١ على اثر ضرب صيدا واخراج العساكر المصرية منها وتسليمها للسلطان وبعد ان ضربها القائد نابيير الانكليزي سلمه زمام الأحكام فقام بها احسن قيام

وقد خلف بعد وفاته عشرة اولاد اكبرهم يعقوب المعروف بالمير يعقوب وقد نال مكانة سامية ونال النيشان المجيدي من الدولة ووسام غريغوريوس من البابا بيوس التاسع لمساعدته المنكوبين في حوادث سنة الستين وما قبلها واهدته حكومة انكلترا شمعدانا فضيا لم يزل محفوظا عند اسرته مصحوبا بكتاب ثناء من وزير خارجية انكلترا بأمر الملكة فيكتوريا ووردت عليه من المطارنه والبطاركة كتب كثيرة تشهد بفضله

وكانت دار الامير يعقوب منتدى ادبيا يضم افاضل القوم وكان توليه قنصلية انكلترا من سنة ١٨٤٢ الى سنة ١٨٧٢ وقد ارسل له السلطان عبد المجيد فرمانا لقبه به بقدوة امراء الملة المسيحية وفي مدة قنصليته زار سورية البرنس دي غال اي الملك ادوارد السابع الذي اصبح ملكا لانكلترا وتوفي من سنتين وعرج على صيدا فزاره بها وتناول عنده الشاي ومما يحسن ذكره هنا انه وجد جلود غزرة مطروحة

في الارض فقال لحرم القنصل ابيلا كيف تطرحين للدوس جلود هذه النمورة ولعله يعد ذلك ازدراء لذلك الحيوان او ان ان هـذا مـن قبيل عدم الاكتراث بالاشياء النفيسة أما هي ففهمت من سوءاله الداعي الأول واجابته فورا هذا قليل فأنا بأيام عظمتكم ندوس رقاب الاسود وهي حية

وقد اعقب يعقوب ثلاثة اولاد ذكور وهم يوسف ووليم وميشال اما كبيرهم الدكتور يوسف ابيلا فقد ولد سنة ١٨٥٠ وتوفي سنة ١٩١١ ودرس الطب في كلية الأميركان في بيروت ونال الشهادة وقد قضى حياته يتعاطى الطبابة احيانا وادارة املاكه وتولى قنصليتي انكلترا و سبانيا فقام بها أحسن قيام وكان حسن الأخلاق لين العريكة محبوبا من جميع من عرفه ولما توفي كان لوفاته رنة اسف في أفئدة عارفيه وأبنته الجرائد احسن تأبين حتى ان مجلة المقتطف ذكرت وفاته

وقد اعقب ثلاثة بنين وهم جمس من ماموري البنك العثماني في بيروت وشارل وهو ترجمان عامل لقنصلية اوستريا والمجر في بيروت ايضا وفردينان وهو اصغرهم وقد قام مقام ابيه وتولى قنصلية بريطانيا بجد ونشاط وهو ذكي الفوءاد متوقـد الذهن غزير الاطلاع متقن اللغتين الأفرنسية والانكليزية بارع باللغة العربية وهو مع ذلك لم يتجاوز سنه الخمسة وعشرين عاما اما وليم فكان فصيح اللسان عاقلا مدبرا توفي سنة ١٩٠٩م وميشال كان مامورا الرژي في صور ومرجعيون وقد ترك هذه الماًمورية وهو الآن مقيم في صيدا يتولى ادارة املاكه وهو من الغيرة والشهـامة وحسن السيرة على جانب عظيم

وممن كان له شان يذكر الأمير حبيب ابيلا الذي تولى قنصلية انكلترا مـدة مديـدة وتوفي سنة ١٨٨٣ واعقب اولاداً كثيرين منهم انيبال الذي تولى قنصلية انكلترا في صيدا مدة قصيرة واصدر مجلة الاقتصاد في بيروت زمنـا يسيرا والاب شارل (عزيز) اليسوعي وهو مدير الدروس في الكلية اليسوعية في بيروت وأنج وهو امين صندوق البنك العثماني في صيدا وهو معروف بحسن السيرة

ومن آل ابيلا ايوب ابيلا الذي كان له ولع خاص في درس احوال الشرقيين وعاداتهم وقد كتب كتابا مخصوصا بذلك نال لاجله مدالية المستشرقين الذهبية من حكومة المانيا وقد تولى اعمالها مدة حياته وتوفي سنة ١٨٩٧ واعقب اولادا منهم هنري مدير معمل تصدير الدخان في الاستانة ومنهم الدكتور نجيب المعروف

بدماثة اخلاقه وهو اليوم يتعاطى الطب في الديار المصريه

واصغر اولاد يوسف ابيلا الكبير الدكتور شبلي ابيلا وهو معروف من عموم الصيداويين وغيرهم وقد درس الطب على الدكتور فانديك ونال شهادة الدكتوريه من كلية نيورك لكتاب كتبه في الحميات ارسله لها وقد تعين قنصلا لأميركا ثم قنصلا لانكلترا وقد اعقب اولادا منهم الدكتور فريد الذي عين مديراً للصحة في احدى مديريات مصر وصاحب حادثة القسيحه التي اخذت دوراً مهماً في صيدا وهي مشهورة يعرفها جميع السكان لقرب عهدها وجاكي وهو قنصل انكلترا في طرابلس وبترو وهو قنصل انكلترا في حيفا وقد اشتهر من هذه الاسرة الكريمة بنظم الشعر والكتابة رفول وجرجس وكانا كفيفي البصر ولهما في الغرب اسوة حسنة وقد توفي رفول سنة ١٨٧٦ وجرجس سنة ١٨٥٥ هذا ما اردنا تلخيصه عن هذه الاسرة النبيلة متمنين ان يكون لاكثر اسر صيدا تفاصيل عن أسرتهم مثل هذه لتنشرها مع الشكر

ومن الاسر اللاتينية اسرة كاتافاكو وكان هذا قنصلا للنمسا والمجر مشهورا بالكرم وابنه الخواجه البير كاتافاكو اصبح ايضا بعد وفاة ابيه قنصلا ولكنه لم يكن كأبيه فلذلك جمع ثروة وافرة بالنسبة لصيدا وقد توفي من عهد غير بعيد واصبح قنصلا مكانه ابنه الخواجه اسكندر وله اولاد ايضا مستخدمين في مصارف بيروت وهذه الاسرة طليانية التبعة

ومن اسر الروم الارثوذكس اسرة الزهار ومنها الدكتور الياس الزهار الطبيب الجراح المعروف

واسرة فضول رزق الله ومنها الخواجه بشارة فضول قنصل روسيا وولديه جورج وفضول وهم من اصحاب الثروة الطائلة والاملاك الواسعة

ومن اسر اليهود المعروفة اسرة لاوي ومنها الخواجه مراد لاوي الذي كان حاخاما مدة طويلة وكان ذا مكانة ونفوذ

وأسرة نكري وخياط ومنهم الصرافان المعروفان

علماء صيدا

عالما الشيعة في صيدا هما الشيخ محي الدين عسيران والشيخ منير عسيران وقد

دوسا في المدرسة الكبرى للشيعيين وهي (النجف الاشرف) من اعمال ولاية بغداد ومن علماء السنة الشيخ حامد حشيشو وهو الآن مفتي عجلون والشيخ كامل حشيشو الذي درس في الأزهر واشتغل في التدريس مدة ولما رأى كساد بضاعة العلم تعاطى التجارة ولم يزل للآن وكامل افندي القرلي وهو من الأقدمين الذين سبق لهم الدخول في عدة ماموريات ومعاطاة المحاماة

ومن فضلاء صيدا الشيخ سليم البابا الذي استوطن بيْروتَ يتعاطى مهنة التعليم والشيخ سعد الدين الصلح الذي كان مفتيا والشيخ بدوي لوبيسه والشيخ رشيد وهبه وابو الخير افندي القواص من مبصري المكتب السلطاني في بيروت وغيرهم

ادباء صيدا

الاديب بكل ماتنطبق عليه هذه الكلمة عزيز الوجود وقد نبغ في صيدا من عهد قريب شاب يدعي صبحي القونيه لي ولد ونشأ في صيدا ومات في ريعان شبابه كان متوقد الذهن ذكي الفؤاد حتى انه لفرط ذكائه اصيب بمسٍ من الجنون وقد ترك اشعارا ومؤلفات

ومن النابغين في الأدب اليوم محمد علي افندي حشيشو الكاتب المعروف وهو من كتاب سوريا المعدودين

وقد نبغ في الكتابة شريف افندي عسيران من تلامذة الطب في الكلية الاميركية ويوشك ان يصبح من الكتاب المجيدين اذا لم يكسر القلم خوفا من ان تدركه حرفة الادب

ومما نلاحظه قلة النبوغ في صيدا بالكتابة والشعر مما حباها به المبدع من جمال المناظر وفقه في خلقة شؤون

تجار صيدا

اشهر تجار صيدا صالح وحسن رضا زنتوت ومحمود زنتوت والحاج ابراهيم عسيران وعلي الكشتبان في مال (القبان) والحاج محمد عسيران واولاده ومحمد الكشتبان في الاغلال وعسيران وخليفه وعبدالقادر اللازم المتقاعد وهاشم وعبد الله البزري في البزازة ومصطفى ومحمد الددا ومصطفى النقيب في الاخشاب وهناك تجار كثيرون مشهورون كالحاج رشيد عسيران وعبد الرحمن الانصاري ومحمود شعبان ابو ظهر وحنا داخور ونخله الضابط

والشيخ حسين البزري واخوه والعلايلي ونصوحي بك الامين وغيرهم ممن لا يمكن ان نأتي على اسمائهم

واشهر محل لعمل الحلويات محل قصير ودياسي ولعمل (السنيوره والمعمول) محل الشيخ مصطفى السنيوره

المحامون في صيدا

ان بلدة مثل صيدا لا تتحمل محاميا دارسا أنفق على تحصيل الحقوق مئات من الليرات ولكن سكن فيها محام لبناني درس وحصل في جده واجتهاده فأصبح من خيرة المحامين اطلاعا ومعرفة وهو سليمان افندي مصوبع وقد الف كتابا في القضاء سماه (قاموس القضاء العثماني) ورتبه ترتيبا لم يسبق اليه قط بحيث انه يتيسر لكل انسان استخراج المواد القضائية منه بكل سهولة وقد اخرج منه للطبع ثلاثة اجزاء فقط ولو تمنى له اتمام طبعه لكان من خيرة الكتب التي اخرجت للطبع في اللغة العربية ويتعاطى المحاماة ايضا بشاره افندي غور وعثمان افندي فوزي

الاطباء في صيدا

يوجد في صيدا عدة اطباء وهم الدكتور حسين عوده الشامي الاصل الذي درس الطب في مدرسة القصر العيني بمصر وهو يعالج بالعقاقير والنباتات على طريقة الاطباء القدماء والرجل اطوار غريبة في طريقة حياته ومعيشته وطبابته وافكاره فننصح كل زائر لصيدا ان يزوره ليرى كيف تعيش (الفلاسفة) وهو يعتقد بانه يعيش زمنا طويلا فلعل الله يقدر ذلك ان شاء الله

ومن قدماء الأطباء في صيدا مراد افندي العازوري الذي درس الطب في اللغة العربية بالكلية الاميركية وبقي مدة طبيب بلدية والدكتور الياس الزهار المعروف بحذقه في الجراحة ومهارته في الطبابة وقد درس الطب ايضا في العربية بالكلية الاميركية والدكتور سليم افتيموس المتخرج من الكلية الاميركيه والدكتور محمد البزري والدكتور انطون عوده المتخرجان من الكلية اليسوعية والدكتور يوسف مراد العازوري المتخرج من الكلية الاميركيه من عهد قريب والدكتور شكري رزق الله وهو يتعاطى الطب في النبطيه وفي القطر المصري الدكاتره فريد ابيلا ونجيب ابيلا وتيودور كنافاكو

حكومة صيدا الحاضرة

القائمقام
محمد جمال بك
النائب
عبد الله حلمي افندي
المفتي
محمد بهاء الدين افندي الزين
رئيس محكمة البداية
محمد علي افندي التميمي
معاون مدعي العمومي
حسني بك
وكيل مدير المال
نجيب افندي حسون
قائد الژاندرمه
طلعت بك الكردي
كاتب التحريرات
مصطفى افندي سعد الدين
مأمور الطابو
يوسف افندي ضيا
القومسير
بدر افندي قطينا
بوليس عدد ٣
مأمور النفوس
محمد افندي ديه
رئيس بنك الزراعة
محمود بك كالو

كاتب بنك الزراعه
عطاء الله افندي
اعضاء الإدارة المنتخبين
زين العابدين افندي عسيران
يوسف بك الجوهري
حنا افندي القران
٠٠٠ مطول
عضوا المحكمة
الحاج سعيد افندي البزري
مارون افندي الوزير
باشكاتب المحكمة
كامل افندي كرير
مأمور الاجرا
منيف بك الصلح
محرر المقاولات
انيس افندي الجراح
مأمور الويركو
يوسف افندي شهاب
مأمور الاعشار
عبد الحميد افندي دمشقيه
مأمور التحصيلات
احمد افندي زهير
محصل عدد ١٠
امين الصندوق
عبد السلام افندي شهاب

كاتب المفردات
انيس افندي لطفي
وكيل مدير المال
توفيق افندي
باشكاتب المحكمة الشرعية
الشيخ سعيد المغربي
كاتبا الضبط
محمد افندي المجذوب وتحسين افندي الخياط

العسكريه

بيكباشي
كامل كمال بك الزالق
يوزباشي اول
عزيز افندي
يوزباشي ثاني (منحل)
يوزباشي ثالث رمزي افندي
وكيل يوزباشي رابع
توفيق افندي
كاتب الطابور
نجيب افندي
مأمور الدبوي
فارس افندي
يوزباشي ثالث
(تابع طابور بيروت)
تحسين افندي
وكيل يوزباشي رابع
عمر افندي
رئيس المينا (عادل بك)

دائرة الرسومات

(المدير) مصباح افندي رمضان
باشكاتب
يوسف ضيا افندي
مأمور المعاينة (حسين افندي)
مأمور العنبر (نجيب افندي)

الاوقاف

مأمور الاوقاف
عبد الرحمن افندي البزري

الديون العموميه

مأمور
توفيق افندي الجمال
باشكاتب جعفر افندي
مأمور العنبر
عبد البديع افندي الخطيب
مأمور الفنار
يونس افندي المغربي
مأمور الاحراش
حسين افندي نصار
مأمور الصحه (الكرنتينا)
احمد افندي الجركس

البلديه

الرئيس
الحاج مصباح افندي البزري
الكاتب وأمين الصندوق
محمد افندي القوام

الاعضاء

الشيخ عبد الحليم لطفي
محمود بك كالو
عمر افندي ابو ظهر
الحاج حسن رضا افندي زنتوت
هاشم افندي بزري
سليم بك صاصي
عمر افندي المجذوب
محي الدين افندي كالو
احمد توفيق افندي النقيب
عبد الحميد افندي الناعماني
علي افندي خروبي

الطبيب

الدكتور محمد افندي البزري

المفتش

الحاج انيس افندي المجذوب
جاويشيه عدد ٣

ادارة البريد والبرق

المدير الحاج حسني بك المجذوب
مأمور المخابرات الاجنبيه
سليمان افندي غور

ادارة حصر الدخان (الرژـي)

(المدير) الخواجه يوسف اومان
مأمور المحاسبه (بشاره افندي صوايا)
وكيل الدعاوي (داود افندي الزهار)

الروساء الروحانيون

نقيب السادة الاشراف
الشيخ احمد افندي جلال الدين
مطران صيدا ودير القمر
للروم الكاثوليك
المطران باسيليوس حجار
من سنة ١٨٨٧م
وكيل النائب الاسقفي
للموارنه
الخوري الياس عطيه
خوري الروم الارثوذكس
الخوري ابراهيم

قناصل الدول (١)

العجم
عبد الله بك عسيران
انكلترا (الموسيو فردينان ابيلا)
فرنسا (الموسيو جان لاپيار)
روسيا
الخواجه بشاره فضول رزق الله
النمسا
الموسيو اسكندر كتافاكو
وكان قديما لألمانيا واسوج ونورج واسبانيا
وهولاندا قناصل اخلوا الآن

(١) لا يوجد في صيدا قنصل اصيل الا قنصل العجم والبقية وكلاء (فيس قنصل) ولا يتقاضى منهم معاشا سوى قنصل فرنسا

واردات الحكومة

يرد للحكومة في صيدا وقضاها من اعشار وويركو وتمتع وغيره نحو ٢٥ الف ليره عثمانية تدفع منها رواتب للمأمورين والمتقاعدين ثمانيه آلاف ليره وواردات الديون العموميه ١٨ الف ليرهتدفع منها مصارف مختلفة الف ليره وواردات الكمرك اربعة آلاف ليرهتدفع منها رواتب للمأمورين الف ليره وواردات البريد والبرق الف ومائة ليره تدفع منها رواتب ستمائة ليره وواردات البلدية زهاء الف وخمساية ليره

ابنية الحكومة

بني للحكومة سراي مهمة خارج البلدة منذ ١٥ سنة تحوي عدة غرف سفلية وقد بني منذ سنتين دائرة علوية للقائمقام ومجلس الادارة وصاعة للاستقبالو السعي متواصل في بناء غرف علوية لبعض الدوائر لأن الطابق السفلي ضيق بمن فيه مـن المأمورين وقد بني سنة العيد الفضي لعبدالحميد السلطان المخلوع حوضبديع الشكل والهندسة من رخام قبالة دار الحكومة والعسكرية عدا عن القلعتين المتقدم ذكرهما قشلتان احداها الفوقا وهي مركز الدائرة العسكرية اليوم والتحتا وهي موجودة ولم نعرف تاريخ بنائها غير انه يظهر عليه عدم القدم

ادارة البريد والبرق

يوجد في صيدا ادارة للبريد والبرق (البوسطهوالتلغراف) تقبل جميع المكاتيب والمطبوعات والحوالات والبرقيات لجميع الجهات وتسير البريد يوميا في العربات بين بيروت وصيداوهنالكبوسطةفرنسيةتذهب يومي الخميس والاحد مساء لبيروتوتجيء منها يومي الجمعة والثلثا صباحا وتذهب لصور وعكا والنبطيه وغيرها يومي الخميس والاثنين مساءوتجيئان منها يومي الخميس والاحد عصرا

البلديه

شمرت البلدية الحاضرة عن ساعد الجد والاجتهاد واقامت عدة ابنية أصبحت ريعا ثابتا للبلدية مماتشكر عليه اتم الشكر غير انها لم تعتن بالطرقات العامةوماشا كل ذلك مما هو لازم لازب لتحسن البلدة ومطلوب في الدرجة الاولى من البلديةوكانت عزمت على بناء مستشفى فلم تلبث حين تمَّ بناؤه ان جعلته دارا للأيجار وعلى كل فقد فتحت بابا للعمل التي تحل محلها

المصرف العثماني

انشيء من سنة وبعض شهور فرع (للبنك العثماني) فكان مسهلا للاعمال التجارية غير ان الكثيرين يشكون من تصعبه في معاملاته وعلى كل حال فوجوده نافع غير ضار وهاك اسماء مستخدميه

المدير	الكاتب الاول
الموسيو ميشال كريدان	الخواجه جورج عنحوري
امين الصندوق	الكاتب الثاني
الخواجة انيج ابيلا	الخواجه اميل فران

الصيارف

يتعاطى اعمال الصرافة في صيدا كالقطع والخصم والتحاويل وغير ذلك الموسيو اسكندر كتافاكو والخواجات وديع عوده واخوانه والخواجات ابراهيم خياط ويوسف نكري

قرى صيدا

قضا صيدا عبارة عن ثلاث نواحي ناحية الشقيف والشومر والتفاح ولا يوجد حكومة ألا في الأولى ومركزها النبطيه ومديرها الآن اسمه عارف افندي وعدد نفوسها ينيف عن اربعة آلاف نفس يوجد منهم في اميركا اكثر من الف مهاجر والنبطية اليوم تعد في مصاف المدن تجارة وعمرانا وبينها وبين صيدا طريق شوسة تسير عليها العربات وتبعد عنها خمس ساعات وفي النبطية شعبة للبريد ويذهب البريد اليها كل يوم ثلاثا وجمعه ويأتي منها كل يوم أحد وخميس أي في الاسبوع مرتين وقد مددت لها أعمدة التلغراف غير انه لم يوضع هناك ماكنة له وامل الحكومة تشعر بأهمية النبطية فتعجل بها ادارة للبرق

ويقيم في النبطية محمود بك وفضل بك الحسن وهما من كبار سراة العشيرة الصعبية وفي النبطية العالمان المشهوران الشيخ احمد رضا والشيخ سليمان ظاهر وهما في طليعة ادباء سوريا وفضلائها

وهذه النواحي الثلاث عبارة عن ١٢٥ قرية ومزرعة يشتغل اهلها في الزراعة والفلاحة وقد هاجر جل سكانها الأقوياء لأميركا نظرا لضيق الحال ، نسأله سبحانه حسن العاقبة والمآل وقاعدة ناحية الشومر (الزراريه) وهي بلدة كبيرة يقطن بها ناصيف

باشا الاسعد نجل علي بك الاسعد من كبار عشيرة (علي الصغير) وقاعدة ناحية التفاح (جبع) وهي البلدة الجميلة المعروفة بغزارة مياهها وكثرة اشجارها وبديع مناظرها وهي موطن آل الحر الكرام وهذه القرى المتعددة التي تشغل زهاء اربعين الف ساكن لا يوجد بها سوى ثلاث مدارس ابتدائية واحدة في النبطية وثانية في جبع وثالثة في النازية ومن هنا تعلم عناية الحكومة في نشر التعليم وحالة سكانها من جهة المعلومات حتى ان الامية غالبة على الذكور اما الاناث فلا تكاد تجد بينهن قارئة او كاتبة

مباني صيدا

بنايات صيدا القديمة متعرجة غير متقنة وهي كسائر البلدان السوريه غير انه بني حديثاً بنايات بديعة على الطرز الحديث واحسنها ما بني في جهة (القملة) وامتد الى ما بعد الشمعون ويوشك ان تصل البنايات الى (نهر الاولي) وجدير أن يطلق على ذاك الشارع الجديد والبنايات الحديثة اسم (صيدا الجديدة)

بعض من نال وظائف مهمة من الصيداويين

حسن مخرم بك	والي الموصل (عزل الآن)
احمدباشا اباظه	متصرف قره حصار الاسبق
محمد سعيد بك الاسماعيل	قائمقام الناصره الاسبق
محمدفريدبك	قائمقام جنين الاسبق
صبحي افندي كتمان	باشكاتب مجلس ادارة الولايه
خالد بك الاسماعيل	من خلفاء قلم المكتوبي
أحمد بك الارناؤط	قائمقام عسكرية (متقاعد)
الحاج رشيد افندي القطب	بيكباشي (متقاعد)
محمد رشيد افندي	يوزباشي

وهناك عدة ضباط ومديري ناحيه

ومن الناشئين حديثاً توفيق افندي البساط من مأموري معية ولاية سوريه ومن خيرة الناشئة العربية وجمال افندي من محرري جريدة الحق يعلو في الاستانة والذي شاع تعيينه مدير تحريرات لولاية بيروت

ربيع صيدا

مهما تأنق الكاتب المجيد في كتابته ، ومهما أبدع في انشائه وتصويره وبلاغة يراعته ، لا يقدر ان يجسم ربيع صيدا ، تجسيما يبلغ به حقيقته ، ويعرب عن حسنه ولطفه ، ولو تصورت تلك الروائح العطريه التي تفوح من اشجار الليمون على انواعه وذاك المنظر الابيض الناصع التي تحف به الخضرة المسجديه وتتخلله الألوان الذهبيه لأدركت سر ما نقول وما احسن ما وصف ربيع صيدا صديقنا محمد افندي كرد علي صاحب المقتبس حين عمها منذ عامين قال « ما الروض الاريض باكره السحاب ، ولا نسيم الصبا عطر بالشيح واللاب ، ولا مجامع الانس ولقاء الأصحاب ، ولا العافية في بـدن ذي اسقام وأوصاب ، ولا النضارة في خدود الغانيات الكعاب ، ولا تغريد العندليب وأنين العود والرباب ، ولا نيل الاماني بعد طول التطلاب ، ولا رنات الاوتار تلين بهـا الصم الصلاب ، ولا كشف غوامض المسائل بعد ان خفيت عن طالبيها الأحقاب سما كل هذا بأجمل من نزول صيدا في نيسانها وايارها ، وقد طرزت ضواحيها وحواشيها ، وترنحت بالمرقصات المطربات أعطاف شاديها وتغنت اطيارها في اشجارها ، وتفتقت أنوارها بين أزهارها ، وفاح اريج تربتها الزكية ، وتسلسلت سواقيها النقية ، فضمخت الأرجاء بماء أزاهيرها وورودها ، فكانت بهجة النفوس وريحانة الارواح »

الى هنا نمسك اليراع متوسلين له سبحانه ان يقينا من الزلل ، ويمنحنا العلم والعمل انه هو السميع المجيب

مستدركات

ترامى الينا تاريخ ابن القلانسي الذي طبعه احد المستشرقين في المطبعة الكاثوليكية في بيروت فوجدنا به بعض نتف عن صيدا احببنا اثباتها هنا برمتها

ولاية الفتكين المعزي لدمشق في بقية سنة ٣٦٣

وسار على طريق الساحل فنزل على صيدا . وخرج اليه ابو الفتح بن الشيخ وكان رجلا جليل القدر ومعه شيوخ البلد ولقوه وقرروا معه امرهم على مال اعطوه اياه وهدية حملوها اليه وانصرف عنهم على سلم وموادعة

ولما امن الفتكين من ناحية مصر والرملة عمل على اخذ ثغور الساحل وسار فيمن اجتمع اليه ونزل صيدا فكان بها ابن الشيخ واليا ومعه رؤوس من المغاربة ومعهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي تقدم ذكره في دمشق فقاتلوه وكانوا في كثرة وطمعوا في الفتكين وامتدوا خلفه ونزل على نهر وطفت الرعية من صيدا وخرج منهم خلق كثير وقال الفتكين لساقة العسكر : اطلبوا طريق بانياس وتبعوهم فحملت عليهم الاتراك ورمتهم المغاربة بالحرب فلقوهم بالصدور واقبلوا بالتوت عليهم وداسوهم بالخيل عليها التجافيف فانهزموا واخذهم السيف وكان ظالم بن موهوب معهم فانهزم الى صور واحصي القتلى فكانوا اربعة آلاف وطمع في اخذ عكا وتوجه نحوها

وفيها (اي سنة ٤٨٢) خرج عسكر مصر منها مع مقدميه وقصد الساحل وفتح ثغري صيدا وصور وكان في صور أولاد القاضي عين الدولة (ابن) ابي عقيل بعد موته ولم يكن قوة لهم تدفع ولا هيبة تمنع فسلموها وكذلك صيدا

سنة ٥٠١ وفي هذه السنة نهض بغدوين في عسكره المخذول من الافرنج نحو ثغر صيدا فنزل عليه في البحر والبر ونصب البرج الخشب عليه ووصل الاصطول المصري للدفع عنه والحماية له فظهروا على مراكب الجنوية وعسكر البر واتصل بهم نهوض العسكر الدمشقي لحماية صيدا والذب عنها فرحلوا منها عائدين الى اماكنهم

سنة ٥٠٣ فلما تقرر امر بيروت رحل الملك بغدوين في الافرنج ونزل على ثغر صيدا وراسل اهله يلتمس منهم تسليمه فاستمهلوه مدة عينوها فاجابهم الى المهلة بعد أن قرر عليهم ستة آلاف دينار تحمل اليه مقاطعة وكانت قبل ذلك الفي دينار ورحل عنها الى بيت المقدس للحج

ووردت الاخبار فيها بوصول بعض ملوك الافرنج في البحر ومعه نيف وستون مركبا مشحونة بالرجال بقصد الحج والغزو في بلاد الاسلام فقصد بيت المقدس وتوجه اليه بغدوين واجتمع معه وتقرر بينهما قصد البلاد الاسلامية فلما عادا من بيت المقدس نزلا على ثغر صيدا في ثالث شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٤ ودنايقوه برا وبحرا . وكان الاسطول المصري مقيما على ثغر صور ولم يتمكن من انجاد صيدا فعملوا البرج وزحفوا به اليها وهو ملبس بحطب الكرم والبسط وجلود البقر الطرية ليمنع من الحجارة والنفط وكانوا اذا أحكموه على هذه الصورة نقلوه على بكر تركب تحته في عدة ايام متفرقة فاذا كان يوم الحرب وقرّب من السور زحفوا به وفيه الماء والخل لطفي النار وآلة الحرب

فلما عاين من بصيدا هذا الامر ضعفت نفوسهم واشفقوا من مثل نوبة بيروت فاخرج اليها قاضيها وجماعة من شيوخها وطلبوا من بغدوين فاجابهم الى ذلك وأمنهم العسكرية معهم على النفوس والاموال وأطلاق من اراد الخروج منها الى دمشق واستحلفوه على ذلك وتوثقوا منه وخرج الوالي والزمام وجميع الاجناد والعسكرية وخلق كثير من أهل البلد وتوجهوا الى دمشق لعشر بقين من جمادى . . . سنة ٥٠٤ وكانت مدة الحصار سبعة واربعين يوما . ورتب بغدوين الاحوال بها والحافظين لها وعاد الى بيت المقدس ثم عاد بعد مدة يسيرة الى صيدا فقرر على من اقام بها نيفا وعشرين الف دينار فأفقرهم واستغرق اموالهم وصادر من علم أن له بقية منهم

سنة ٥٠٥ وقطع الاتراك الجسر الذي كان يعبر عليه الى صيدا ليقطع المادة أيضا عنها فعدلوا عند ذلك الى استدعاء الميرة في البحر من جميع الجهات فقطن ظهير الدين (اتابك) لذلك ونهض في فريق من العسكر الى ناحية صيدا وغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية واحرق تقدير عشرين مركبا على الشط

سنة ٥٥٣ وقد كان اسد الدين قبل ذلك عند وصوله في من معه من فرسان التركمان غار بهم على أعمال صيدا وما قرب منها فغنموا احسن غنيمة وأوفرها وخرج ما كان بها من خيالة الافرنج ورجالتها وقد كمنوا لهم فقتلوهم وقتل أكثرهم وأسر الباقون وفيهم ولد المقدم المولّى حصن حارم وعادوا سالمين بالاسرى ورؤوس القتلى والغنيمة لم يصب منهم غير فارس واحد ولله الحمد على ذلك والشكر

وقد وقعت بيدنا مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدوليه وهي تعريب

الشيخين فيليب وفريد الخازن فوجدنا في الجلد الاول الذي هو من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦٠ م حوادث قليلة تستحق الذكر كاقتداء الطوائف المسيحية في ايالة صيدا بأخواتها في دمشق ورفضها دفع البدل العسكري وتساهل الحكومة بذلك والزم على فصل زحله عن لبنان والحاقها بايالة صيدا

اما الجلد الثاني الذي هو مجموع حوادث من كانون الثاني سنة ١٨٦٠ الى اواخر تشرين الاول منها فقد حوى شيئاً كثيراً عن صيدا الصادفة ذلك حادثة الستين المشهورة وكثرة الاضطرابات آنئذ وقد المنا بذلك ببعض الالمام وجل التقارير مرفوعة من المير يعقوب ابيلا الى مراجعه في بيروت وفيها انحاء كثير على المسلمين وادعاء تحريض اركان الحكومة آنئذ وبينهم المفتي على ذبح المسيحيين حتى انه ادعى خيانة الشيخين الذي شاع وذاع عنهم ايواء المسيحيين والمحاماة عنهم وعلى كل فقد كانت تلك السنة عبارة عن تعديات واضطرابات اجارنا الله من مثلها وقد حضرت عدة بوارج انكليزية وروسية لتهدئة الحال خصوصاً البارجة (فيريفلي) الانكليزية ومن جملة المقررات التعدي على فيالج آل ابيلا وحرق معمل الحرير المختص بهم وقتل بعض اخصائهم الى غير ذلك من المئات التي لو أردنا سردها وتمحيصها على سبيل التفصيل لاحتجنا الى مجلد كبير

اما الجلد الثالث فلم نجد به عن صيدا ما يجدر بالذكر نعم ذكر دخل ايالة صيدا وقائمقاميتي الشوف التي كانت عبارة عن ولاية بيروت باجمعها وقسم من لبنان مما لا حاجة لذكرها

ومما رأيناه في مجموعة تاريخ للمرحوم الشيخ علي سبيتي ان صيدا صارت باشاوية سنة الف وسبعين للهجرة وقد مر ذلك

وقد ذكرت السالنامة التركية الصادرة في بيروت سنة ١٣١٩ هـ اسماء ولاة ايالة صيدا الملغاة وهم

سنة		سنة	
١٢٥٦	الصدر الاسبق عزت باشا(١)	١٢٦٠	وجيهي باشا
١٢٥٦	سليم باشا	١٢٦٢	كامل باشا
١٢٥٧	الفريق عزت باشا	١٢٦٣	مصطفى باشا اشقودرملي
١٢٥٨	مصطفى باشا	١٢٦٤	صالح وامق باشا
١٢٥٩	شيخ الوزراء اسعد مخلص باشا	١٢٦٧	مشير الضبطيه الاسبق محمد باشا

(١) كان يطلق عليه والي عموم برية الشام

١٢٧٢	الصدر الاسبق محمود نديم باشا	١٢٧٨	احمد باشا القيصرلي
١٢٧٣	صالحزامق باشا (ثالثة)	١٢٧٩	قبولي باشا
١٢٧٤	خورشيد باشا	١٢٨١	محمد خورشيد باشا
١٢٧٧	محمد باشا من فرقاء البحريه		

ومما فاتنا ذكره أن أسرة الارناؤط الموجودة في صيدا تنسب لمحمد باشا الارناؤط الذي تولى صيدا وبيروت سنة ١٠٧١ ﻫ وأن أسرة القوّاص تنسب غالبا لمصطفى باشا القواص الذي تولى ايالة صيدا سنة ١١٦٣ فتكونان من الأسر القديمه

ولم نذكر أنه يوجد في صيدا (مصبنتان) يصنع بهما الصابون لم يزالا للآن

وقد يكون فاتنا اشياء كثيرة لم يوصلنا اليها البحث فالرجاء ممن اطلع على تاريخنا هذا وراى به مواضع للنقد وكان لديه بيانات وافية عن الأسر وغيرها ان يوافينابها لنستدركه في الطبعة الثانية ان شاء الله

هذا وقد نكون اخرنا مقدما اوقدمنا مؤخرا عن غير قصد بل تبعا للمناسبات وهو سبحانه المطلع على المقاصد والنيات والهادي الى سواء السبيل

جدول الاغلاط

من الاغلاط القبيحة التي وقعت في هذا الكتاب القول بان الجامع العمري الكبير هدمه البحر سنة ١٨٣٠ وذلك في صفحه ١٠٨ سطر ٩ مع انه جدد ماوه سنة ١٣١٢ هوكان هدم قبل ذلك بقليل فليصحح ونعوذ بالله من زلة القلم

ومن الاغلاط التي عبرت اسماء بعض الاعلام كتابة الدماميري في صفحة ٦١ سطر ٨ والصحيح الدميري وكتابة الميتين صفحه ١٥٠ سطر ١ والصحيح المنيين وكتابة تنيت في صفحه ٨٦ سطر ٢٤ والصواب تبنيت ومن الخطأ في الاعراب كتابة منذ اثنان في صفحه ١٠٨ سطر ٢٤ والصواب منذ اثنين كما لايخفى ومن الخطأ في الاملاء ماجاء في صفحة ١٢ سطر ١٣ قرائه والصواب قراءه وفي صفحه ٢٥ سطر ٤ وآرائهم والصواب وآراؤهم وبعدها واعداءهم والصواب واعدائهم ومن الغلط الشائع الذي كرر كتابة القائمقام هكذا مع ان الصواب ان يكتب (قائم مقام) وجاء في صفحه ١٢٧ سطر ٨ القائمقيات وصوابه القائم مقاميات اما زيادة نقطة او حرف او نقصانهما فجاء كثيرا في الكتاب ومنه في صفحه ١١ والاحول والصواب والاحوال وفي صفحه ٢٣ سطر ١٤ صنائتهم والصواب صنائعهم وفي صفحه ١٢١ سطر ٢٣ واسهينا والصواب واسهبنا وكلها لا تخفى على المتامل

هذا ما لاحظناه أثناء مراجعة اللازم والا فقد نكون غفلنا عن عدة غلطات خصوصا فيما نقلناه بحرفه عن بعض الكتب والمجلات ووقع في صفحه ١٠٣ — ١٠٤ خطأ في غرالتروح لايخفى

ومما نبهنا له بعض العلماء ان ماذكرناه في صفحه ٥٣ من ان قاتل عبد الله بن عقيل صيداوي خطأ لان هذه النسبة الى القبيلة لا الى البلد والا ففي انصار الحسين عليه السلام رجل صيداوي ايضا

والحمد لله اولا وآخرا

*